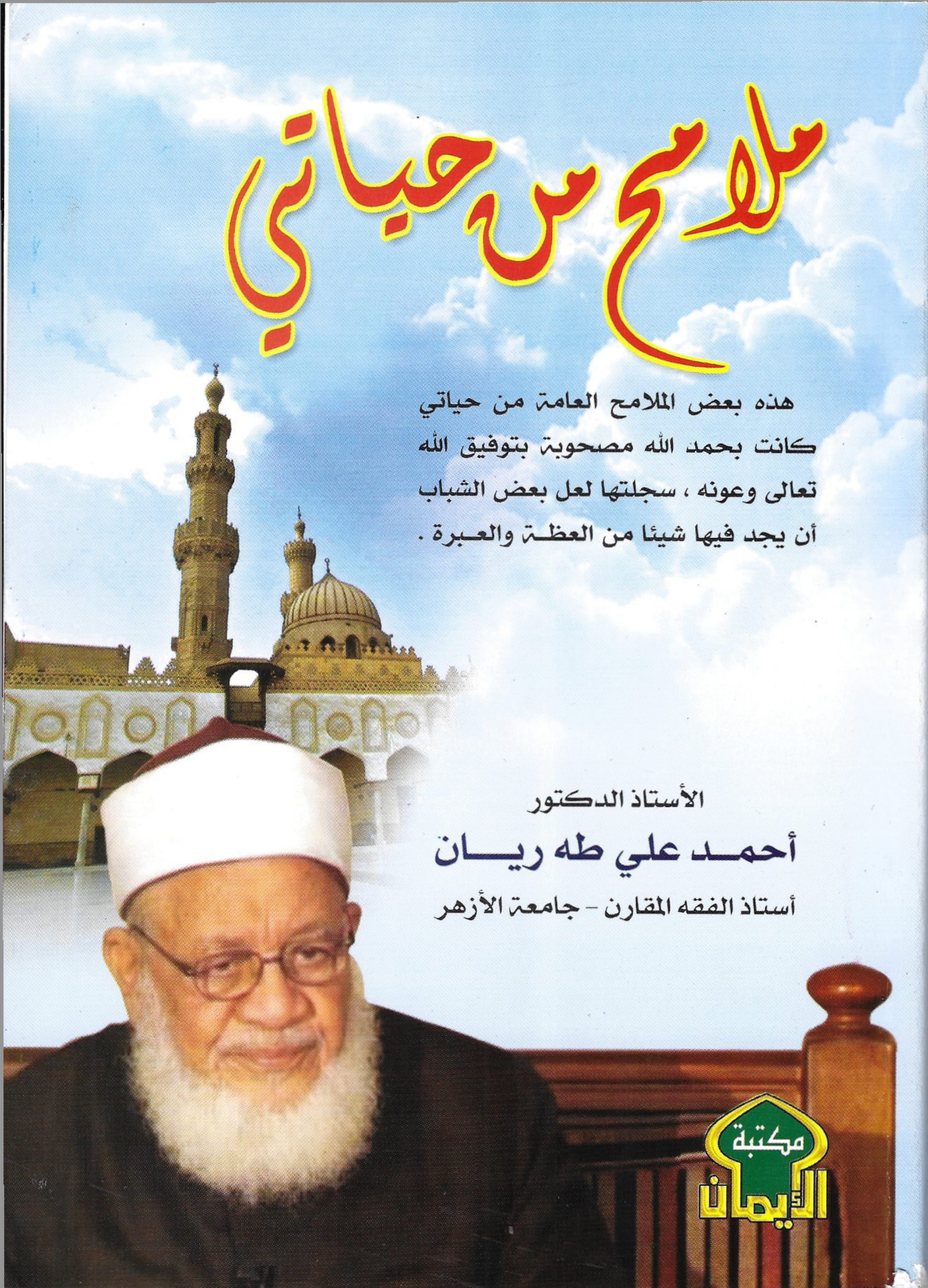


ملامح من حياتي
هذه بعض الملامح العامة من حياتي
كانت بحمد الله مصحوبة بتوفيق الله
تعالى وعونه ، سجلتها لعل بعض الشباب
أن يجد فيها شيئا من العظة والعبرة .
الأستاذ الدكتور
أحمد علي طه ريان
أستاذ الفقه المقارن - جامعة الأزهر
مكتبة الإيمان

ملامح من حياتي

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الايداع ١١٢٧٤ / ٢٠١٦

الترقيم الدولى 978-977-449-353-9

مراجع ومنسق محمود عثمان

الناشر

مكتبة الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: ٤ ش أحمد سوكارنو العجوزة - الجيزة - مصر

هاتف : ٣٣٤٥٢٣٠٢ ـ ف ٣٣٠٤٤٨٤١

الموقع الاليكتروني: www.elemanlibrary.com

الايميل : elemanliblary@gmail.com

ملامح من حياتي

هذه بعض الملامح العامة من حياتي
كانت بحمد الله مصحوبة بتوفيق الله تعالى وعونه سجلتها
لعل بعض الشباب أن يجد فيها شيئا من العظة والعبرة

إعداد وتأليف
الأستاذ الدكتور
احمد علي طه ريان

١٤٣٦ـ ٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ؛الذي انعم علينا بنعمة الإيمان ، وأكرمنا بشهادة الإسلام ؛ وجعلنا من زمرة أهل العلم ؛ الذين منّ عليهم بفضله وكرمه بوراثة الأنبياء ، كما نحمده ونشكره حمداً لا يتناهى وشكراً لا ينفد أبدا ؛ بأن سلك بنا طريق الحفظ لكتابه ، ولفهم معانية وأسراره ، وأن شرح صدورنا للتعلق بمنهج حبيبه ومصطفاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأودع في قلوبنا الرغبة في فهم حديثه والالتزام بسنته ، وسلك بنا إتباع طريق أهل وده ومحبته من العلماء الربانيين والفقهاء العاملين المخلصين .

اللهم صل وسلم وبارك على الحبيب المصطفى والكريم المرتجى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد: فهذه كلمات موجزات؛وصفت بها بعض مراحل من مسيرتي التي هيأها لي المولى عز وجل في علاه ، وكانت بحمد الله تعالى، مصحوبة بعطفه، محفوفة بحفظه ، مشفوعة بكرمه ، في كل دقائقها ومنحنياتها ، لم يكلني في حاجتي إلى غيره ، ولم يلجئني إلى طلب العون من سواه ، بل كان ولا يزال هو العطوف عليّ وعلى غيري من الخلق ، الحنان المنان ؛ الذي شمل بحنانه ومنّه ، الأرواح في عالم الذَر ،والأشباح في عالم الوجود ، وأسبغ عليّ نعمة الرضا بما أعطى ، والشكر لما منح وتجلّى ، والقبول بين الخلق لما أقول وأعمل ،

مع علمه بعجزي وقصوري وضعفي وفتوري ؛ في كل أقوالي وأفعالي ، وهذه شيمته جلّ في علاه – مع كل عباده ،وإني واحد منهم ، وأرجوه سبحانه أن يشملني بهذا العطف في آخرتي كما شملني به في دنياي ،إنه بعباده لطيف كريم رؤوفٌ رحيم .

إن هذه النفحة من العلم التي أُكرمت بها : لعلي لم أكن أهلا لها ولا قادراً على استيعابها ، بل كانت نفحة تكريم من المولى جل في علاه للوالد رحمه الله ، ذلك الرجل الأميّ والذي عاش في بيئة أمية ، لكنه عاش في عبادة ربه ، بل وصل في مراقبته لربه إلى درجة من الورع ؛ كانت أمنيتي ولا زالت : أن أصل إلى شئ منها ، لقد كانت أمنية هذا الرجل البسيط أن يكون له ابن في الأزهر الشريف مستندا إلى عمود من أعمدته يستفيد كل الناس من علمه، فلما منّ الكريم المنان علي بعمادة احدى الكليات بشره الأخ الدكتور محمد : بأن أمنيتك قد تحققت ، وقد صار أحمد عميدا لكلية الشريعة بأسيوط ، فاستطرد قائلا: إن أمنيتي ليست في العمادة بل أن يكون شيخ عمود في الأزهر ، ويشاء المولى عز وجل أن يكون لي نصيب في الجلوس في الأزهر الشريف في حياة الوالد ، وأرجوه سبحانه أن أحشر مع عمار المساجد إنه قريب مجيب .

أما سبب هذه الأمنية ؛ فقد كان الوالد في شبابه أيام ري الحياض في السنوات السابقة ، تغمر المياه كل الأراضي الزراعية حوالي شهرين ونصف ، ولا يوجد له عمل في البلد ، فيرحل مع بعض الشباب في القرية إلى القاهرة ليعملوا مع مقاولي البناء هناك لتحصيل بعض النقود التي يحتاجون إليها في

إطعام عائلاتهم حتى يتم حصاد الزرع الجديد ، وهذه الرحلة كانت تستغرق خمسة عشر يوما ذهابا ومثلها إيابا مشيا على الأقدام .

وفي إحدى هذه الرحلات – في يوم عطلته عن العمل – ذهب إلى الجامع الأزهر لأداء الصلاة به وبعد الصلاة وجد شيخا يستند إلى عمود من أعمدته ويتحدث إلى طلاب في العلم ، فجلس الوالد في حلقة العلم وليس عليه سمات طالب العلم ، فمظهر ثياب العمل واضحة عليه ، فلاحظه الشيخ ورفع صوته وقال : أيها الرجل ؛ اذهب إلى حال سبيلك ، فهذه الحلقة لطلاب العلم – أو كما قال – فشعر الوالد بالحرج ، وأصابه قدر كبير من الخجل فقد كان أبيّ النفس ، فمع شدة ظروف الحياة عليه وعلى من حوله – لم يطأطئ رأسه لأحد ، ولم يضع نفسه في يوم ما موضع ضعف أو حاجة – لذلك تألم كثيرا من هذا الموقف ؛ بدليل أنه عاش في ذاكرته هذه السنين الطوال ، حتى الوصف كان مصرا عليه ، وهو أن يرزق بابن ليكون شيخ عمود ، أما العمادة ومنصبها التي يطمح إليه الكثيرين فلا يعنيه شيئاً.

وفي موقف آخر يبرز إباء نفسه وقوتها ، كما يبرز عطاء الله تعالى له : فبعد أن تحسنت الحالة المادية بالنسبة لي ، وصار في إمكاني مساعدة الوالد وليشعر أن ما قدمه من تضحيات في سبيل تعليمي قد جاء أوآن سداده ؛فيستريح ؛ وخصوصا أنه قد دخل في عقد الثمانينات أو كاد ، فأرسلت إليه مبلغا من المال ليس كبيرا ولكن فيه عون له للأنفاق على نفسه وعلى من يعول ، إلا أنني رأيته في رؤيا قلبت ظنوني رأسا على عقب ، رأيت أني اركب سيارة فورد الأمريكية

القوية مع الوالد وهو السائق والسيارة تسير بسرعة كبيرة جدا وتجري في مكان لا يمكن أن تسير فيه أي سيارة على الإطلاق ، وذلك وسط مزارع حوض يسمى حوض أبو قطية – بحري بلدتي – ووجدنا أنفسنا داخل السيارة ، وقد وقفتْ أخيراً أمام أبراج حمام وكرم نخيل عمنا يس محمد ريان – بعد أن قطعت مسافة هذا الحوض الكبير بمزارعه وحدائقه ، واستيقظت ضاحكا ، وقلت : الرجل الصالح المخلص يقول لي لا تشغل بالك بي ، بل أنا الذي سأستمر في رعايتك إلى ما شاء اللهْ (رحمة الله عليك يا والدي) ، وإني لأشعر بهذه الرعاية حتى بعد موته رحمه الله : وقد أشرت إلى شئ من هذه الرعاية بعد موته ، والحمد لله رب العالمين ؛ لقد حاولت أن أقدم في هذه الكلمات الموجزات شيئا لا بأس به من عطاء الله تعالى للفقير ، كما أشرتُ إلى ما أنعم به عليَ من إفادة أبنائي وبناتي الذين جمعني معهم في حلقات دروس العلم أو على المنابر أو المناسبات الخاصة والعامة ، كما حاولتُ إبراز بعض الجوانب المرضية وكذلك غير المرضية في تعاملاتي مع الآخرين لعلها تكون عبرة لمن يأتي بعدنا ، فيجتنب ما لا يُرضي ويستفيد ويفيد غيره بما يُرضي، كما أشرتُ إلى إسهاماتي في مجالات الخير العامة – وان كانت قليلة – لعلها تكون حافزا للأجيال القادمة ليقدموا ما هو أكبر وأفضل لمجتمعهم، كما أظهرت بعدي عن التجمعات السياسية وما يدور فيها ، وكذلك المناصب الإدارية أو العلمية إلا إذا فُرضت عليَ فأقبل منها ما أظن أني استطيع الوفاء بالتزاماته وأتباعد عما لا استطيع القيام فيه بهذه الالتزامات .

وأرجو ألا أكون قد قصّرت في إبراز ما كان يجب إبرازه مما فيه مصلحة للآخرين ، وأرجو منه سبحانه العفو عما يكون قد حدث من سهو أو تقصير أو نسيان ؛ إنه سبحانه وتعالى بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د / أحمد علي طه ريان

القاهرة في: ١٤٣٦/٩/١٣

٢٠١٥/٦/٣٠

الفصل الأول

ما يتعلق بالمنشأ

وكان السؤال الأول : من أنت ؟ ومتى ولدت ؟وكيف نشأت ؟ وما هي الظروف التي أحاطت بنشأتك (بذلك) وكان الجواب ما يلي :

إني أحمد علي طه ريان ولدتُ من أبوين فقيرين لكن كانا مستوري الحال ، وكلاهما كان أُميّان لا يقرأ و لا يكتب وكنت أكبر أولادهما ورابع أربعة ولدت بتاريخ **١٠/٢/١٩٣٩**م وبعدي الأخ الدكتور محمد وهو الآن أستاذ مساعد بكلية التربية بالعريش التابعة لجامعة قناة السويس ، وبعده المرحوم أخي عبد الحميد الذي توفي منذ عامين بالقاهرة ؛ إذ كان مدرسا بوزارة التربية والتعليم ، وأصغرنا الأخت سعاد متزوجة بالقرية ولها عدد من البنين والبنات

وقد توفيت الوالدة زكية النوبي عبد الله سالم عام **١٩٧٥** بعد مرض دام سنتين وكان الوالد يبلغ من العمر ثلاثة وسبعون عاما آنذاك ، وكنت في زيارته قبل انتهاء الثلاثة أشهر من وفاتها ، وحينما أمسكت بحقيبتي مغادرا للعودة إلى القاهرة قال : أنت مسافر وأنا في حاجة إلى من يخدمني ؛ فعرفت انه يريد الزواج ، وكانت العادة في أرياف الصعيد ، أن يظل الرجل عاما أو أعواما بعد رحيل زوجته ليفكر في الزواج ، إما حزنا عليها ، أو حياء من الأولاد الكبار ، ولذا كان هذا التصرف من الوالد قد ترك أثراً في نفوس إخوتي ، لكني كنت متحررا من هذا المعني ، لأن الوالد كان بصحة جيدة ، ويكفي أنه عاش مدة عامين بدون زوجة ، حتى إني عرضتُ عليه الزواج أثناء مرضها فرفض ، وغلبه البكاء فبكى ؛ نظرا لطول العشرة بينهما التي قاربت الأربعين عاما .

لذا أُخذتُ بسؤاله ، ولكن أظهرت له الموافقة المبدئية ، ووضعت الحقيبة التي كانت بيدي وجلست إليه قلت له : وهل فكرت في المرأة التي تريد الزواج بها ، قال نعم . قلت : من هذه المرأة ؟ قال بنت خالك ، حيث إني

متزوج بالبنت الكبرى لخالي هذا ، ولم يبق لديه من البنات إلا بنت صغيرة عمرها بأي حال : لا يتعدى الثالثة عشرة من الأعوام ، فقلت له :هذه صغيرة , ألا تجد من هي أكبر سناً منها؟ قال : أبوها وأمها موافقان ، وهى تنفع معاكم حين تأتون بأولادكم في البيت هنا ، وعلى الفور ؛ ذهبت إلى بيت الخال والتقيت بوالديها فأبديا الموافقة ، وكان الرفض من أخ لها فقلت له أنت لا شأن لك ، أنت معنا من أهل القاهرة فدع أهل القرية ليرتبوا شئونهم كما يريدون .

وذهبتُ في عصر نفس اليوم مع خالي إلى مأذون القرية وأعطيته خمسة جنيهات ، وكانت آنذاك لها قيمة وعقدنا العقد ، ولم أسأل البنت هل هي راضية بهذا الزواج ؛ لأني كنت قريب العهد بالقرية وكان الغالب أن البنات يرضون باختيار الآباء والأمهات بمن يريد الزواج منهن ، وسلمتُ عقد الزواج للوالد وقلت له : هذه زوجتك ورتب الفرح أنت ووالد العروس براحتكما ودعني أسافر لألحق بعملي بالكلية وكنت وقتها بدرجة مدرس بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة

والحمد لله قد رزق منها بخمسة من البنين والبنات ، أولهم مصطفى صيدلي ، وثانيهما محمود خريج كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، وثالثهم علي ،وهو بالسنة الرابعة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا ، ورابعتهم إيمان ومعها أربعة من البنين وبنت واحدة ، وخامستهم ابتسام وهذه ولدت للوالد بعد بلوغه سن المائة ، وهي الآن في السنة الثانية الإعدادية وأخوها في الخامسة والسبعين من العمر ، ويرجو من ربه عز وجل أن يكرمه بحسن الخاتمة بمنهِ وكرمه ، وهي الآن أقرب أهلي إليّ .

نكتة واقعية :

كانت لي عند الوالد معزة تزيد عن إخوتي قليلا وكانوا هم يشعرون بذلك ، فمثلا كنا إذا اجتمعنا لتناول العشاء وهي الأكلة الرئيسية في الصعيد ، وجاء وقت توزيع اللحمة علينا ومد الوالد يده إليّ ليعطيني نصيبي منها ، يقول أخي محمد وكان صغيرا في سن الخامسة تقريبا : يا أحمد افتح ايديك – اي الاثنتين – وذلك للدلالة على الشعور بالتميز عن بقية الأخوة ، وكان الوالد فيما بعد يفسرها بأنه – أي أحمد- يجمع إخوته بالقاهرة ويهتم بأمرهم – وكان الأمر كذلك بحمد الله تعالى – وبناء على ذلك فكان يسمي أولاده الجدد بأسماء أبنائي مصطفى ومحمود وبنته الأولى أيمان كما سمى البنت الأخيرة ابتسام على اسم زوجتي أم مصطفى وسمى الابن الثالث باسمه هو، فأدركت أنني غفلت عن شئ مهم؛حيث كان ينبغي عليّ أن أسمي أحد أولادي باسم والدي :علي ولم انتبه لذلك إلا بعد فوات الأوآن ، وعلى أية حال لم نتعاتب على ذلك بالرغم من الإحساس بذلك في قلب كل منّا.

مكان النشأة :

معلوم أن مكان النشأة سواء كانت من خلال العائلة أو القرية ليس فيها اجتهاد من أحد ، حيث وجدت نفسي أنتمي إلى عائلة تضم مجموعة متقاربة من حيث النسب ، يطلق عليها{ أولاد علي } وأنا انتمي فيها إلى فرع { أولاد ريان} وبداخل هذا الفرع توجد مجموعة من الفروع الصغيرة ، وفرعنا الصغير هم { أولاد طه ريان}

كان جدي طه ريان رجلاً جاداً يعتمد على نفسه في تكوين نفسه وتوفير نفقات أسرته وأنجب من البنين أربعة ومن البنات اثنتين ويمتلك قطعة ارض تزيد على فدانين من الأرض الزراعية وكان ذلك أيام السخرة التي نشأت أيام محمد علي باشا وأسرته ؛ حيث كان الناس يؤخذون لحفر الترع والقنوات

وإنشاء الكباري والقناطر وحفر قناة السويس وبدون مقابل إلا ما يقيم الأود بالكاد ، ولذا كان الناس يتهربون منها، لأنه قلّ من يعود منهم إلى بلده أو قريته ، ولكن الهرب كان له ثمن يدفع لمن يتولى تجميع الناس للسخرة ، وهو أن يتنازل عما يملك من الأرض ويغضون الطرف عنه ، وبعدها يعيش في القرية على عمل يده ، أما من لم يوافق على التنازل لعزة أرضه عليه فيؤخذ قهرا.

وكان جدنا طه ريان من هؤلاء الذين أخذوا قهرا للعمل بطريق السخرة ولم يعد ، فنشأ أولاده ولديهم أرض يمتلكونها عن طريق الإرث من والدهم الغائب الذي لا ينتظر.

منهم من باع نصيبه للأنفاق على المكيفات وترك القرية هو وأسرته ولم يعد إلا بعد حوالي ثلاثين عاما بلا شئ إلا بأسرته الكبيرة .

بينما الوالد كان يعمل في أرضه كما كان يعمل بأرض الآخرين بالأجر ، وكان في فترة ري الحياض حين تغطي المياه كل الأراضي الزراعية ، يسافر إلى القاهرة مشيا على رجليه لمدة خمسة عشر يوما ذهابا وإيابا ليعمل في المعمار هناك ويعود بعد شهر أو شهرين أو شهرين ونصف ومعه بعض النقود التي يعيش عليها حتى ينضج محصول الزرع ويتكرر ذلك لسنوات وسنوات ، وظل إلى أن مات وهو يحكي لنا عن المباني التي شارك في إقامتها بالقاهرة .

وفي سنة من تلك السنوات وصل إلى القاهرة وذهب إلى مكان المقاول الذي اعتاد العمل معه، ولكن قيل له : إنه يعمل مقاولا في بورسعيد فسافر إليه وقد رحب به المقاول وضمه إلى بقية عماله .

وبعد حصاد المحصول تأتي مرحلة التحاريق في الصعيد ، فكان كبار البلاد يحفرون سواقي في تلك الأراضي القاحلة لزراعتها ذرة صيفية (الذرة العويجة) .

وكان الوالد يشرف على ساقيتين منها كل ساقية تروي من أربع أفدنة إلى خمسة أفدنه ، ويضم تحت إشرافه مجموعتين من العاملين كلٌ معه بقرة لتشغيل الساقية ، وتظل الزرعة حتى تنضج مدة أربعة أشهر ، وكان الوالد يلقب في هذه الفترة بلقب (عبود) لسعة الأراضي التي تزرع تحت إشرافه وذلك تشبيها له بعبود باشا صاحب الأبعاديات الكبيرة في الصعيد والوجه البحري ، أما اللقب العرفي في ميدان الزراعة فهو لقب : الخولي أي المشرف العملي صاحب الخبرة الكبيرة في هذا المجال .

ولقد كان الوالد محل ثقة من أهل القرية ، حيث كان يتولى جمع تكاليف الأعمال العامة التي يحتاجها أهالي القرية ، مثل الحاجة الى المقابر الخاصة بأهل القرية من طوب اللبن الذي تسد بها المقابر بعد دفن المتوفين بها ، فكان يمر بنفسه على المنازل لجمع التكاليف ويتقبل كل ما يقدم من أهل المنزل : مثل قدح الذرة أو العدس أو القمح أو النقود مهما كانت قليلة ويتولى الإشراف عليها حتى تنتهي .

كذلك قام بتنفيذ أعمال مبنى المدرسة الإعدادية التي كانت القرية في حاجة إليها وليس في وزارة التربية والتعليم اعتماد ذلك وإن وجدت الموافقة على الإنشاء فيقوم الوالد بجمع التكاليف لمباني المدرسة وما تحتاج إليه من أجهزة بنفس الطريقة السابقة ، كما تولي الإشراف على المباني حتى اكتملت ثم سلمها للوزارة وافتتحت الدراسة بها في زمن قصير نسبيا ، واستمرت الدراسة سنوات وسنوات إلى أن قامت الوزارة بإنشاء مبنى جديد للمدرسة .

ومثل هذه المشروعات العامة تحتاج إلى الأمانة وثقة الناس في الشخص الأمين والحمد لله رب العالمين : قد توافر هذان الأمران في الوالد رحمه الله .

ومع ذلك لم تشغله هذه الأعمال العامة عن جهوده المستمرة في تحسين حال أسرته ، فقد رأينا قوته في الأشراف على المساحات الواسعة حتى اشتهر بقلب عبود ، فمكنتْ الوالد أن ينتقل من بيت أسرته الصغير إلى بيت آخر مساحته كبيرة تزيد عن مائتي متر بالشراء من أصحابه ، وأن يستضيف بعض أقاربه الأقربين لكي يعيش معنا وللإنفاق عليه ، كما اشتهر بالكرم سواء على العاملين معه في مجال الزراعة لأنه كان يستأجر بعض الأراضي في حدود ثلاثة أفدنة وقد تصل إلى أربعة لريها بمياه الترعة أيام فيضان النيل بعد أن ترك السفر الى القاهرة للعمل ، فكان يقدم طعام الغداء أو العشاء لكل من يعمل معه في الذرة الشامية وكانت الوالدة تساعده في هذا السخاء فهي التي تعد الطعام وتحضره بنفسها إلى مكان الزراعة على بعد كيلو متر تقريبا من المنزل .

وكان عطوفاً على أصحاب المهن من حدادين أو نجارين أو حلاقين وغيرهم ، من أهل البلدة أو من غيرهم ، فمن كان يعمل له شيئا من هؤلاء ولو لمرة واحدة يصير صاحبا له، فإذا ما استدعى الى العمل من أي أحد من البلدة فإنه يبدأ حركته بالمجئ إلى الوالد والسلام عليه .

الكرم الموسمي :

كان العرف في القرى أن المهنيين من حلاقين ونجارين وحدادين وغيرهم لا يأخذون أجرا على ما يعملونه لأهل القرى خلال مرحلة الزرع ، فإذا جاء الحصاد أتوا إلى أصحاب الزرع فيعطون كمية من الزرع الذي يحصد ربما أكثر من أجرهم على ما عملوه طوال الموسم ، وكان الوالد سخياً في ذلك لهؤلاء ولغيرهم من السائلين .

وقد كان أحد هؤلاء المهنيين وهو إسكافي من خزام موجوداً بالقرية وقت وفاة أخي الصغير عطية ، وقد حزن عليه الوالد حزناً شديداً ، فنصحه أن ينام مع زوجته الوالدة في الأيام الأولى للوفاة ، فاستجاب الوالد وكان أخي محمد الذي صار الدكتور محمد فيما بعد ، هو نتيجة هذا اللقاء ، وهذه الحالة لها صلة بحالة أم سليم مع زوجها أبي طلحة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم له : (بارك الله لكما في ليلتكما) فأنجبت عبد الله الذي أنجب تسعة من الأولاد كلهم يحفظون القرآن الكريم ، والحمد لله رب العالمين . وكان منهم اسحاق شيخ الإمام مالك .

ومن الكرم الموسمي :كان مولد الشيخ العراقي يأتي في شهر رجب وكانت القرية تستعد لذلك من عدة أشهر حيث يشترون الجمال والبقر والجاموس للذبح في هذا المولد ، وكان أهل القرى يأتون بأعداد خفيرة ، فكانت كل عائلة تستضيف كمية من هؤلاء وكان نصيب الوالد مضاعفاً ، فهو إلى جانب مساهمته مع العائلة ينفرد بفرش بيته بموائد الطعام ، وكان يربط وسطه بحزام ومعه عصا غليظة ليضرب بها من لم يستجب لدعوته لتناول الطعام في بيته ، وكانت العصا إشارة إلى رغبته الشديدة في الدعوة لتناول طعامه ، ولم يحدث أن ضرب أحداً بها .

وقد تأثرت بذلك وأنا صغير ، فإذا ما لقيت أحداً ممن زارنا في المنزل من أهل البلدة أو غيرهم أتعلق به وأجرّه إلى المنزل لشرب الشاي مع الوالد، وكان الوالد يسرّ بذلك إذ كنت عزيزاً على والدي في الثماني سنوات الأولى من عمري لأني كنت الوحيد لوالدي نظراً لوفاة من ولد قبلي ومن ولد بعدي إلى أن جاء أخي محمد عام ١٩٤٧ م .

ويتصل بهذه المعزة أن الوالد رماني على سيدي عبد الرحيم القنائي ونذر أنه سيقدم نذرا يذبح عند مقام الشيخ بعد مرحلة من عمري ، وكان في كل عام في مولد سيدي عبد الرحيم يحملني بين يديه ووالدتي تمشي وراءه ما يزيد على أربعين كيلو مترا ليزوّرني مقام سيدي عبد الرحيم بقنا ، وقد كانوا يستخدمون كلمة الرمي على الصالحين لينوبوا عنهم في الدعاء لحفظ الأولاد ، وكان هذا نوعاً من التوسل .

ومن العجب أنه كان لنا كلب أسود اسمه سامبو كان يمشي وراءنا هذه المسافة كلها في كل عام ، حيث حاول الوالد في البداية أن ينهره ليرجع فيأبى ويظل وراءنا حتى نصل إلى قرية الترامسة على شط النهر لنركب المركب التي تنزلنا على شاطئ مدينة قنا ، فيرجع سامبو من حيث أتى ،وحين نعود بعد عدة أيام نجده في انتظارنا في القرية وهذا شئ من وفاء الكلب المعهود ، حيث ذكر القرآن الكريم شيئا من هذا الوفاء عن كلب أهل الكهف الذي تبعهم حتى الغار الذي استقروا به . قال تعالي: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ من سورة الكهف [١].

وحين وصل عمري إلى سن الخامسة تقريباً ، قرر الوالد الوفاء بالنذر ، إذ اشترى جدياً واستأجر مركبا من صاحبه بالقبلي قامولا على شاطئ نهر النيل بالقرب من قريتنا ، ووجه الدعوة لكل من يريد أن يحضر الوفاء بالنذر ، كما سيحظى بزيارة سيدي عبد الرحيم القنائي ، وهي أمنية لدى الكثيرين لكن

(١) وكنت قد قرأت كتابا لأحد العلماء الأدباء من القرن الثالث الهجري عنوانه (تفضيل الكلاب على بعض من لبس الثياب) إشارة الى الوفاء في الكلب وافتقاره من بعض الناس.

قلة ذات اليد لم تمكنهم من ذلك ، وامتلأت المركب ، ووصلنا بها الى قنا ، وانتظرتنا في نهر النيل حتى عدنا فيها ،وقد تم ذبح الجدي ، وأكله ضيوف الرحلة وهذه الأمور كانت عادية ، نظرا لتفشي الجهل ليس في قريتنا فقط بل في معظم قرى الصعيد ، فلما تقدمنا في العلم عرفنا أن مثل هذا النذر إن كان لله أو للفقراء فهو جائز ؛ أما جعله لهؤلاء الذين ارتحلوا فلا يجوز ، وحتى الآن لا أعرف ماذا كانت (نية الوالد في نذره)غفر الله له تعالى .

وبالمناسبة كنت قد قرأت في كتاب للشيخ محمد عبد ربه سليمان الواعظ بالأزهر بأنه كان يوجد معهد ديني أزهري في طنطا وكان شيخه الشيخ الظواهري ، وقد سافر الإمام محمد عبده الى هناك ليتفقد أحوال المعهد ، وكان يقف مع الشيخ الظواهري في مدخل الباب الموصل بين ضريح السيد البدوي وبين المسجد ، فجاءت إمرأة من الفلاحين فوقفت امام الضريح ، ووجهت كلامها للسيد البدوي قائلة : يا سيد خلّ بالك من الراجل والبهيمات ، وإحنا علينا الوفاء .

فسمعها الإمام محمد عبده وقال :يا شيخ ظواهري أَشِرْكٌ بالله في بيت من بيوت الله ، فإذا بها ترد قائلة : يا شيخ ظواهري : إيه اللي جاب القسيس ده هنا . وكان الإمام محمد عبده كبير اللحية – فوجه الشيخ الظواهري كلامه للإمام محمد عبده قائلا : كفّرتَها فكفّرتْك .

والشاهد من ذلك ؛ انه يراعي حالة الجهل التي كانت تسود المجتمع في تلك المرحلة وقلة الوعي لدى العامة .

والحمد لله قد أكرمني الله تعالى بمجاورة الشيخ عبد الرحيم لمدة خمس سنوات حيث كنت طالباً بالمعهد الديني بقنا ، وكنت أذاكر بمسجده أيام الامتحانات لقرب سكني منه . وعلى آية حال لم يفعل الوالد مثل ذلك لأي أخ من أبنائه وبناته التسع غيري .

وأذكر أن الأخ الذي سافر بأهله ، ثم عاد بعد ثلاثين سنة تقريبا بأربعة أولاد وأمهم وزوجة شابة من تلك البلدة التي كان يعيش بها واسمها فارسكور، حيث كان يعمل حارساً هناك على أحد المطاحن ، وقد أنجبت له هذه الزوجة ثلاثة من الأولاد ، وبحمد الله التزم الوالد بالإنفاق عليه وعلى زوجتيه وعلى أولاده السبعة إلى أن توفى الأخ وزوجته الأولى ، وحاول الوالد أن يتبني الأولاد الكبار في بيته ولكنهم بعد قليل هربوا من رعاية الوالد إلى جهات شتى، وأما الزوجة الأخيرة فقد أخذت أولادها الثلاث وخرجت من القرية دون علم الوالد وحتى الآن لا نعلم عنها ولا عن أولادها شيئاً ، أما الأولاد الكبار فقد اجتمع منهم ثلاثة في كوم امبو وهم يعملون هناك ونحن على صلة بهم ، والرابع توفى وله ولد يعيش بالقرية إلى الآن.

وقد انفرد الوالد بأمرين ، لم يلحق به أحد فيهما من أهل القرية أو حتى من أهل بيته :

أولهما : كان له صوت جهوري وقد استخدمه في الآذان حتى وصل الى المرحلة الأخيرة من عمره ، وكان المسجد بجوار البيت ، فكان يصعد مئذنة المسجد ثلاث مرات لصلاة الصبح فقط ؛ إحداها : قبل الفجر بساعتين تقريبا ينادي بكلمات طيبة : أذكر منها : سبحان من صبّح الإِصباح ، سبحان من جعل الليل مساء والنهار فلاح ، سبحان الأحدي الأحد ، سبحان من أحصى

الخلق ولم ينس أحد ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان مالك الملك ومسخر الفلك ،ونحو ذلك من الكلمات اللطيفة والعظيمة المعنى .

وثانيها : قبل الفجر بساعة ليصلّي على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيقول : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله ، الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ، وهكذا ...

وثالثها : حين يلوح نور الفجر كعلامة على موعد الآذان ، ثم استخدم المنبه في السنوات الأخيرة لذلك ليساعده على ضبط هذه الأوقات

فكان صوته عالياً يصل مداه إلى أبعد من عشرة كيلومتر؛ من غير مكبر للصوت ، وقد علمنا ذلك حين مرض ولم يستطع أن يصعد المئذنة أو حتى يخرج من المنزل ، فجاء أناس من قرى بعيدة من شرق النيل بمسافات بعيدة ، وقريتنا غرب النيل بحوالي أربعة كيلو مترات ، ليسألوا عنه ، إنهم كانوا يعتمدون عليه في السحور وصلاة الفجر خاصة .

ورابعها : الورع النسبي ؛ فهو لا يتوقع من مثله ، فهو أمر غريب في البيئة التي كانت تعيش في جهالة جهلاء في زمانه ، ومن أمثلة ذلك : أنه كان زمن كسر القصب ، وكانت معظم البيوت لا تخلو من أعواد القصب ، لأن معظم الناس يعملون في كسر القصب المنزرع في مساحات كبيرة من أراضي القرية ، وكل من يشتغل في كسر القصب يرجع إلى بيته ومعه بعض عيدان القصب لزوجته وأولاده ، وكان الوالد طوال مدة كسر القصب لا يضع كعب قصب واحد في فمه ، فإذا تعجب منه أحد لتفرده بذلك قال له : إن صاحب القصب لا يمكن أن يسمح بالخروج بعود قصب واحد من قصبه فما يعود به الناس إلى بيوتهم إنها بدون علم صاحب القصب وهذا حرام .

كذلك ؛ كانت تأتينا امرأة تحمل معها كمية من الليمون هدية لنا وهى عندها حديقة مزروعة بذلك لكنها مباعة كلها ، إلا شجرة واحدة ، فحين يقال في المنزل : لعل ذلك من هذه الشجرة فيقول :هذه الشجرة تكفي مين ؟ ولا مين ؟ وليس هناك فاصل يمنعها عن الأخذ من بقية الشجر المباع.

وإني كثيراً ما ألوم نفسي – وأنا منذ أكثر من ستين عاماً أدرس العلم وأدّرسه، ولا أستطيع الوصول إلى هذا القدر من الورع أو دونه .

وبالمناسبة : كنت أحضر احدى مجالس الذكر التي يدعو لها أهالي البلاد هنا بالقاهرة وكانت ليلة عند رجل غني ولكنه في ماله – أقل ما يقال فيه شبه – فعزمت على ألا أتناول من طعامه ، لكن حضر الطعام والرجل يعرفني جيداً، وقد وقف أمامي طوال فترة تناول الطعام فلم أجد مناصاً من تناول ملعقة أو ملعقتين من الطعام ، وإذ بالوالد في المنام يمد يده إليّ ليضربني على تناولي لشئ من هذا الطعام ،فقلت له بصوت عالي أتضربني ؟ فلم تنزل يده عليّ بالضرب ، بعد أن كانت قريبة مني جدا وتكرر منه إليّ اللوم أو العتاب في المنام على أشياء فعلتها ، وكان هو غير راضٍ عنها .رحمه الله رحمة واسعة .

أما الأمر الذي كان يؤخذ على الوالد وهو شدته في التأديب لأولاده ، سواء لي أو لأخوتي حتى لو شكونا من الآخرين فإنا كنا نضرب منه،وإذا غضب فلا نهاية لتأديبه إلا أن يتدخل آخرون لإنقاذنا منه .

أما القرية التي كانت بها النشأة : فلها اسم شهره ولها اسم إداري هو الغربي قامولا، واسم الشهرة فهو الريانية ، وتوجد في الصعيد مجموعة من القرى بهذا الاسم في محافظات الأقصر وسوهاج ، ولعل لها صلة من وقت الفتح العربي ونزوح كثير من سكان الجزيرة العربية بالأصول التي جاءت منها

وبالمناسبة حين أعير أخي محمد ، وقت أن كان مدرساً بالمرحلة الثانوية إلى السعودية بالمدينة المنورة وجدوا في آخر أسماء آبائه (ريان) فقالوا : هذا الاسم يدل على أن له صلة بقبيلة الريان بوادي الريان على بعد مئات الأميال من المدينة بالصحراء ، فبعد أن وصل إلى هناك وجد نفسه في صحراء والخيام هي المقر الذي يعيش فيه الناس هناك حينها ، استغاث بي ، وكنت قضيت أربعة أعوام بالجامعة الاسلامية هناك كما كنت اشتركت في مناقشة رسالة في كلية الشريعة والقانون بالقاهرة لرئيس تعليم البنات بالمدينة فاتصلت به ورجوته أن يستخدم نفوذه في إنقاذ أخي من الورطة التي ألقى فيها ، وفعلا قام الرجل بجهد مشكور وتم نقل أخي محمد إلى داخل المدينة المنورة .

ومنذ ثلاث سنوات كنت أستاذا زائراً في صنعاء في جامعة الإيمان ويوجد هناك وادي كبير يسمى وادي الريان ممتداً إلى حضرموت ، فقال لي بعض الأخوة اليمنيين من صنعاء ، إن الصعايدة أصلهم من عندنا من صنعاء ، فقلت لهم مداعباً: فعلا هم من عندكم وإني أوافق على ذلك ، لأن دماغهم ناشفة مثل دماغكم ، فضحكوا ، ولم يردوا لأن هذه حقيقة .

أما الاسم الإداري الذي يوجد في الأوراق الرسمية والخرائط المساحية للدولة فهو(الغربي قامولا) وينتمي إلى قرية قامولا الذي لا يوجد مكان بهذا الاسم على أرض الواقع إلا في كتب الرحالة القدامى ، ففي معجم البلدان لياقوت الحموي يقول فيه : قامولا بليدة صغيرة تقع غرب النيل قريبا من قوص التي توجد شرق النيل وليس أكثر، وينسب إليها عالم شافعي كبير قديم من علماء الشافعية اسمه نجم الدين القامولي .

أما على أرض الواقع فتوجد حوالي عشرين قرية تنتمي إلى غرب قامولا ، والى قبلي قامولا وهما كانا تابعين لمركز الأقصر حينها ، كما توجد الأوسط

قامولا ، والبحري قامولا ، وهما تابعان لمركز قوص ، ويوجد في كل قرية من القرى الأربع عمدة ، ويتبعه عدة قرى .

وقد استفدت بهذه السعة فقمت ومعي عدد ممن ينتمون إلى هذه القرى ويعيشون بالقاهرة بتكوين رابطة خيرية أسميناها (رابطة أبناء قامولا الخيرية - مركزي الأقصر وقوص - وذلك عام **١٩٧١** قبل أن تتحول الأقصر إلى محافظة وتصير القرنة مركزا تابعا لها ومنها قريتي

وقد نجحت هذه الرابطة في جذب عدد كبير من أهل هذه البلدان ، واستطعنا أن ننشئ أربع مقابر متفرقة بالقاهرة لدفن من يتوفي من أهل هذه القرى المشتركين معنا بالرابطة بالقاهرة ، ومن أراد أن يدفن ببلدته فلا بأس أن ينقل بعربة الرابطة بمصروفات مخفضة ، إلى جانب الخدمات الأخرى التي تؤدي لمنتسبي هذه الرابطة ، مع الاجتماع السنوي للأعضاء في المقر الرسمي المملوك للرابطة حتى يعرفوا مجريات الرابطة ومشروعاتها وإيراداتها ومصروفاتها السنوية ، والحمد لله رب العالمين ، وسيأتي مزيد من التوضيح لهذه الرابطة بمشيئة الله تعالى .

نعم : يدخل في نطاق النشأة إلى جانب حفظ القرآن الذي أشير إليه في الفصل التالي : أمران هامان هما الاتصال بأهل التصوف ، وطلب العلم ،

أما طلب العلم فسيكون له لقاء خاص ونعرض فيه الملامح العامة لمرحلة ما قبل الجامعة ثم مرحلة الجامعة ، أما الاتصال بأهل التصوف فنخصص له الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

كيف حفظت القرآن ؟
وما صحب تلك المرحلة ؟

بدأت الطريق إلى حفظ القرآن الكريم وعندي خمس سنوات وكانت البداية لدى الشيخ أحمد أبو الحاج يوسف ، وكان من عائلة مشهورة بحفظ القرآن بالقبلي قامولا ،وكان المكتب على بعد اثنين من الكيلوات من منزلنا بالغربي قامولا ، ولكني فوجئت بالشيخ يضرب ابنه ، ولعله كان أكبر تلميذ في الكتاب ، وكان الضرب بالعصا شديداً جداً، فرجعت إلى المنزل وليس في نيتي العودة إلى هذا الكتّاب مرة أخرى من الرعب الذي داخلني وحكيت للوالد ما رأيت وقلت إذا لم تكن لديه رحمة بابنه الوحيد فهل ستوجد لديه رحمة بي . فقال الوالد : لا تذهب إليه ، وكان هذا القرار متوقعاً ، فيكف يجازف الأب بابنه الوحيد عند شيخ بهذه القسوة !؟

وبعد ذلك سمعنا بمحفظ آخر يسمى الشيخ تقي يحفّظ القرآن بمكتب تحفيظ بأسمنت ومقره عند ضريح الشيخ أبو مدين وضريح أولاد شعيب هكذا كان الناس يسمون هذا المكان ، ومكثت به عدة أشهر ولم أحفظ به شيئاً له بال . ولعل أسماء هؤلاء أطلقت على هذه الأضرحة من باب الرؤيا .

ثم جاءت المرحلة الثالثة : حين فتح مكتب تحفيظ بالقرية وكان يتولى التحفيظ به الشيخ سيد الظهري عاصي ، إذن فهذا أولي بدلاً من مشوار أسمنت لدى الشيخ تقي لكنه لم يدم طويلاً، فأغلق المكتب وأوقف التحفيظ بالبلد .

ثم جاءت المرحلة الرابعة بمجئ شيخ محفظ من قرية أخرى يدعى الشيخ محمد أبو الراوي وأنشأ المكتب بديوان أحمد يونس أبو جبل ، وبعد مدة قصيرة أغلق المكتب .

ثم جاءت المرحلة الخامسة وفتح مكتب تحفيظ في ديوان أحمد عيسى والمحفظ فيه هو الشيخ محمد مرسي رجل كفيف ومن قرية تسمى بشلاو ، ولكنه لم يدم طويلا فأغلق .

ثم جاءت المرحلة السادسة بفتح مكتب تحفيظ مشترك للشيخين :سيد الظهري ،والطاهر طايع مأذون البلد وكان الاهتمام الأكبر فيه بتعليم كيفية القراءة والكتابة لكنه لم يدم طويلاً , وأغلق .

ثم جاءت المرحلة السابعة بالذهاب إلى مكتب جديد بأسمنت يقوم بتحفيظ القرآن فيه شيخان هما تقي والطاهر علي إبراهيم ، وقد طال ترددي عليه أكثر من غيره ، وأذكر أنه كان عندنا بنّاء في المنزل ولم نجد له مناولا يساعده في تناول الطوب ليبني ، ومع ذلك أصرت والدتي على الذهاب إلى كتاب أسمنت ولو توقف العمل بالبناء في المنزل ، مما أغضب خالي الكبير ، فقال لها غاضباً :ليه الإصرار على الكتاب هل هيركب ناظر ؟

وكلمة ناظر تطلق على كل مدرس بالمدارس الحكومية ، وكانت وظيفة مرموقة آنذاك ، ولم يدركها عندنا بالقرية إلا واحد فقط هو الشيخ أبو الحسن الذي ألحقه والده المقتدر هو وأخوه حسن بمدرسة المعلمين بقنا ، لكن حسن توفى الى رحمة الله وتعين الشيخ أبو الحسن مدرسا بمدرسة القبلي قامولا الابتدائية

وعلى آية حال أصرت الوالدة على ذهابي إلى الكتاب ولو لم يوجد المساعد للبنّاء.

ومما يذكر للوالدة في هذا المجال رحمة الله عليها – أنها كانت تعز الشيخ محمد مرسي الكفيف وتكرمه، وذلك بسبب أنه كان حين يأتي للمنزل

يمسكني بيده ويمتحني فيما أحفظه من القرآن الكريم ، ولذلك كنت إذا رأيتُه دخل المنزل أهرب بعيداً حتى لا أقع في يده ، وفي يوم من الأيام جاء الشيخ محمد مرسي إلى المنزل فوجدت فرصة للهرب منه وذلك بالتزويغ داخل زفة لعروسة أتى بها أهلها لزيارة الشيخ أحمد العراقي في ضريحه القريب من المنزل ولكن في شارع آخر وتوقعت الوالدة ذلك ، فدخلت وسط الزفة وأمسكت بي وحملتني فوق رأسها كما تحمل الزكيبة ،وعادت بي إلى المنزل وألقت بي من فوق رأسها على الأرض أمام الشيخ محمد مرسي ، فأمسك بي وطلب مني تسميع سورة الحاَقة ،فأسمعته إياها ولم أخطئ خطأ واحداً ، فقال : مادمت حافظاً فلم الهروب ؟ ولم أرد عليه لشدة الرهبة التي سيطرت عليّ حينئذٍ، وقد سرّت الوالدة بذلك .

وكان من عادة الشيخ تقي في هذا الكتاب أنه كان إذا أكرمه الله بختم القرآن لطالب من الكتاب فإنه يحاول أن يوزع الفرحة بذلك على مجموعة من القرى المجاورة ويحصل على مقابل مادي من كل منزل بقدر الاستطاعة ، فمن الناس من يقدم خمسة قروش ، ومنهم من يقدم قدحاً من العدس أو نصف قدح ، ، وبكل شئ مما يجود به الأهالي الذين نمر بهم ونقف أمام بيوتهم وقد حفظنا شيئا من الزجل الذي كنا نقوله أمام كل منزل ومنه :

صلوا على محمد نبينا :: هو الشافع فيكم وفينا

وبهذه المناسبة : لقد أكرمني المولى عز وجل علاه بخدمة زوجة الشيخ تقي بعد وفاته، إذ لم يخدم في الحكومة المدة التي يترتب عليها معاش لزوجته

وأهله، فجاءتني بالقاهرة وقمت بمسعى كلل بالتوفيق في تحديد مبلغ شهري (معاشا شهريا لها)

ثم جاءت المرحلة الثامنة حين ذهبت إلى مكتب تحفيظ بجوار ضريح الشيخ حسان بالحساسنة على بعد ثلاثة كيلو مترات ويشترك في التحفيظ فيه الشيخان محمد الراوي وفؤاد علي يس ، وكان العبء الأكبر على الشيخ محمد الراوي ، وبهذه المراحل كلها لم نصل في حفظ القرآن إلا إلى سورة الشورى بالجزء السادس من القرآن ، فحصل لدي ولدى والدي شبه يأس من إتمام حفظ القرآن فتوقفت عن البحث عن مكاتب التحفيظ .

وكانت الأتعاب التي يتلقاها المحفظون من طلاب التحفيظ شيئاً زهيداً وهو عبارة عن بتاوة من خبز الذرة العويجة الذي كان هو الطعام السائد في البلاد في تلك المرحلة وذلك يومياً وفي يوم الخميس على كل طالب أن يقدم قرش صاغ – هذه هي تكاليف التحفيظ إلى جانب ما يحمله الطالب من خبز لغذائه في الكتاب .

وهذه المراحل أخذت من عمري خمس سنوات كاملة وكان ذلك عام ١٩٤٩م

الاتجاه إلى العمل بالزراعة وتهيئة السبب الموصل لحفظ القرآن:

كان الاتجاه إلى العمل في الزراعة بعد هذه الجولة مع مكاتب تحفيظ القرآن وعدم تحقق المراد هو الاتجاه الوحيد، لذا فكر الوالد في أخذي معه إلى الزراعة لنشرب المهنة ولنستعد لفهمها وتحصيل خبرتها ، وكان أول يوم وآخر

يوم هو اليوم الذي ذهبت معه إلى المزرعة لنضع السماد للزرع وهذا يحتاج ممن يسمّد أن يملأ حجر ثوبه بالسماد ويحني ظهره ويلقى تحت كل زرعة مجموعة صغيرة من حبوب السماد ولا يرفع ظهره إلا بعد إلقاء كل ما في حجر ثوبه وكان ذلك في غاية القسوة على ظهري إذ شعرت في نهاية اليوم بأن ظهري قد انكسر ولا أمل في علاجه من شدة الشعور بالألم وليس في إمكاني أن أشكو أو أتضجر ، وإذ بالفرج يأتي في نهاية اليوم أو اليوم التالي الذي ليس به عمل ، يحضر إلى المنزل الشيخ سيد الظهري عاصي ويكتب ورقة توصية منه إلى الشيخ أحمد أبو الحاج يوسف وهو أول من بدأت الحفظ معه لكنه في هذه المرحلة انتقل مكتب التحفيظ إلى ما فوق المدرسة الابتدائية باسم { قسم الحفاظ} بالقبلي قامولا .

كانت المشكلة لدى المحفظين السابقين جميعاً أن كل محفظ يبدأ باختبار التلميذ القادم إليه عن مدى إتقانه في حفظه السابق ، فإذا ما أخطأ الطالب فعليه أن يبدأ التحفيظ من الفاتحة مرة أخرى وتكرر ذلك في كل مكاتب التحفيظ التي مررت بها .

لكن الشيخ أحمد بدأ معي من آخر شئ حفظته وارتقى بي إلى أعلى وغض طرفه عن الماضي ، فوجدت نفسي كل يوم عندي شئ جديد للحفظ وانفتحت شهيتي للحفظ بطريقة لم أعهدها من قبل .

واقعة أوقعها الوالد بي رغبة منه في تحفيزي في سرعة الحفظ :

سببها : كان المرحوم يوسف النوبي قد جلس مع الوالد وجرى بينهما حوار حول حالة تأخري في حفظ القرآن ، فقال المرحوم يوسف : كان القمّص قسطنطين يلبس الحبرة والعمة المزركشة التي يلبسها عادةً القمص بعد تنصيبه ولم يتعلم بعد اللاهوت، فقال المعلم لوالده : كيف يستوعب العلم وهو بهذه العظمة ، كيف يتتلمذ على رجل يلبس مثل لبسه ،فإذا أردت تعليمه فلا بد من خلع هذا الهيلمان ويقعد أمام المعلم كأي صبي بسيط حافيا بلا عمة ، ولا حبرة ، وقد نجح ذلك الدرس لمّا طبّق على قسطنطين .

لقد سمعت هذا الحوار ولم أدر أن هذا الدرس بكامله سيطبق عليّ ، وبعد أيام قليلة حدث إشكال بيني وبين عبد الباسط أحد البسطاء اللعبيين في القرية ، قمت بخلع صندلي الجديد من رجلي وضربته به ، فجاء رجل كبير يحجّز بيننا يسمى حسين أبو عابد ،وبعد انتهاء المشكلة ذهب حسين إلى الوالد وقال :إن أحمد وهو يضرب عبد الباسط بالحذاء جاءت الضربة فيّ وأنا أحجز بينهما، وعلى الفور بحث عني الوالد فوجدني عند عمتي حسانية فلم يتمكن من ضربي ، ولكن أمسك بالصندل الجديد فمزقه بأسنانه ، وكذلك أمسك بالشال والطاقية ومزقهما كذلك وأقسم باليمين : أني لن ألبس حذاءً أو ألبس شالاً أو طاقية إلا بعد أن أحفظ القرآن ، ومعلوم أنه كان بيني وبين مكتب قسم الحفاظ اثنان كيلو متراً ، وكان الشتاء قارصا فكيف يتحمله صبي في سن العاشرة وهو عاري الرأس حافي القدمين ، وسيأتي الصيف والأرض شديدة

الحرارة ،المهم أن اليمين قد سبق ولابد من الالتزام ولم تُجِد أي وساطات في التخفيف من ذلك .

وفعلاً التزمت بذلك مع المعاناة من برد الشتاء وحر الصيف ، ولكن المولى –عز وجل– أكرمني كرماً عظيماً لم يكن متوقعاً فقد أنهيت حفظ القرآن في عام واحد على يد الشيخ أحمد أبو الحاج يوسف حتى أنني أحياناً كنت أحفظ ربعين أي نصف حزب في اليوم الواحد وكانت المقارنة مذهلة كيف أحفظ ستة أجزاء في خمس سنوات ، وأحفظ أربعاً وعشرين جزءاً في سنة واحدة ؟ لكنها نفحات المولى جلّ شأنه ، وقد علم بحالي ومعاناتي فشرح صدري لإنهاء المهمة ويُلقى الفرح في قلب الوالدين اللذين كانا يتشوقان إلى أن يكون لهما ابن يحفظ القرآن كاملا ، وكانت لهما سعادة غامرة وقدّما إلى الشيخ أحمد أبو الحاج يوسف ما يستطيعان من الهدايا بمنزله،لأن قسم الحفاظ كان على نفقة وزارة التربية والتعليم . إلا ما يجود به بعض أولياء أمور الطلاب من نفحات عينية ، وما كان الشيخ رحمه الله يطلب من أحد شيئاً .

وظلت العلاقة بهذا المحفظ قوية ،حيث كنت إذا قدمت من القاهرة أزوره في بيته وكان الشيخ مع تقدمه في السن أحياناً يسبقني بزيارتي في منزلنا بالقرية حين يسمع بمجيئي وتوقفت هذه الزيارات بوفاته لكن الله تعالى جمعني به في رؤيا صالحة منذ سنوات قليلة ، حيث رأيتني أدخل غرفة نظيفة كانت مأوى لطلاب العلم تابعة لمقبرة آل بدر بقرية بلصفورة محافظة سوهاج وهي البلدة التي كان بها المعهد الذي التحقت به في المرحلة الإعدادية وسيأتي

الحديث عنه إن شاء الله تعالى ، وكان الشيخ نائماً يلبس الثوب الأبيض الذي تعود أن يلبسه في حياته ، واضعاً عمامته التي كان يلبسها أيضاً في حياته بجوار رأسه ، وكان في مقابله على المصطبة الأخرى شخصاً آخر ينام عليها ، فلما فوجئت به ، وضعت شيئاً كان بيدي وخففت حركتي حتى لا أوقظهما ، وخرجت ، وإذا بالشيخ يخرج في أثري لابساً عمامته وخفض رأسه وهو يسلم عليّ يريد تقبيل يدي، فكنت أنا أسرع منه بتقبيل يده ، ولكنه عاتبني بقوله لي : أين رسائلك ؟ وكلاماً بنحو ذلك ، فأولت الرؤيا بأني قصرت في الدعاء له وقراءة القرآن وهبته له . رحمه الله رحمة واسعة

مرحلة اللهو واللعب :

كانت هذه المرحلة – وهي مرحلة حفظ القرآن – هى نفسها مرحلة اللهو البرئ الذي كان يعهد من الصبيان في هذه المرحلة ، مثل أي صبي من تلك القرى الزراعية وهذا اللهو كان يمارس بالفترة المسائية بعد عودتي من مكاتب تحفيظ القرآن ، حين كنت أذهب إليها ، وحين كنت انقطع عن الذهاب إليها كان كل الوقت متاحا للعب واللهو ، ولا يوجد أي توجيه من أي أحد في تلك المرحلة ، ما عدا ما يقدم من نصح لحفظ القرآن .

نوعان من اللهو واللعب شغلاني أكثر من غيرهما في هذه المرحلة ,وهما: اللعب بالمُقل وصيد السمك

أما المُقل : فهو عبارة عن الثمرات التي تؤخذ من أشجار الدوم التي يكثر نباته في بلادنا بلا جهد يذكر من أحد بعد أن ينحت لبّه المغذي من

خارجه وتبقى نواته التي تشبه نواة التمر ولكنها أكبر بكثير من نواة التمر وهي جافة كنواة التمر .

وكنت مغرماً باللعب به ومتفوقا على كثير من أبناء قريتي في هذا النوع ، ولدي مخزون كبير- نسبيا- منه من خلال كسبي له من الصبيان الذين يلعبون به معي .

وكانت الآفة التي تؤرقني وتزعجني من هذه الانتصارات ؛ هي العادة السيئة التي كانت منتشرة في القرية في تلك الأيام وهي الانتهاب لكل المُقل الذي تم اللعب به وتم كسبه من أحد اللاعبين .

وإن أنسى لا أنسى ما حدث معي في صباح يوم جمعة ، حين بدأ اللعب مع عدد كبير من الصبيان ، وكان التصويب – الهدف- الذي نرمي إليه لنُصيبه ويكون علامة الانتصار في قاع الترعة أيام جفافها، واللاعبون على حافتها ، واشتد اللعب ، وقد حضر المرحوم عبد الرحيم عطية وكان كبير التجار في القرية واشترك معي في اللعب بالمقل الخاص بي ، وكانت كمية كبيرة جداً وكانت أعداد المقل الذي نضرب به على الهدف قبل أم يصاب كمية هائلة جداً حتى ذهب كل ما معي من المقل ، وإذا بي أصيب الهدف وكان عدد المتفرجين كبيراً جداً ، وقالوا : ديبة ، يعني هيّا لانتهاب كل المقل الذي تم اللعب به وكان جميعه من نصيبي ، لكن كل من جمع شيئاً منه حمله إلى بيته ، وحصل عندي شئ من الصدمة المختلطة بشئ من الذهول فلم أفلح في منعهم أو الحصول على شئ من ذلك المقل كله وكان ذلك يوماً مشهوداً لصبيان القرية .

والعبرة التي نخرج بها من ذلك : أن المكاسب التي تتحقق للمرء عن طريق اللهو أو اللعب مهما عظمت وتكاثرت ، فإنها ستكون في النهاية إلى لا شئ أو إلى فناء.

أما غرامي بصيد السمك : فكنت أقضي فيه الوقت الذي يخلو عن حفظ القرآن أو لعب المقل ، وكان ذلك متاحاً في كل الوقت الذي يخلو عن حفظ القرآن أو لعب المقل ، وكان ذلك متاحاً في كل الوقت لأن الترعة أمام الباب لا يفصلني عنها إلاّ الطريق العام – مصر أسوان الزراعي – يعني عدة أمتار، والسنّارة الواحدة أو المتعددة رخيصة الثمن وطعم السمك عبارة عن الدود الصغير الذي يوجد في الطين حول الآبار أو في جرف الترعة .

وسأكتفي في قصة صيدي للسمك بالإشارة إلى واقعتين : كان لطف الله وفضله عظيمين فيهما

أما الواقعة الأولى : فقد حدثت وأنا أبحث عن الدود في الطين حول بئر المسجد التي كنا نسميها بئر العادلي الذي كان يتولى إخراج الماء منها بالدلو المصنوع من الجلد لدورة مياه المسجد ، ولسقيا أهل المنطقة التي حول البئر .ونظراً لامتداد المدة التي تولى فيها العمل على هذه البئر ،فنسي الناس المهمة التي حفرت البئر لأجلها ونسبوها إليه .

وفي وقت بعد ظهر أحد الأيام – كان الهدوء يسود المكان لشدة الحر، توجهت إلى هذه البئر لأحفر في الطين الذي يحيط بها لأبحث عن كمية قليلة من الدود الذي أستخدمه طعما للسمك ، وقد تبعني صبي يقل في السن عني

قليلاً ، ليرى كيف استخرج الدود من ذلك الطين . وأنا أرفع الفأس الصغيرة نسبياً لمتابعة الحفر وهذا الصبي يطل برأسه في الحفرة ولم أنتبه له لانشغالي بالبحث عن أماكن الدود ، وإذا بسن الفأس يهوي على مقدمة رأس الصبي حتى أنه كان له صوت ارتطامه برأس الصبي فانفجر الدم من رأس الصبي بغزارة فصرخ الصبي وصرخت أنا بصوت أعلى منه ، وأخذت بيده إلى والدته وكانت زوجة المرحوم الدردير محمود أبو الحمد ، وهو أخ أكبر للعمدة وهذا الصبي هو محمد أصغر أبنائها فلم أشعر أنها انزعجت كثيراً ، بل كان انشغالها بتهدئتي أكثر من انشغالها بحالة ابنها الذي كان الدم يغطي وجهه وصدره ، ثم أتت بقليل من رماد الفرن الذي يصنع فيه الخبز وكبست به الجرح ، وتركتُه عند والدته وعدت إلى منزلي وأنا في حالة ألم وانزعاج شديدين ، وكان لطف الله عظيماً إذ شفى جرح هذا الولد بعد أيام قليلة والحمد لله رب العالمين

أما الواقعة الثانية : فتتلخص في أن سمّاكا دخل الدرب - الحارة - عندنا ، وخرج أهل الدرب لشراء السمك منه وكان السمك صغيراً وبقروشٍ قليلة ، وذهبت لوالدتي لتشتري لنا سمكاً كبقية أهل الدرب حتى أفرح كفرح الصغار من أهل الدرب بالسمك الذي اشتراه أهلوهم ، ولكن الوالدة أبت أن تتحرك بدعوى عدم وجود فلوس في البيت ، فحدث عندي غيظ شديد ، فخرجت إلى الطريق العام الذي تقع الترعة بعده وتقع عيني على سنّارتي التي كانت تهتز بشدة حتى لكأنها تريد أن تطفو على الماء فذهبت وسحبت الخيط الذي تربط به السنانير وإذ بي أفاجأ بثلاث سمكات تم اصطيادهن عن طريق هذه

السنانير في وقت واحد ، وكانت مرة أولى وأخيرة – من هذه السمكات الثلاث ، سمكتان كبيرتان تكفيان للعشاء في هذا اليوم والسمكة الثالثة صغيرة نسبياً تضاف الى وجبة العشاء في تلك الليلة المباركة واليوم المبارك حيث تجلى المولى سبحانه علينا بفضله وكرمه ، حيث كان العشاء عندنا على وجبة سمك كبيرة بينما بقية الدرب كان عشاؤهم على سمك صغير ، والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثالث

بداية الطريق إلى التصوف

يدخل في نطاق النشأة قبل طلب العلم الذهاب الى مجالس الذكر في القرية أو القرى المجاورة ، تلك المجالس التي يعقدها ويديرها رجل صالح يدعى الشيخ / أحمد محمود الطيب الحساني ، فهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان فضيلة الشيخ أحمد الطيب اجتمع بالقاهرة في بداية حياته بالإمام أبي بكر بن الإمام محمد الحداد العدوي ، و كان شيخا في الطريقة الخلوتية ، حيث تولى الشيخ أبو بكر قيادة الطريق بعد وفاة والده ، ثم تلقاها عنه الشيخ أحمد محمود الطيب ، ثم نقلها إلى الصعيد في منطقة الأقصر وما حولها من قرى ومراكز إلى جانب مناطق أخرى في مصر شمالاً وجنوباً .

كان الشيخ أحمد الطيب في المرحلة التي عرفناه فيها في سن متأخرة ، حيث كان في عقد الثمانين من العمر وقد مدّ له في العمر إلى أكثر من مائة عام ، وقد تلقى الأوراد عنه عدد كبير من أهالي القرية والقرى المجاورة وكان كفيف البصر ، لذا كان يقيم في القرية أياماً كثيرة ، حيث يبدأ مجلس الذكر من بعد صلاة العشاء عند صاحب الدعوة الذي كان يستعد لتقديم عشاء للحاضرين مع شراب الشاي.

كان المجلس يبدأ بقراءة المسبعات العشر ، حيث كانت تقرأ الفاتحة ، ثم قل أعوذ برب الناس ، ثم قل أعوذ برب الفلق ، ثم قل هو الله أحد ، ثم قل يا أيها الكافرون ، ثم آية الكرسي ، ثم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم الصلاة الإبراهيمية ، ثم الدعاء {اللهم اغفر ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات

الأحياء منهم والأموات } ثم الدعاء التالي { اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا وألآخرة مآ انت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم } ثم نذكر {يا جبار} احدى وعشرين مرة ، فهذه عشرة أنواع من الذكر كل نوع منها تكرر قراءته سبع مرات ولذلك تسمى المسبعات العشر .

ثم تبدأ المرحلة الثانية من المجلس بمجموعة من الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كان أبو البركات الدردير قد اختارها من اجتهادات كبار العارفين السابقين . حيث كان يبدؤها بمجموعة من الأدعية النبوية الثابتة مثل :{اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال }، ومثل { اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك ومن الخوف إلا منك وأعوذ بك أن أقول زورا أو أغشى فجورا ،أو أكون بك مغرورا ، وأعوذ بك من شماتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجأة النقمة ....} وهكذا...

ثم مجموعة من الصلوات من اجتهاد كبار الصوفية المتقدمين .

ثم بعد الانتهاء من هذه الصلوات يبدأ المجلس في قراءة الصلوات التي اجتهد في صياغتها الإمام أبو البركات الدردير ورتبها على حسب الحروف الهجائية ، ثم ينهيها بعدد من الأدعية المباركة : مثل {اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعاً ونوراً ساطعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء ونسألك

الغني عن الناس ، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين }

ثم بعد الانتهاء من هذه الصلوات يبدأ المجلس بقراءة المنظومة التي اجتهد أبو البركات الدردير في وضعها لقراءة أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين ، حيث صاغها في أبيات شعرية وقرن كل اسم منها بدعاء يتناسب مع هذا الاسم مثل :

ويارب يا رحمن هبنا معارفاً :: ولطفاً وإحساناً ونوراً يعمنـــا

وسر يا رحيم العالمين بجمعنا :: إلى حضرة القرب المقدس واهدنا

ويا مالك ملِّك جميع عوالمي :: لروحي وخلص من سواك عقولنا

وقدس أيا قدوس نفسي من الهوى :: وسلــم جميعي يا سلام من الضنا

ويا مؤمن هب لي أماناً وبهجة :: وجمّــــل جناني يا مهيمـن بالمنى

وهكذا ....

ثم يبدأ الذكر بالأسماء السبعة التي تلقاها المريدون على يد الشيخ حين اجتهدوا في أورادهم وهي : لا إله إلا الله ، ثم الله ثم : هو ، ثم : حق ، ثم : حيّ ، ثم :قيوم ، ثم قهار.

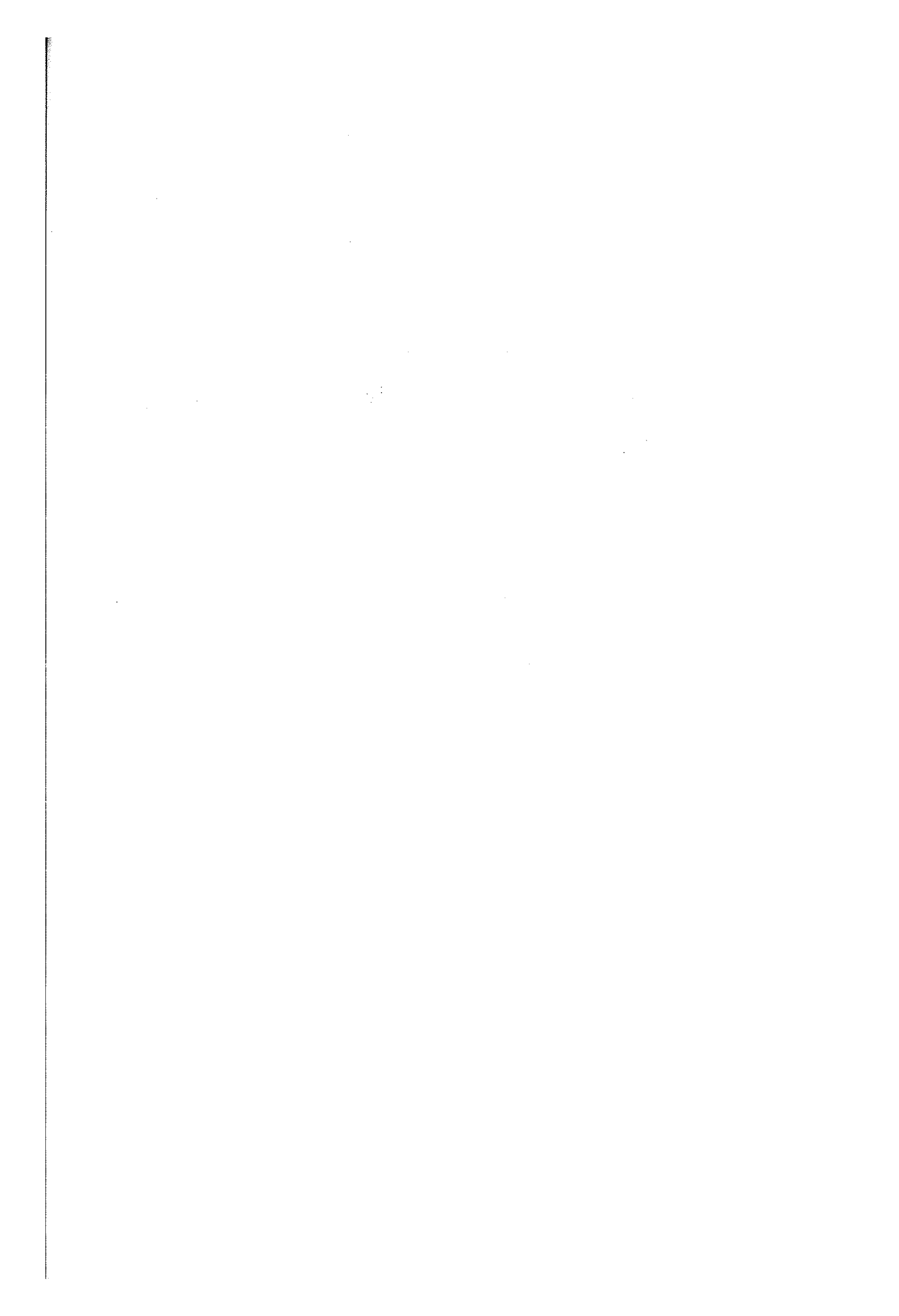
ومع الذاكرين يكون الإنشاد أو الحداء لتنشيط القلوب ، وتنشغل بالمحبوب رب العالمين جلّ علاه ويستغرق المجلس ساعتين غالباً قد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً .

بدأت أتردد على هذه المجالس منذ كنت في السابعة من عمري ، لأنها كانت بالليل وليس عندي ما يشغلني ، وكنت قد متعت بحرية الحركة في تلك المرحلة من عمري لمدة تسع سنوات إذ ظللت وحيد والديّ ، إذ كان قد مات من ولد من قبلي ومن ولد من بعدي ، حتى جاء أخي محمد عام ١٩٤٧م فلم يكن الوالد يمنعني أو يحول دون تحركي ، وحتى واصلت الذهاب إلى تلك المجالس في القرى المجاورة وحتى إلى تلك التي تبعد عدة كيلو مترات لأني كنت أذهب إليها مع عدد كبير من أولاد الشيخ الذين يذهبون إلى تلك المجالس ، بل كان الشيخ سيد الظهري وهو واحد ممن تتلمذت عليهم في حفظ القرآن كان أحياناً يخلع بفتته : ثوب أسود يلبس في المناسبات الهامة ويلفني بها في حالة برودة الجو.

ولمّا داومت على حضور هذه المجالس لفترة طويلة وحفظت جل هذه الصلوات ، كانوا يضعوني وسط المجلس لعلو صوتي وكان لهذا أثره في شدة ارتباطي بهذه المجالس ، وعدم تخلفي عنها ، وأحمد الله تعالى على توفيقه لي ، إذ ظل هذا الارتباط ملازما لي حتى يومي هذا ، بل حتى إذا تعذر ذهابي إلى المجلس أو لم يوجد مجلس كما في حالات سفري ، أوفق في قراءة المجلس وحدي في المكان الذي أتواجد به ، وأرجوا أن يكون ذلك سبيلاً لمرضات ربي عز وجل ، إذ لا يشتمل إلا على ذكر الله عز وجل والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في تلك المرحلة : حين ذهبت إلى طلب العلم في معهد بلصفورة الديني في المرحلة الابتدائية التي كانت توازي المرحلة الإعدادية في النظام العام وجدت إدارة المعهد تهتم بهذه المجالس ، إذ ليلة الجمعة من كل أسبوع يجمع الطلاب في مسجد المعهد الذي كانوا يجتمعون فيه كل ليلة للمذاكرة فيه ويقرؤون هذه الصلوات والمنظومة مع اختصار مرحلة الذكر ، وفي أيام الأجازات كنا نجتمع في الحجرة الملحقة بمقابر آل بدر في ليلة الجمعة لنقرأها كذلك .

وظل هذا الارتباط بهذه المجالس إلى وفاة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد محمود الطيب عام ١٩٥٤ م حيث انتقل الإرشاد وتلقين الأوراد إلى ابنه العارف بالله تعالى : الشيخ محمد أحمد الطيب وحينئذٍ بدأت مرحلة جديدة في السير في هذه الطريق ، وهذا سيكون له لقاء خاص ان شاء الله تعالى .



الفصل الرابع

مرحلة الدراسة لما قبل الجامعية

أولا : مرحلة الدراسة الابتدائية كما كانت تسمى هذه المرحلة ، وهي المرحلة الإعدادية ، لأنا ننتقل منها إلى المرحلة الثانوية ، وقد سميت فيما بعد بالمرحلة الإعدادية .

بدأت هذه المرحلة بالتقدم إلى معهد بلصفورة الديني ، وكان شرط التقدم يعتمد على حفظ القرآن الكريم كاملاً ثم تعلم مبادئ الرياضيات وهي الجمع للأعداد والطرح والضرب والقسمة .

رحلت إلى امتحان القبول في غضون عام **١٩٥٢** قبل الدراسة بعدة أشهر بصحبة ثلاثة من الصبيان هم : محمود أحمد عبد الرحيم ، ومحمد الطاهر عثمان ، ومحمد حسن يحي ، وكان هناك رجل عنده أربعون عاماً ذهب معنا طالباً للعلم اسمه عبدالله النوبي سباق ، وذهب في صحبتنا لرعايتنا الشيخ أحمد عبد الرحيم وكان من مريدي الشيخ أحمد الطيب بل كان مستفتحاً للمجلس – المستفتح هو الذي يبدأ المجلس ويرعاه وينظم القراءة في المجلس كما يراعي النطق بالأسماء التي يرددها الذاكرون والمراحل التي يمر بها كل اسم من تلك الأسماء من التأني إلى التوسط إلى السرعة في النطق ، ثم ينظم الانتقال من ذكر اسم إلى آخر .

وصحبنا أيضاً لمهمة الرعاية الشيخ الطاهر عثمان ، وكان أيضاً من محبي الشيخ أحمد الطيب وكان يعمل مأذوناً بالقرية كما يقوم بالخطابة في المسجد الغربي الذي يوجد بالقسم الغربي من القرية ويشتهر بالكوم .

وقد وفقنا في امتحان القبول بحمد الله تعالى وعدنا لتجهيز أنفسنا للقيام بأول رحلة لطلب العلم ، وكان التجهيز يتكون من كساء جديد ، وخبز قمح يصنع أرغفة ثم تحمص لتعيش معنا فترة ثلاثة أشهر أو أربعة ، وهى فترة نصف العام الدراسي قبل إجازة نصف العام الدراسي ، ومبلغ من النقود لندفع منه أجرة السكن وثمن الكتب والإدام الذي نشتريه في كل صباح من الذي يبيع الفول للإفطار ، وكان لا يتعدى قرش صاغ في اليوم ، وإذا أردنا أن نوفر قيمة إدام اليوم نكتفي بتناول نصف طبق الفول ، وفي اليوم التالي نضع عليه قدراً من الملوخية الجافة مع تسخينه على النار قليلاً ، وبذلك نكون قد وفرنا جزءاً من مصروف اليوم ، أما وجبة الغداء والعشاء فالغالب أنها من طبيخ العدس الذي نطبخه على موقد الجاز ، وقليلاً ما نشتري قدراً من اللحم لنتغدى به بين الحين والحين ، كما نحتاج إلى النقود لشراء الكتب الدراسية التي كانت أسعارها متدنية ما بين الخمسين قرشاً والمائة ، لذلك كانت العشرة جنيهات تكفيني للإنفاق منها طوال نصف العام الدراسي .

لماذا طلب العلم في معهد بلصفورة ؟وبينها وبين قرانا بالأقصر مائة وخمسون كيلومتراً بينما معهد قنا الديني بيننا وبينه أربعون كيلو متر فقط ؟.

سبب ذلك : أن هذا المعهد كان تحت إشراف الأزهر ، فلم تكن اللوائح التي تنظم القبول في تحديد سن القبول محل رعاية ، فكان يقبل الطالب مهما كان عمره ما دام حافظا للقرآن ، وكان قد سبقنا الى هذا المعهد من القرية ثلاثة إخوة كانوا متقدمين في السن هم : الشيخ أحمد سليم عبدالرحمن ، الشيخ عطا حسنين محمود ، الشيخ كامل حسن أحمد ، لذا كان ذهابنا إلى هذا المعهد لنكون

في رعاية هؤلاء الأخوة ولا بأس من تحملنا مشقة السفر نظير أن نحظى بهذه الرعاية ، والحمد لله تمتعنا بها فعلاً لكن في السنة الأولى فقط حيث انتهت المدة الدراسية للشيخ أحمد سليم الذي كان مشغولاً برعايتنا حقيقة ، ثم انفرط العقد في العام التالي حيث تركتُ هذه المجموعة واخترت السكن مع طالب من كيمان المطاعنة يدعى صديق رضوان أحمد الذي طالت صحبتي له إلى وفاته رحمه الله قبل سنوات قليلة من الآن .

بلصفورة : قرية كبيرة متطورة كان يزيد سكانها في ذلك الوقت على ثلاثين ألفاً تحيط بها الزراعة من كل جهاتها وبينها وبين سوهاج ما يقرب من عشرة كيلو مترات ، وبها محطة للسكك الحديدية تقف بها القطارات غير السريعة لذلك كنا نصعد إلى القطار ثم منها إلى محطة جرجا ، ومن هناك نركب القطار السريع الذي يصل إلى الأقصر خلال أربع ساعات فقط .

مكونات المعهد : مباني المعهد كانت بسيطة ، حيث كانت الحجرات فوق المسجد الذي كان يوجد بجوار مقبرة آل حمادي ، حيث كانت هذه العائلة الكبيرة تمثل صلب القرية .

كانت إدارة المعهد في يد أبناء المرحوم الشيخ أحمد على بدر ، أكبرهم الشيخ علي أبو المواهب ولم يكن يحمل شهادات رسمية وكان يدرس لنا الفقه بالسنة الثانية ، وثانيهما : الشيخ جمال الدين وكان شيخا للمعهد بقرار من الأزهر ، وثالثهم : الشيخ زكي الذي تولى مشيخة المعهد بعد قرار الأزهر بنقل الشيخ جمال ليكون شيخا لمعهد أولاد طود بالبر الشرقي لنهر النيل .

كلمة لوجه الله تعالى : ما رأيت في حياتي شخصا واحدا يحمل همّ مؤسسة علمية بمفرده مثل الشيخ جمال الدين ، نعم : كان الشيخ يقوم بواجبه

في تدريس النحو والصرف والمحفوظات والرياضيات ، والشيخ علي يتولى تدريس الفقه المالكي للسنة الثانية ، والشيخ محمد الحداد الجزيري – من جزيرة شندويل – الذي كان ضليعا في تدريس الفقه المالكي للسنة الأولى ، وله في ذلك كتاب عنوانه : المنح البدرية ، وكذلك كان له كتاب في فقه السنة الثانية الذي كان يدرّسه الشيخ علي أبو المواهب كما درس لنا الشيخ الحداد كتاب : كفاية الطالب الرباني ، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للسنة الثالثة والرابعة . وكانت معيشته متواضعة حيث كان يذهب إلى بلده في يوم الخميس ويعود في مساء الجمعة ومعه سبت به مجموعة من الخبز المحمّص الذي يكفيه لمدة أسبوع وهكذا ، وكان آل بدر يعطونه أجرة بيت قديم لهم شهرياً ليعاونوه به على هذه الحياة البسيطة .

أما عطاء الشيخ جمال فكان لا حدود له حيث كان يأتي في الصباح ليقف فوق المسجد وسط حجرات الدراسة ليرى الفصل الذي ليس له مدرس ليدخله ويدرس المادة المقررة عليهم في هذا الوقت فإن كانت نحواً شرحه لهم وإن كانت رياضةً درّسها لهم .

وبمناسبة الرياضة : كان الشيخ جمال هو الوحيد الذي ضربني على رجليّ بعد أن مدتْ وربطتْ بحبل وأمسك بي طالبان فضربني خمس ضربات والسبب : كان معي في السكن محمد حسن يحي ومحمد الطاهر عثمان ، وكانا ضعيفين في الرياضة ، وطلب مني الشيخ أن أساعدهما في حل الواجب ،وإفهامهما القواعد التي شرحها في الدرس أو أذهب معهما إلى بعض الطلاب ليساعداهما لكنهما في المنزل تصرفا ضدي تصرفاً غير لائق بالأخوة وما ينبغي

أن يكون التعامل مع أخ تطوع لمساعدتها ، لذلك أبيت أن أساعدهما في حل الواجب وتفهيمهم قواعد الدرس ، فذهبا في الصباح إلى المعهد دون حل للواجب أو فهم لتلك القواعد ، وقالا للشيخ: إنني لم ألتزم بوصيته لمساعدتها لذلك قام الشيخ بضربي لأجل ذلك .

ولم يترك ذلك أثراً في نفسي لشعوري القوي بشدة إخلاص الشيخ جمال في القيام بالمهام الثقيلة في المعهد إذ لم يمنح الأزهر هذا المعهد إلا مدرساً واحداً ، هو الشيخ محمود رضوان من جرجا وأتي المشايخ بالشيخ أحمد مهران من الصلعة لتدريس السيرة النبوية ، وأستاذ اسمه إبراهيم معار من الوزارة لتدريس الصحة. هؤلاء هم هيئة التدريس بالسنوات الأربع فلذلك كان إعجابي وإشفاقي على الشيخ جعلني لا أهتم بهذه الواقعة كما اهتم بواقعة حدثت معي من الأستاذ إبراهيم مدرس الصحة ، حيث ذهبت إلى دورة المياه وجئت متأخراً وكان قد أغلق باب الفصل من الداخل فطرقت بيدي على الباب عدة مرات وقلت: ربنا يهديك يا سيدنا الشيخ ، وإذا به يخرج غاضباً ويضربني على وجهي عدة مرات عديدة وكلما أتأخر عنه لأتفادى هذه الأقلام التي تنزل على وجهي يتبعني ويستمر في ضربي على وجهي .فهذا الموقف الذي ترسب لدي وأحاول أن أتناساه ولكن دون جدوى ، لأن هذا الضرب لم يكن له سبب سوى قولي له (ربنا يهديك يا سيدنا الشيخ) .

بقية عطاء الشيخ جمال : كان يدخل كل فصل به مادة مقررة وليس لها أستاذ سواء كانت خطاً أو إملاء أو جبراً أو هندسة وهكذا يستمر في العطاء والتدريس حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ويصل الى مرحلة الإنهاك والإعياء ، فيعاونه البعض حتى يصل إلى البيت ، ثم بعد المغرب حين يحس بشئ من

النشاط يخرج ليدور على الحجرات التي يسكنها الطلاب في بيوت الأهالي ليرى هل يلعبون أم يذاكرون ، هكذا كان دأبه.

العلاقة الخاصة التي ربطتني ببيت الشيوخ آل بدر وسببها :

كان الشيوخ الثلاثة يسكنون بيتاً لهم مكوناً من طابقين كل منهم يقيم في ركن منه ، وفجأة انهدم أحد أركانه ولم يصب أحد منهم فما كان من الشيخ علي إلا أن يعود الي بيتهم القديم ليقيم في أحد أدواره ، أما الشيخ زكي والشيخ جمال فرحلا الى سوهاج ليقيما بها .

وصار البيت خالياً وهو معلوم لأهل معارفهم من خارج البلدة ، فمن يأتي إليهم إنما سيأتي إلى هذه الدار، فمست الحاجة إلى اختيار من يتولى عمارة البيت لأمرين : أولهما الاستراحة مؤقتاً في المضيفة بالمنزل حتى يفكر في اللقاء بهم في مساكنهم الجديدة ، ثانيهما : عمارة البيت حتى لا يسكنه الجن مستغلاً السكون والظلام المخيم عليه ومع حراسته من سطو اللصوص عليه ، فوقع الاختيار على الفقير وعلى زميلي موسى رضوان من المطاعنة ، وكان يلقب بصديق ، وكان هذا الرجل من خيار الناس حيث استمرت أخوتنا حتى رحل إلى ربه منذ سنوات قليلة ، وكان المرحوم الشيخ علي يمر علينا بين الحين والحين ليطمئن علينا وعلى قيامنا بالمهام الموكولة إلينا ، وقد أنقذنا الشيخ علي من مسغبة مرت علينا وعلى كل الطلاب – القبالوة– كما كانوا يسمون – وهم القادمون من محافظات أسوان وقنا الى المعهد ، فلما شعر بحالتي ومعي زميلي أتى إلينا بالخبز حاملاً له على رأسه لكثرته ، كما حدث أن نفذت النقود مني

ومعي زميلي في رحلة من رحلاتنا إلى سوهاج ، وكان الوقت متأخراً بالليل ، فذهبت إلى الشيخ جمال في بيته هناك وقلت له : ليس معنا أجرة القطار فأعطاني خمسة قروش ، فدفعنا ثلاثة قروش ثمناً لتذكرتين إلى بلصفورة وبقى معنا قرشان ، انتفعنا بهما ، وكان القرش الواحد له قيمة حينذاك ، وهكذا مرت الأيام هادئة طيبة في ظل هؤلاء الشيوخ الكرام ، ومما يذكر للشيخ زكي : في السنة الأولى وكنا صغاراً مع الشعور بالغربة ، فكان يحمل راديو كبير معه إلى المعهد في المساء ونجلس معه لنسمع الأخبار وغيرها إلى قرب منتصف الليل ، ثم نعود إلى بيوتنا أما السنوات التالية فكنا نذهب بكتبنا إلى المعهد بالليل للمذاكرة وفي ليلة الجمعة نبدأ بعد صلاة العشاء في مسجد المعهد بقراءة صلوات ومنظومة الشيخ الدرير ثم نذكر الله تعالى بصيغة (لا إله إلا الله) حوالي نصف ساعة ثم نقرأ الفاتحة ونعود إلى مساكننا.

وظلت العلاقة قوية مع الشيخ جمال لأنه كان ينتدب فيها بعد للإشراف العام على امتحان الثانوية الأزهرية بمعهد القاهرة الأزهري الثانوي ، فبعد عودته من الإشراف على اللجان يعود إلى فندق رضوان بالقرب من مسجد الإمام الحسين فكنت أذهب إليه حيث كنت معيداً بالكلية وكان يسعد حين يراني ، لأني أمثل جزءاً ناجحاً من رسالته التي كان يحملها في معهد بلصفورة لكن كان يلاحظ عليه الشعور الدائم بالتعب والنوم الدائم على السرير ، فسألته عن ذلك فأخبرني ان المرض مصاحب له طوال حياته منذ أن كان طالباً ، ولكنه يحاول أن يتغلب عليه من خلال حركة العمل .

كما لفتت نظري بساطته في الحياة ، فقلت : يا سيدنا الشيخ : أنتم طلقتم الدنيا فتبسم وقال : إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، يا بني : متى تزوجناها حتى نطلّقها ؟

من ذكريات معهد بلصفورة :

أننا كنا نحفظ بعض العلوم قبل أن نتلقاها من شرح المدرس وحدث في السنة الثانية أن اخترت السيرة النبوية فحفظتها قبل منتصف العام ، واختار أخي محمود أحمد عبد الرحيم كتاب التاريخ الفرعوني فحفظه ، ثم نفاجأ بقرار من الأزهر بإلغاء التاريخ الفرعوني واستبداله بالتاريخ الإسلامي فما كان من محمود أحمد عبد الرحيم إلا أن يربط شاله بوسطه من شدة حزنه على جهده الذي بذله في حفظ التاريخ ثم ذهب هذا الجهد كله مع الريح ، وخلال حركته كان ينطق بالألفاظ التي يسبّل بها أهالي البلاد على موتاهم ، أما فرحتي بحسن اختياري فلم يكن له حدود .

أما الآثار التي بقيت من هذه المرحلة فهذه النخبة الصالحة من أبناء الشيخ جمال الدين بدر وهم : د/ محمد أشرف ، د/ محي الدين ، د/ حسام الدين ، د / صلاح الدين وهم جميعاً أساتذة في جامعة الأزهر وإني سعيد بهم وبهم يضرب المثل بأن الأرض الطيبة إنما تنبت نباتاً طيباً ، كما بقى الشيخ فراج فهو شيخ دعوى في الرزيقات ، وكذلك د/ محمد أمين أبو بكر أستاذ بكلية أصول الدين بالقاهرة ، والشيخ محمد حسن يحي آثر الإلتحاق بمعهد المعلمين ليجد له مكاناً في وزراة التربية ، والشيخ محمود أحمد عبد الرحيم حاليا على

المعاش بالقاهرة ، ومحمد الطاهر عثمان فشل في الحصول على الإبتدائية والتحق بالشرطة وهو الآن محفظ للقرآن بالقرية بالغربي قامولا .

ثانياً :المرحلة الثانوية التي بدأت منذ عام ١٩٥٦م الى عام ١٩٦١ م بمعهد قنا الديني الثانوي وكانت مرحلة خصبة في حياتي العلمية والعملية ، إذ كان بمعهد قنا مجموعة من الأساتذة ربما يعزّ وجود أمثالهم في الكليات ، من أمثال الشيخ على المغربي الذي درّس لنا الفقه المالكي في السنوات الثلاث الأولى ، والشيخ منّاع الذي درّس لنا المنطق ، والشيخ / محمد نور الذي درّس لنا التفسير ...وغيرهم .

كما انفتحت لي نافذة إلى قراءة الكتب الأدبية فاستفدت من مكتبة الجامعة الشعبية بقنا أيما استفادة .

كما سعدت بصحبة الشيخ أحمد سليم إذ أدركته بمعهد قنا الثانوي قبل رحيله إلى القاهرة ، كما لاحت لي منافسة مع زملاء لي في المعهد دون قصد مني ، فبظهور نتيجة السنة الأولى وكان ترتيبي الأول فيها سمعت الهمسات من بعض الزملاء الذين كانوا بالمعهد الابتدائي ثم انتقلوا إلى الثانوي مع حضوري إلى المعهد منتقلاً من معهد بلصفورة إلى الثانوي معهم ، كيف يأتي أحمد من بلصفورة ويتقدم علينا ، ثم زاد هذا الهمس حين قدّم لي شيخ المعهد أعداداً من مجلة الأزهر تكريما لي بسبب تفوقي وحصولي على الدرجة العليا في السنة الأولى .

-هذا الهمس مع التكريم ؛ أعطاني دفعة قوية إلى بذل المزيد من الجهد في المذاكرة ثم أضيف إلى ذلك أن كنت أحد الطلاب الذين يقفون أمام زملائهم في طابور الصباح ، ويلقى عليهم كلمة تشتمل على نصيحة ، أو موعظة ، أو

الحث على الانضباط ، أو بيان قدر العلم والعلماء ، كل ذلك شكل عندي مجموعة من الحوافز لبذل الكثير من الجهد رغبة في التفوق ، بعد ظهور الإحساس بالمنافسة من قبل بعض الزملاء الذين تراجعت أسماؤهم في موكب المتفوقين ، بعد اقتحامي لهذا الموكب بل وتقدمي عليه ، وكانت النتيجة أكبر بكثير مما كنت أتوقع أو يتوقع الآخرون ، فقد ظهرت نتيجة امتحان السنة الثانية ، وإذ بدرجاتي تقفز الى أزيد من عشرين درجة عن أقرب المنافسين لي ، وكان يدعى أحمد شوقي من جهتنا من الأقصر ، وكان ذلك مع استمراري في الإقتراب من الكتب الأدبية لكن بحيث لا تأخذ جزءاً من الوقت المخصص للمذاكرة .

تأتي السنة الثالثة ومعها عامل مثبط للهمة ؛ إذ يشتد ضغط الوالدين بضرورة زواجي وكنت غير راغب في ذلك لكن الوالد حسم هذا الموقف بحلفه بالطلاق ، وتحدد موعد الدخول بعد الإمتحان في إجازة الصيف ، وتم فعلا دخولي على ابنة خالي التي كانت مرشحة لي ، وظهرت النتيجة نعم كنت متقدما على الجميع لكن بدرجات متواضعة .

دلفت إلى السنة الرابعة وأنا مشغول ذهنياً بسبب شدة الضغط الذي مورس عليّ في موضوع الزواج ، نعم لم أكلف شيئاً ولم يكن لهذه الزوجة طلبات أو حتى أحلام والوالد لم يشغلني بشئ في موضوع الزواج حتى الجهاز هو الذي اختاره كأحسن جهاز لعريس في القرية ، مع إقامة حفلة في الديوان ليلة العرس يحييها الجماعة المو الدية الذين يستقدمون من مدينة قوص ، وذلك

لحداء والقصائد التي تمدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، مع تقديم العشاء لكل من يحضر لاستماع هؤلاء .

-ولم أشعر بتغيير يذكر في حياتي ، فانتظمت في الدراسة كالمعتاد، لكن لازمني الانشغال الذهني كيف لم يؤخذ رأيي في أهم شئ في حياة الإنسان وهو الزواج ، والذي ينشئ شراكة مستمرة طوال العمر بل حياة الإنسان تتشكل حسب ظروف الحياة المشتركة التي ستدعم فيما بعد بالبنين والبنات فأصبت بالسرحان الذهني المستمر؛ حتى أن المدرس ينادي الأسماء لقيد الحضور لا أسمعه فيكتبني غائباً وأنا حاضر بالفصل ، وكان زميلي في الفصل ومقعده بجواري الشيخ محمد محمد أحمد الطيب فاستغل انشغالي وكان هو يشغلني ببعض الكلمات حتى يقيدني المدرس غائباً وأجد رقمي على السبورة غائباً ، فأنادي على الشيخ علي المغربي رحمه الله : إني حاضر ، فيقول رحمه الله : يا أحمد لو نزل سيدنا جبريل من السماء وطلب مني قيدك حاضراً لن أستجيب.

لكن مع ذلك حافظت على تقدمي في النتائج في آخر العام وانتهت السنة الرابعة وأكرمني الله بولد سميته محمد وبيني وبينه عشرون عاما فقط لأني دخلت على أمه وعندي تسعة عشر عاماً وكان ذلك عام **١٩٥٩** وولد في **١٩٦٠**.

انتقلت إلى السنة الخامسة بزوجة وولد وكانت السنة الخامسة في الأزهر ومثلها في الثانوي العام هي سنة المستقبل ؛ إذ بها يتحدد المسار في التعليم العالي الذي يحلم به الجميع، لأنه وراؤه ما وراؤه من الوظيفة والزواج والأولاد والظهور في المجتمع .

إلا أن هذه السنة كانت شديدة الوطأة على أصحاب الثانوية نظراً لأن المرحوم جمال عبد الناصر دخل في عدد من الحروب المتواصلة وبعضها فرضت عليه ، فتوقفت التعيينات منذ عام ١٩٥٥ فكل من ينهى المرحلة الجامعية يعود إلى بيته وأهله ، ونحن الآن في عام ١٩٦٠/ ١٩٦١ فالأفق العام مظلم وليس هناك بارقة أمل تشعر بشئ من التفاؤل .

بالنسبة لي ولزملائي وُجد لدينا بصيص من الضوء في آخر النفق – كما يقال في المثل – إذ يوجد نقص في مدرسي اللغة العربية في وزارة التربية لأن اللغة العربية تعني :النحو والصرف والمطالعة والمحفوظات والأدب ،ومن هنا ارتكز الجميع على هذا الأمل وصار كأنه حقيقة واقعة وصارت كلية اللغة العربية هي الحلم لكل منّا ، وبذل المزيد من الجهد في مذاكرة موادها هي الشاغل للجميع ؛ وهى مواد النحو والصرف والأدب والبلاغة والإنشاء .

وهذا أيضا شغلي الشاغل وزاد من همي أن صرت صاحب زوجة وولد ، وأن الوالد لم يكن صاحب ثروة تتحمل الإنفاق المتسع لسنوات وسنوات ، خصوصاً وأنه في هذه المرحلة كان ينفق على أسرة أخيه حيث كان يعولهم إعالة كاملة ، كل ذلك حوافز كانت تدفعني لبذل المزيد من الجهد ومواصلة السهر وقد أعطينا فرصة للذهاب إلى القرية ومواصلة الاستعداد والامتحان بعد شهر ونصف تقريباً .

حادث لم يكن في الحسبان يهبط من هذا الجهد :

في فصل الشتاء وأختي سعاد مع بقية الأسرة يلتفون حول الموقد المشتعل وإذ بالنار المشتعلة تمسك بثياب أختي ذات الخمس سنوات فتصيبها بحروق شديدة في أجزاء من جسمها الداخلي فيحملها الوالد والوالدة إلى طبيب يدعى كمال الضبعاوي بالأقصر للعلاج ، وكان الوالد له بقالة صغيرة

يعمل بها إلى جانب أرضه ، فأصبحت فجأة في خضم من المشاكل طوال النهار ، أثر على الذاكرة ولا أملك إلا البكاء الطويل بالليل ، ويتكرر ذلك يومياً والزمن يجري ، والامتحان يقترب ، والآمال والأحلام تنهار ، وأخيراً قررت أن انسحب من هذه المعمعة بأن آخذ كتبي وأرحل إلى الأقصر وأجلس في العيادة إلى جانب أختي وآتي لها بمطالبها وأذاكر والوالد والوالدة يرحلان إلى القرية لرعاية مصالح الأسرة فهو أعرف بها ، وفعلاً نفذت ذلك ، وشعرت بشيء من الراحة النفسية والبدنية وبدأت إكمال المسيرة لتحقيق الآمال والأحلام ، واتخذنا قراراً بنقل أختي إلى المنزل بالقرية وإتمام علاجها بها مما حفزني إلى السفر إلى قنا قبيل الامتحان ، وكان قد عاودني السرحان مع عدم القدرة على التركيز في المذاكرة فأكرمني الله تعالى بصحبة الشيخ محمد محمد أحمد الطيب زميل الدراسة حيث اجتمعنا معاً في منزل الحاج فخري بقنا رحمه الله ، فكان الشيخ محمد يقرأ في الكتاب وأنا أسمع ، ثم بعد الإنتهاء من المسألة نحاول أن نأتي بموجزها كنوع من الاطمئنان على فهمها ، واستمر الحال على ذلك حتى نهاية الامتحان .

{ المفاجأة التي أتت بالحسرة والحزن والألم ، ثم كانت عاقبتها الفضل العظيم والخير العميم الذي أعيش فيه أنا ومن حولي حتى الآن وأرجوا أن يلحظني في آخرتي بفضله تعالى وكرمه }.

هذه المفاجأة تمثلت بظهور نتيجة الإمتحان بأني لم أنجح في مادة الإنشاء ولابد أن يعاد امتحاني فيها في اختبار الملحق بعد شهر، كانت هذه النتيجة كافية لإنهيار كل الآمال والأحلام العالية ، شأنها شأن المباني التي ارتفعت في السماء ولكنها كانت مقامة على رمال ناعمة متحركة فهوت بكل قضّها وقضيقها فلم ينتفع منها بشئ

دخلت اختبار الملحق ونجحت ومعلوم أن النجاح في الدور الثاني لا يحصل الطالب فيه إلا على الدرجة الدنيا التي تنقله من حالة الرسوب إلى النجاح فقط وكان ذلك مما ضاعف حجم الكارثة ، وقضي على حلمي في النهوض واللحاق بالركب ، وذلك أن كلية اللغة العربية لا تقبل إلا المتفوقين في المواد الخمسة السابقة : النحو والصرف والأدب والبلاغة والإنشاء، وبما أني لم أحصل على درجة عالية في الإنشاء فليس لي الحق في دخولها، وفعلاً أزيحت أوراقي من ملف كلية اللغة العربية إلى كلية الشريعة والقانون بالقاهرة ، لأن درجاتي في الفقه تؤهلني لدخولها وبمجرد وصول هذا النبأ إليّ أصبحت مضطراً للبحث عن عمل من الآن ، بعد أن ضاع الأمل في الحصول على وظيفة مدرس لغة عربية بعد التخرج ، وبذلك انتهت مرحلة التعليم الثانوي .

وجاء الآن دور التعليم في المرحلة الجامعية وذلك له لقاء آخر إن شاء الله تعالى .

من الذكريات العالقة بالذهن من مرحلة التعليم الثانوي :

كان المرحوم الشيخ محمد نور العبادي متقدم جداً في السن حتى أنه كان يقع من الكرسي الذي كان يجلس عليه أثناء الدرس ، وكان يدرّس لنا التفسير وكانت له غنوة لابد أن يقولها بطريقة غناء الصعايدة وبلغتهم وهي :

انا وقع هوايا في أبو املاية :: وروّح إنت يا أبو شال

١- كان الشيخ حسن علي مدرس الأدب والبلاغة وكان لا يحب أصحاب اللحى وكان لنا زميل رجل صالح له لحية خفيفة يدعى فخري مالكي المذهب كمعظم الصعايدة - أحبه الشيخ محمد الطيب فيما بعد وزوجه بإحدى بناته — كان إذا كان دخل الشيخ فخري على الفور؛ يبدأ الشيخ عليّ في الحكاية التالية (سيدنا رضوان واقف على باب الجنة فإذا جاء الحنفية يرحب بهم ويقول لهم تفضلوا تفضلوا، ثم يأتي الشافعية وهم ظراف نضاف فيقول لهم : تفضلوا تفضلوا ثم يأتي الحنابلة وهم ظراف نضاف فيقول لهم : تفضلوا تفضلوا ، وهناك يأتي المالكية متأخرين يكرّون في لحاهم وصلاصيخهم — يعني شباشبهم المقطعة — فيقول لهم : خلاص امتلأت ليس لكم مكان فيها).

وهذه الحكاية لابد أن تقال في كل محاضرة يحضر فيها الشيخ والطالب : وكان الاثنان مواظبين وكان الشيخ بعد أن يقول الحكاية يستمر في الضحك باهتزاز على كرسيه ، والطلاب ما بين ضاحك ومبتسم ومنهم الشيخ فخري نفسه .

٢- كان دأبي الانضباط في الامتحانات وكنت بالسنة الثالثة بمعهد قنا وبعد أن انتهيت من امتحان مادة التاريخ وقمت لتسليم الورقة حضر مدرس

من المطاعنة ، وطلب مني البقاء لمساعدة إخواني الطلاب كما قال ، فامتثلت وبدأت أُملي عليهم وإذا بالشيخ صدقي – وكان يقال له صدقي العمدة –لأن والده كان عمدة بإحدى قرى فرشوط يلمحني ويأتي إليّ مسرعاً ويضربني بيده على وجهي بشدّة ولم أستطع أن أقول له : إني أُمرت بذلك ، وحمدت الله أنه اكتفى بذلك ، ولم يكتب لي محضراً يلغي به امتحاني ، وكان ذلك درساً بليغاً.

٣- كان السكن والمعهد قريبين من مسجد سيدي عبد الرحيم القنائي فكنت مع بعض الزملاء أيام الامتحانات نذاكر فيه – ما عدا السنة الخامسة – فكنا نأتي المسجد قبيل صلاة العصر بثلث ساعة بالضبط وننام أمام الباب الذي يؤدي إلى دورة المياه ، بحيث لا يستطيع أحد أن يدخل للوضوء إلا إذا أيقظنا وثلث الساعة هذا كان فيه البركة حيث كنا نظل نذاكر إلى الساعة الثانية أو الثالثة صباحاً وذلك طوال أيام الامتحانات .

٤- كان الشيخ محمود عوض مدرس النحو حاضر البديهة ، ودخلنا الحصة وتأخر الأخ محمد حسن يحي ولما جاء ينهج قال الشيخ : إنه أتي من المطعم بالدور الأرضي فقال الأخ محمد حسن : والله العظيم ما كنت في المطعم بصوت عال ، وقبل أن يكمل لفظ اليمين قفزت من بين أسنانه قطعة قشر من الطماطم استقرت على كم الشيخ محمود ، فقال على الفور { وشهد شاهد من أهلها } فضحك الجميع

٥- أقيمت مباراة في كرة القدم بين طلاب المعهد الثانوي الديني وبين المدرسة الثانوية بقنا على أرض المدرسة الثانوية ، فقام طلاب المدرسة الثانوية بإحضار؛ من يغني ويزمّر ويطبّل بألحان وأغاني فيها مساس بالأزهر

والأزهريين ، وقد انتهت المباراة بهزيمة المعهد الديني وكان طلابه في ذلك الوقت بالسنوات النهائية ضخام الأبدان أقوياء ، فمالوا على طلاب المدرسة ضرباً بالعصي وركلاً بالأرجل وصفعا بالأيدي ، وأخذ طلاب المدرسة يهربون في كل اتجاه ، فأخذ طلاب المعهد طريقهم إلى مبنى المدرسة للبحث فيها عن مدرسين أو طلاب ليعطوهم نصيبهم ، و الحمد لله لم يدركوا أحداً.. وكان يوماً مشهوداً ، حيث لم يسعد أبناء المدرسة بانتصارهم، ولم يشعر أبناء المعهد بالخزي من هزيمتهم ، بل غطت على ذلك نشوة انتصارهم في المعركة التي أعقبت المباراة .



الفصل الخامس

مرحلة التعليم الجامعي وما صاحبه

في عام ١٩٦١ جهزني أهلي للسفر الى القاهرة بمفردي ، إذ الوالد لا يستطيع الإنفاق على أسرة مكونة من ثلاثة أفراد في القاهرة ،فسافرت ، وفي نفسي أمرين عازم على تحقيقهما :

أولاهما : الاعتماد على نفسي في تحصيل نفقة إقامتي في القاهرة ،إذ يكفي الوالد الإنفاق على زوجتي وابني بالقرية .

وثانيهما : التزوج بأخرى ويكون باختيار حر خالص من نفسي ولن أسمح لأحد أن يتدخل في هذا الاختيار .

وصلت إلى القاهرة واتجهت إلى بيت خالي محمدين النوبي ؛الذي كان يعمل مهنياً بثلاجة تخزين بطاطس بشبرا الخيمة على شاطئ ترعة الإسماعيلية ، وكانت معه أسرته وكان يعيش في حياة بسيطة ،فإلى جانب وظيفته كان يبيع الشاي لعمال المصانع المجاورة ، وكان قد رزق بخمس بنات وثلاثة بنين ، وقد حاولت منذ وصولي إلى القاهرة وعرفت مكاني بكلية الشريعة والقانون ؛البحث عن عمل حتى لا أكون عالة على هذه الأسرة .

تعرفت على الحاج محمود عبد المطلب أبو الحمد ؛الذي كان يعمل بمصنع بطاطين بالمنطقة وكان صديقاً للوالد وهو أحد أفراد الأسرة التي باعت لنا السكن الحالي بالقرية بعد أن ترك الوالد بيت عائلته ، وكان الحاج محمود صاحب الفضل في بيت السكن للوالد إذ بدأ بنفسه بالبيع وتوالى بعده أفراد الأسرة ، كان الحاج محمود ؛ يسكن في حجرة بسيطة ومعه أربعة أبناء وبنت واحدة وفي نفس الوقت يستعمل هذه الحجرة كمكان ليبيع فيه بعض

احتياجات عمال المصنع من الشاي والسكر والسجائر ، لكن فيما بعد فتح الله عليه بعد أن عرف طريق السمسرة في العقارات حتى أصبح من أصحاب الملايين وكانت هذه الثروة سبباً في تفرق أسرته .

المهم ؛ حاول الحاج محمود مساعدتي في البحث عن عمل في بعض المصانع كما حاولت منفرداً المرور على مصانع شبرا الخيمة لأسأل عن عمل بها ، وأخذت في ذلك وقتاً طويلاً ولكن دون جدوى .

في هذا الوقت عرفوني على رجل فلسطيني له مجموعة من المدارس الابتدائية في شبرا الخيمة فعرضت عليه العمل بإحدى مدارسه ، فرحب وأخذني معه على الموتوسيكل خلفه وذهب بي إلى بعض مدارسه ليعرفني على كيفية العمل بها ، فعرفت أن كل مدرسة لا تقل فصولها عن ستة فصول والمدرس أو المدرسة لا يزيد عن واحد أو واحدة ، فوافقت وأخذني إلى مدرسة له في منطقة مسطرد ، وقال لي أجرك الشهري أربعة جنيهات ، أي أن عليّ أن أقضي اليوم الدراسي أتنقل من فصل إلى فصل وأدّرس لهم كل المواد بمقابل أربعة جنيهات ، فطلبت زيادة المبلغ إلى خمسة جنيهات ؛لأني سأنتقل إلى هذا المكان بأتوبيس النقل العام، وسأدفع قرشاً ذهاباً وقرشاً إيابا فرفض كل الرفض وفشلت في الحصول على هذا العمل ، وأخذت أبحث عن عمل آخر ، حيث تعرفت على الأخ محمود حسان إسماعيل ؛وكان يعمل بمصنع البلاستك الحكومي وكان له زميل أسمه محمد سيد ومعهما زميل ثالث فعرض عليّ زميلاه العمل رئيساً لورشة في صناعة البلاستك مقابل سبعة جنيهات

ونصف في الشهر ، وهذه الورشة في منطقة روكسي على شارع جسر السويس وهي ملك لرجل اسمه حسن عبد الوهاب يعمل مصوراً سينمائيا مع أخيه فطين عبد الوهاب المشهور بصناعة الأفلام السينمائية .

وكان لهما شرطان :

أولهما: أن أعمل لمدة خمسة عشر يوماً على ماكينة البلاستك الوحيدة التي تصنع أمشاط البلاستك حتى أحصل على الخبرة ، وبعدها أجلس في مكتبي لإدارة الورشة .

ثانيهما: ألاّ أعرف صاحب الورشة أني طالب بالكلية وإلاّ سأفصل من العمل ؛وذلك لأنهما عرفاه بأني أعمل معهما في مصنع البلاستك الأهلية ، وقد أتيا بي للاستفادة بخبرتي في الورشة وعلى ذلك؛ إذا جاء الرجل أَضع يدي في خزان الزيت في الماكينة لإظهار خبرتي للرجل ، وفعلاً ؛ جاء الرجل وعرفاه بي وعملت ما طلباه مني .

أما الشرط الأول فقد التزمت به ولكن لمدة ثلاث سنوات ونصف قريباً ، وهي مدة عملي بالورشة ، إذ الورشة لم يكن بها ما يحتاج الى إدارة فهم خمسة رجال وهذان الخبيران من مصنع البلاستك .

أما الشرط الثاني فلم أستطع أن أكتم صفتي كطالب في الكلية إلا لمدة ثلاثة أشهر؛ لأنه كان من بين العمال من يتجسس على زملائه ويعرض على صاحب الورشة ما يحصل بها من حركة أو عمل أو خبر ، فقد فوجئت بالرجل ينادي عليّ وينفرد بي ويقول لي : يا أحمد لِمَا لم تخبرني منذ مجيئك أنك طالب بالكلية ؟فكان ردي : أنك لم تسألني ، ولم نجلس مع بعض حتى نتكلم

وتتعرف على صفتي كطالب في الكلية . ثم سألني :كيف تذهب إلى كليتك ؟ قلت : أنا لا أذهب لأني أعمل على الماكينة من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الرابعة عصراً فقال لي :لأجل أن تذهب إلى كليتك سأشّغل الورشة وردية ثانية من الساعة الرابعة عصراً إلى الساعة الثانية عشرة مساءاً ، وذلك حتى تجد فرصتك في الذهاب إلى كليتك في الصباح وتعمل في الورشة مساء ، وأتعهد بثمن كتبك في الكلية وتأخذ أجرك كالمعتاد كبقية زملائك فشكرت له ذلك .

(اللهم اغفر لهذا الرجل وأجزه عني خير الجزاء فقد أحسن فيما تقدم ، وأحسن إليّ فيما يلي):

فبعد عدة أشهر زادني خمسة قروش فوق أجري حيث صار الأجر ثلاثين قرشاً يومياً ، ثم بعدة عدة أشهر أخرى زادني خمسة قروش أخرى حيث صار الأجر خمسة وثلاثين قرشاً ، ثم بعد عدة أشهر زادني سبعة قروش فصار الأجر عشرة جنيهات ونصف في الشهر؛ مما دفعني لأن أطلب من الوالد أن يرسل لي زوجتي وابني ليعيشا معي في القاهرة ، واستأجرت لهما حجرة قريبة من الورشة في منطقة سراي القبة بمائة وثمانين قرشاً في الشهر، وذلك داخل شقة مع أسرة طيبة لا زالت تربطنا معها بعض الذكرى الطيبة .

كذلك استفدت من علاقتي بهذا الرجل معني إسلامياً ، وهو الانضباط في المواعيد ؛حتى صار ذلك صفة ملازمة لي عُرفت بها في كل مكان عملتُ به ومع أي أحد عمل معي .

وسبب ذلك : لما عرف الرجل أني طالب بكلية الشريعة والقانون ؛ أراد أن يستفيد بي في مجال اللغة العربية ، وكان متزوجاً من زوجة أوروبية إلى

جانب زوجته المصرية ، وله من هذه الزوجة ولد اسمه هاني عنده ثماني سنوات؛ فأراد أن أعطيه درساً في العربي بالأجر ، وكان الموعد محدداً بساعة لها بداية ونهاية ، وبما أن الرجل صاحب فضل عليّ فأحببت أن أذهب قبل الموعد؛ لأرد له شيئاً من بضاعتي لتقابل شيئاً من إحسانه إليّ .وإذ بالأخ الذي يتردد عليهم يقول لي احذر: أن تذهب قبل الموعد ولو بدقيقة ، لأن هؤلاء الناس مواعيدهم منضبطة ويحبوا من يتعامل معهم الانضباط في ذلك ، فأصبت بشبه صدمة ، هذا الرجل مصري ؛ولكن لاختلاطه الشديد بالأجانب يلتزم بما يلتزمون به من عادات وتقاليد في حياتهم ، والانضباط في المواعيد قاعدة من أهم قواعد الشريعة الإسلامية التي أنشغلُ بها ، وجاء النص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لكن على المستوى العام فرطنا في ذلك ، وقلّ أن نجد من يلتزم بهذا الانضباط الدقيق ؛ ولو بدقيقة واحدة كهؤلاء .

وأنا من يمنعني من الالتزام بهذا الانضباط ؟ وما الذي يحول بيني وبين الانضباط في المواعيد ، وأنا مالك لأمري في كل الوقت ومنذ هذا اليوم صار الانضباط لدي في المواعيد في جميع أحوالي وتنقلاتي وارتباطاتي مع الآخرين . قاعدة مستمرة عُرِفْتُ بها مع كل من يتعامل معي .

ذلك أعطاني شيئاً من المصداقية مع كثير من الجهات التي تعاملت معها في داخل البلاد وخارجها .

نعم عانيت بسبب ذلك الانضباط من قبل الآخرين ولا زلت أعاني ، ولكن مع ذلك سأظل وفياً لهذه القاعدة الإسلامية العظيمة إلي أكرمني الله

تعالى بها في معاملة طارئة ، ربما كانت قد مرت كغيرها من الأحداث الصغيرة التي تمر بالإنسان ثم يجرفها النسيان . والحمد لله رب العالمين .

وأحمد الله تعالى : أني مع هذا الجهد الذي كنت ابذله في العمل وهو الوقوف على ماكينة لمدة ثماني ساعات وكان العمل يتطلب مني أن أغلق الماكينة لتحصل على كمية من حبوب البلاستيك ثم افتحها لأخرج الأمشاط الناتجة من ذلك ، وكان عددها أربعة أمشاط ويتكرر الغلق والفتح أربع مرات في الدقيقة الواحدة ، ومع ذلك كنت أحصل في نهاية كل عام دراسي على تقدير جيد جداً في امتحان الكلية مما أهلني ذلك ؛لأكون أحد المعيدين في الكلية وذلك فيما بعد .

وقد لحق بي أخي عبد الحميد أصغر أشقائي من الذكور، وكان عنده ثلاثة عشر عاماً ، بعد أن أفلس الدكان الذي يملكه والدي ، وذلك بسبب صداقته الحميمة مع محمد عبد الرحيم عطية ، وكان في مثل سنه وقد فتحت له والدته دكاناً مماثلاً بعد وفاة والده – والذي كان عبارة عن محل تجاري صغير – ولكن تعلم شرب الدخان وكان الكسب قليلا فلم يحتمل الدكان الإنفاق ، فأما محمد عبد الرحيم فاتجه إلى تكملة تعليمه فأكرمه الله وحصل على شهادة الهندسة فيما بعد .

أما عبد الحميد؛ فقد أرسله إليّ الوالد لأن فكرة عدم تكملة تعليمه كانت نصيحة مني حتى لا يتحمل الوالد نفقة تعليم أولاده الثلاثة ، فيكفيه الإنفاق على تعليمي وتعليم أخي محمد ؛الذي دخل مرحلة التعليم الإعدادي ، فلما فشلت الفكرة أرسله إليّ ، فاشتغل معي في ورشة البلاستك بأحد عشر

قرشاً في اليوم ، ولكن الله تعالى أكرمه فدخل المرحلة الإعدادية بالقاهرة وأبى دخول الثانوي ؛ وهرب منه إلى التجنيد – الجيش– ولكن لما طال أمد الجيش بعد حرب عام **١٩٧٣** م توسط له العمدة يوسف أبو الحمد مع بعض أبناء الشيخ بكر الحداد ،فأدخل إلى الثانوية العسكرية ،ومنها إلى كلية الآداب ،وحصل على الشهادة الجامعية بحمد الله تعالى وشق طريقه في الحياة وكان بمثابة الابن لي .

ظللت أعمل بورشة البلاستك حتى بداية السنة الرابعة بالكلية حيث قام الأخ الكريم المرحوم كامل العبد، وكان يعمل بوزارة العمل آنذاك بإلحاقي بمخبز سعيد عبد الحليم بشارع النزهة بمصر الجديدة ، لكن بعمل إداري ؛حيث كان رئيس مجموعة مخابز القطاع العام بمصر الجديدة الأستاذ محمود : قد أنشأ في إدارته التي كان مقرها في هذا المخبز؛ مكتباً للمتابعة وكان به موظفان فقط أحدهما : الفقير وقد عينت بالثانوية بمرتب عشرة جنيهات ونصف شهرياً؛ حيث كنت أعمل موظفاً بهذا المكتب وثانيهما : الأخ محمد البنداري وكان طالباً بكلية الحقوق وكان رئيساً لهذا المكتب حيث عين بمرتب شهري قدره اثني عشر جنيها، ولما سألت الأستاذ محمود : بأننا متساويان من حيث الشهادة ؟قال : إن كادر الثانوية الأزهرية هو الذي عينتك عليه . فلم أغضب لأنني فرحت بهذا العمل حيث أنقذني من الوقوف يومياً لمدة ثماني ساعات ، وسأعمل الآن بالأقلام والأوراق ، وسأرتدي القميص والبنطلون في أداء عملي بدلاً من العفريتة التي كنت ألبسها للعمل تلك السنوات الثلاث الماضية .

وكان العمل يقتضي أن أمر على مخابز مصر الجديدة الخمسة ما بين شارع النزهة إلى شارع سفير الى شارع هارون إلى شارع إبراهيم حيث توجد مخابز

المجموعة بحيث أسجل كميات الدقيق التي استهلكها كل مخبز يومياً وعدد الأرغفة التي أنتجها المخبز يومياً من خلال دفاتر كل مخبز ، وكانت عملية ميسرة لكنها صعبة في مطابقة الواقع فكنت أعاني من هذه المطابقة فوجدني شخص اسمه عطية زهو يعمل مديرا المخبز سعيد عبد الحليم متحيراً فسألني عن حيرتي فأخبرته فضحك ،وأمسك مني الورقة والقلم وقال لي : مخبز فلان يخبز أربعين جوالا من الدقيق ، كل جوال ينتج ألف رغيف ... وهكذا أنهي عمل اليوم الكامل لي في عشر دقائق وقال لي : لا يوجد عمل دقيق مائة بالمائة في مصر كلها ، وهكذا تعمل مكاتب المتابعة على مستوى الدولة .فأراحني بذلك ، لكنه أدخل عندي الشك في كل أعمال المراقبة والمتابعة على مستوى الدولة وحتى الآن لا زال الشك موجوداً لدي .

ظللت أعمل في هذا القطاع أكثر من ستة أشهر ، وإذا بقرار من رئاسة المخابز والمطاحن ؛ التي كان مقرها في ميدان الفلكي تصدر قرارا بنقل الأستاذ محمود إلى عمل آخر بوزارة التموين ،وإضافة إدارة مخابز مصر الجديدة إلى الأستاذ لطيف يوسف: وكان رجلا مسيحيا يتولى إدارة مخابز الجمالية وكوبري القبة و الوايلي وغيرها أي أكثر من عشرين مخبزاً إلى جانب ما أضيف إليه من مخابز مصر الجديدة . قامت قيامة الأستاذ محمود واجتمع بمن يحيط به في لقاء في أحد مقاهي مصر الجديدة وكانت التعليمات أنه علينا أن نثبت أن مخابز مصر الجديدة ترفض هذا القرار ، ويكون ذلك عمليا بالمرور على جميع المخابز والتنبيه على الخراطين والعجانين والخبازين بالتوقف عن العمل ، وبذلك يحصل الهرج في كل مصر الجديدة لعدم اشتغال المخابز وإنتاج الخبز ، وهو السلعة التي لا يستغنى عنها أحد، وقمت فعلا كغيري بالمرور على المخابز، وبلغت ذلك لجميع العاملين بهذه المخابز .

ولا أدري كيف وصل خبر هذا الاجتماع للمباحث ، وتكون النتيجة فصل جميع الإداريين المحيطين برئيس المجموعة ، ما عدا الفقير فلم يذكرني أحد من عمال هذه المخابز ، إلى أن وصل الأستاذ لطيف يوسف في اليوم التالي وطلب مني البعد عن مخابز مصر الجديدة ، والعمل معه في إدارة المجموعة بالعباسية بما يكلفني به من أعمال في المخابز الأخرى .

أحمد ريان فرقة إنقاذ :

هذا اللقب أو هذه الصفة هي التي لازمتني في السنة الأولى في عملي مع الأستاذ لطيف يوسف ، وسببها : أن أكثر المخابز تنتج خبزا رديئا – وكان يسمى سحلة – وكانت معظم المخابز تعمل بالخسارة ، فما تحصله من ثمن الخبز لا يغطي ثمن الدقيق وأجور العمال وثمن أدوات التشغيل .

وسبب ذلك : أن جميع العاملين – إلا قلة قليلة لا تزيد على واحد في المائة – لديهم الرغبة في سرقة كل شئ من المخبز؛ من الرغيف والردة والدقيق باعتبار أن هذا المخبز لا صاحب له ، وهو مستباح لكل العاملين به فمن يستطيع أن يأخذ شيئا منه فليأخذ ثم السرقة من المخبز لابد أن تكون جماعية لأن الكل يراقب بعضه بعضا ، فلابد من ترضية الجميع ،وعمدة تلك المجموعة هو رئيس الوردية لأنه المسئول عن تصريف الخبز في السوق ، ولكن ركن السرقة هو الخراط ، لأنه هو الذي يقطع العجين إلى قطع صغيرة بأوزان دقيقة لتكون فيها بعد أرغفة تباع للعملاء، وهو الذي يحصل على أكبر الأجور في المخابز .

مثال واحد على ما يحصل من السرقة في المخابز :

انتبهت لما يحدث وعرفت الطريق لذلك فأتيت بواحد من قريتنا ممن أثق به لطيبة قلبه ولالتزامه، وجعلته مراقبا على الخراط بحيث يعدّ قطع العجين التي يقطعها لتكون أرغفة فيما بعد؛ فاستطاع خلال أسبوع أن يضبط سرقة كبيرة وعرفت كل أسماء المشتركين فيها فعاقبتهم جميعا بخصم أيام من رواتبهم.

ثم بعد أسبوعين تحصل سرقة كبيرة باشتراك قريبي الذي أتيت به من القرية للحراسة ؛ فأصبت في قلبي بطعنة كبيرة فطردته من العمل وطلبت منه عدم المرور في الشارع الذي يوجد به المخبز .

لقد اعتمد عليّ الأستاذ لطيف يوسف في السنة الأولى في إنقاذ تلك المخابز سواء لرداءة ما تنتجه من خبز او ما تحققه من خسائر .

أما رداءة الخبز فمن أهم أسبابه : وضع الردة بكميات كبيرة في الدقيق في حلة المعجن لأن من شأن الردة أن تشرب ماء كثيراً فتزيد أعداد الأرغفة .

وطبعا الخبز الردئ يرجع للمخبز لعدم إقبال المواطنين على شرائه.

فكنت حين أُولّىَ على مخبز من تلك المخابز أعيش في هذا المخبز مدة أسبوعين ليلا ونهارا؛ أراقب كل شئ وبحمد الله ينتقل الخبز في المخبز إلى خبز جيد ويقبل عليه المواطنون وتتحول الخسارة في المخبز الى مكسب وقد تحقق ذلك في عدد من المخابز .

وقد تحقق لي ذلك في مخبز دير الملاك ، و مخبز الخالع بدير الملاك ، ومخبز الشناوي بالزيتون لذلك لقبني الأستاذ لطيف ؛ بأني فرقة إنقاذ ، وأسند إلي إدارة مخبز زهرة غمرة وكان أكبر مخبز في مجموعة المخابز التي يشرف عليها

ولإشعاري بمزيد من الثقة طلب مني فتح حساب في البنك لأرباح المخبز باسمي ، ولكني رفضت وكانت الأرباح توضع باسم المخبز وليس باسمي .

رئاستي لمخبز زهرة غمرة

توليت إدارة المخبز وكان به حوالي خمسين عاملا ما بين خراط وعجان وفران ورئيس وردية وعربة لنقل الخبز يجرها حصان لتوزيع الخبز على بعض الأكشاك التابعة للمخبز وبعضها لبعض التجار ، كما كنا نورد الخبز إلى مستشفى العباسية العقلية ، والى بعض وحدات الجيش ، فكانت عمليتنا تتراوح بين أربعين ألف وخمسين ألف رغيف يومياً ، وكانت إدارة المخبز تتكون من كاتب حسابات ومحصل ورئيس مخبز ، وكان الواجب توفير كميات كبيرة من الدقيق تحوطاً لأي أمر طارئ ، فكنت أرسل المحصل ليشتري من المطحن خمسين جوالا من الدقيق يوميا ، وكانت لدينا معضلة في توريد ثمن الدقيق للمطحن ؛لأنه يريد التوريد بالجنيه بينما حصيلتنا بالقروش لأن الرغيف يباع بقرش صاغ فعثرنا على محل صغير بميدان الجيش لتصحيح النقود وتحويلها من قروش الى جنيهات وهذا كل تجارته وبالمقابل يحصل على نصف قرش عن كل جنيه يصححه ، وهذا شرعا حرام ، لأنه يدخل في باب الربا ، لأن الواجب في صرف النقود أن تكون مثلا بمثل ، كما جاء في الحديث { الذهب بالذهب مثلا بمثل سواء بسواء ، والفضة بالفضة مثلا بمثل يدا بيد سواء بسواء } لكن كنا في حالة اضطرار وإلا توقف المخبز عن الإنتاج لعدم توريد الدقيق ، والخبز سلعة من السلع الهامة الحساسة التي لا يستغنى عنها أحد ، وهذه العمالة من حوالي خمسين عاملا تحصل على أجور من المخبز مما دفعنا إلى الرضوخ إلى هذه المعاملة بالخسارة يوميا .

مشكلة مخابز القطاع العام

هذه المخابز المؤممة لمصلحة جماهير الشعب حتى لا يتحكم أصحابها في جماهير الناس من خلال التحكم في إنتاج هذه السلعة الضرورية لكل بيت ، إذ لو توقف مخبز واحد كبير كمثل هذا المخبز سيحصل هرج ومرج وزعزعة للأمن ، هذا هو هدف النظام من تأميم هذه المخابز، وإن كنا لا ندري هل حصل أصحابها على مقابل من الدولة عن هذه المخابز ؟وهل هذا المقابل يتناسب مع حجم المخبز؛ الله تعالى أعلم .

وليست هذه من مهمتنا كإدارة وحدة من وحدات القطاع العام بل مهمتنا المحافظة على كيان المخبز وإحسان إدارته ،وتحقيق الهدف منه ، وهو توفير رغيف الخبز الجيد بالسعر الرسمي للمواطنين ، مع إعطاء العاملين أجورهم الأسبوعية أو الشهرية المتفق عليها .

لكن العاملين بالمخبز جميعا إلا ما رحم ربي ؛ اثنان أو ثلاثة إن وجد ذلك في كل المخابز ، هم محل ثقة لكن باقي العاملين وأحيانا الكثير منهم يحلمون ويعملون لتحقيق هذا الحلم في الواقع لأخذ ما تصل إليه أيديهم من المخبز ؛ سواء من الخبز أو الدقيق أو الردة أو النقود ؛ لذلك كانت مهمتي إلى جانب الإدارة حراسة كل شئ بالمخبز، إلى جانب الأهداف المتوخاة من المخبز لكن كيف تتحقق هذه الحراسة؟

كما أشرت من قبل فإن أساس السرقة في المخابز تبدأ من الخراط الذي يقطع العجين إلى قطع صغيرة لتتحول إلى أرغفة وهذا الإنسان على درجة كبيرة من المهارة ومن الدقة في عمله بحيث يعرف كيف يقطع بيده الرغيف بحيث لا يزيد ولا يقل عن خمسة وسبعين ومائة جرام ؛ ولديه ميزان منصوب الى جواره ليتأكد بين الحين والآخر أن وزنه مضبوط ، لذلك كان يحصل على

أكبر أجر من المخبز فمثلا كان يحصل على متوسط اثني عشر جنيها في السهرة الواحدة أي في عمل ليلة واحدة بينما كان أجر العامل العادي خمساً وعشرين قرشا وكان راتب رئيس المخبز عشرة جنيهات ونصف في الشهر ، لذا كان رئيس المجموعة يعطيني بصفة خاصة خمسين في المائة أجراً إضافيا كل شهر؛ لجدي واجتهادي في المخبز .

كان هذا الخراط بدلا من أن تكون القطعة تزن خمسة وسبعين ومائة جرام ؛ ينقص منها خمسة جرامات فقط فيحصل على حوالي ألف وأربعمائة رغيف ، وقد يقل العدد إلى ألف رغيف إذا كانت العملية قليلة بمعني أنه يوفر لنفسه ولزملائه جوال من الدقيق يوميا ليبيعه بألف قرش اي بعشرة جنيهات يوميا ، لكن هذا المبلغ يوزع على كل العمال المشتركين في الإنتاج والقائمين على التوزيع ، لأن الجميع له نصيب في هذه الكمية ،لأنه شريك في سرقتها إن لم يكن بيده فبعلمه وسكوته ، لكن النصيب الأكبر من هذا المبلغ يصل ليد الخراط ورئيس الوردية .

لكن سبحان الله لم يكن لدي أحد من هؤلاء شئ من البركة ، كان الخراط الذي يحصل على اثني عشر جنيها في الليلة الواحدة قد يأتي في بداية السهرة التالية ليحصل على خمسة قروش سلفا للدخان وطعامه.

وللمساعدة على منع السرقة وضبط العمل داخل المعجن أتيت بثلاثة أشخاص اثق فيهم ؛منهم أخي عبد الحميد رحمه الله ، ومنهم الشيخ محمد عبد الواحد مأذون القرنة الآن ؛ إذ كان طالبا في كلية أصول الدين في ذلك الوقت ، وشخص ثالث أيضا من القرية ، وقد خول لي رئيس المجموعة الإستعانة

بمن أشاء ، لذلك كان الإخوة في إدارة المجموعة يرسلون إلىّ في مكاتباتهم إلى المخبز ؛هكذا : أحمد ريان رئيس مخبز أحمد ريان ، كأني صرت أنا و المخبز شيئا واحدا أو أنا المالك له .

مزيد من الرعاية من الأستاذ لطيف يوسف لي

قبل الامتحان بأسبوعين تقريبا يبعث لي بمدير آخر ليعمل معي بحيث يتولى في النهار إدارة المخبز بما في ذلك عملية التوزيع وشراء الدقيق .... وبحيث يشرف على كل حركة المخبز ، بينما أتولى إدارة المخبز ليلا بحيث أغلق باب المخبز مع استمرار العمل في الإنتاج طوال الليل ؛ وكان ذلك يساعدني في تخصيص وقتي بالليل للمذاكرة في المكتب وأدخل بين الحين والآخر إلى المعجن وأطمئن إلى دقة الأوزان للحظات وأعود إلى مذاكرتي بالمكتب وكانت هذه اللفتة الكريمة لا تنسى لهذا الرجل كما لا تنسى مساعدة المرحوم حسن عبد الوهاب لي في تشغيل الورشة وردية أخرى ؛ نعم كان في ذلك فائدة لزيادة الإنتاج ، لكن كانت الرعاية لمساعدتي في ذهابي للكلية التي كنت منقطعا عنها ، هو الهدف الأصلي من تشغيل هذه الوردية الثانية ، وهذا وذاك يجعلني أذكّر من معي بأن يخلص في عمله : فإن المولى عز وجل في علاه يكرمه ويعوضه من حيث لا يحتسب ؛ إذ كنت أعمل اثني عشر ساعة يوميا وربما أكثر ولا أرى الكلية بل كنت أزورها لشراء الكتب المقررة ، ومع ذلك أحصل على درجة

جيد جدا في كل عام ، بينما زملائي الذين يذهبون للكلية يوميا قد لا يحصلون على هذه النتيجة ، وبذلك يفاجأ زملائي المتفوقون في الدراسة باسمي معهم في كشوف المكافآت الشهرية ، التي كانت تعطى لمن يحصل على تقدير جيد جدا فكان ذلك محل استغراب من كثيرين وأنا منهم .

هذه الميزة المادية التي أكرمني الله تعالى بها أهلتني فيما بعد لأكون أحد المعيدين في الكلية الأمر الذي لم يكن يحلم به أمثالي من المناطق النائية الذين يعيشون في القاهرة في الكدح اليومي ليواصلوا دراستهم بالكلية .

نعم هذه المذاكرة السريعة والقصيرة التي كانت تأتي بنتائج طيبة ، كان لها مردود سلبي فيما بعد ؛ إذ بعد حصولي على الشهادة الجامعية شعرت بأني خالي الوفاض من العلوم التي درستها بالكلية إذ كما جاءت سريعة ذهبت من الذاكرة سريعا ولم يبق منها إلا لماما ، لذلك حينما تقدمت للدراسات العليا كنت استحضر ما درسته في المرحلتين الإعدادية والثانوية التي كانت ولا زالت حاضرة في ذهني ولم تفارقه والحمد لله رب العالمين .

واقعة الخراط سند

في آخر أيامي في إدارتي لمخبز زهرة غمرة وفي قرب حلول أيام الامتحان كنت كالمعتاد أذاكر بالمكتب بالليل فأخذتني سنة من النوم ولم يكن المراقب موجودا في هذه الليلة وكأنهم لمحوني وأنا نائم على الكتاب داخل المكتب ، وكانت فرصة لهم لسرقة أكبر قدر من الخبز ، فلما انتبهت من نومي دخلت المعجن بسرعة ، وإذا بخلل كبير في وزن الخبز وكان الخراط رجلا اسمه سند ، وكان دقيقا في عمله ، فهجمت عليه ووضعت يدي الاثنتين حول عنقه وضغطت بكل قوتي دون شعور مني ، واجتمع عمال المخبز لإفلات رقبته من

يدي فلم يستطيعوا ، حتى غرغرت عيناه وصرخوا : سند خلاص هيموت ، خلاص روحه هتطلع ، فلما سمعت صراخهم بقرب موته تراخت يدي وتركت رقبته ، وفعلا كان قد وصل الى مرحلة خطيرة فعدت إلى المكتب وكنت في حالة انهيار وأخذت ألوم نفسي بشدة : كيف أقتل إنسانا على سرقة قدر من الخبز مهما كان كبيرا ، كيف أسلّم نفسي للسجن مع ضياع مستقبلي وأسرتي ، وظلت معي هذه التساؤلات النفسية أمدا طويلا ، وحمدت الله تعالى أني انتبهت قبل حصول الكارثة ، لذلك لم أعاقبه على فعلته النكراء هذه ، وجعلت ذلك عقوبة لي .

وانتهت أيامي في رئاسة مخبز زهرة غمرة بحصولي على شهادة الإجازة العالية عام ١٩٦٦ م وبوعد من شركة وسط القاهرة للمخابز والمطاحن والتي كانت تشرف على هذا المخبز وغيره من مخابز وسط القاهرة بتعييني مديرا لمجموعة من المخابز التابعة لها ، وذلك بتزكية من الأستاذ لطيف يوسف .

في خلال هذه المرحلة منذ انتقلت من مخابز مصر الجديدة إلى مخابز مجموعة الوايلي الكبيرة مع الأستاذ لطيف تحسنت الحالة المادية لدي فانتقلت مع أسرتي الى سكن جديد بعين شمس الغربية بجوار موقف أتوبيس سمي فيما بعد (بموقف اتوبيس ٤٣) الذي بدأ خط سيره من ذلك المكان كنقطة بداية اتجاها الى العتبة والتحرير .

وكان سكني عبارة عن شقة مكونة من حجرتين وصالة صغيرة بقيمة إيجارية قدرها ثلاثة جنيهات وسبعة قروش شهريا ، مع حصول صاحب البيت الذي كان بشارع فتحي الأدبس على ثلاثين جنيها مقدما قبل أن نضع أرجلنا في السكن .

وقبل أن أنتقل إليه كنت قد رزقت بولد سميته صلاح الدين عاش شهرا واحدا وتوفي ودفن في مقبرة صديق لي من المخابز الذي كان يعمل مديرا معي أيام الامتحانات ، لكن قد حملت أمه بعده بابنتي الزهراء التي ولدت في السكن الجديد .

عملي بوزارة العدل لمدة شهرين ونصف

بعد حصولي على الشهادة تباطأت الشركة في تنفيذ وعدها لي بتعييني مديراً لمجموعة المخابز التي كانت وعدتني بها ، مما دفعني إلى التقدم لإعلان بوزارة العدل للتعيين بوظيفة مساعدين فنيين بها ، وقُبلتُ وتسلمتُ عملي فعلا في محكمة باب الشعرية وكان عملا كتابيا وترقيتُ قبل ترك هذا العمل لأجلس مع القاضي ووكيل النيابة على منصة القضاء ،لأكتب أسئلة القاضي ووكيل النيابة إلى الخصوم ، كما أكتب إجابة الخصوم وكان ذلك يتطلب السرعة في الكتابة .

وكانت هذه الوظيفة سبباً في تعرفي على الأستاذ أبو الحسن من أسرة بيت آل الشيخ ، من أصفون المطاعنة وكان محامياً عاماً في دار القضاء العالي وأذكر : أنه كلّم بشأني النائب العام وكان ذلك قبل الظهر بقليل ، وطلب منه تسلمي العمل ، وفعلاً حوالي الساعة الواحدة كنت قد تسلمت العمل ، وكانت هذه المعرفة من خلال عمدة قريتنا السابق الشيخ يوسف محمود أبو الحمد رحمه الله.

ومن خلال العمدة يوسف تعرفت على وزير الكهرباء في ذلك الحين ، واسمه أحمد سلطان ؛ وسبب ذلك ، أن هذا الوزير قد زار ساحة الشيخ محمد الطيب بالقرنة وكان العمدة موجوداً بالساحة وقت الزيارة ، فشكا إليه أن

وزارة التربية قد أنشأت بقريتنا مدرسة ابتدائية دون أن تعمل لها سوراً يحفظها، فأخرج الوزير دفتر الشيكات وأعطى العمدة شيكاً بمبلغ ألفي جنيه ، وكان هذا المبلغ كفيلا ببناء هذا السور ، فاقتضى الأمر بعد التنفيذ أن يأتي العمدة ليشكر الوزير على هذه المكرمة فاصطحبني معه ، وكانت المودة بيني وبين العمدة طويلة الأمد ، إذ كان بيتي بالقاهرة هو مكانه المفضل ،وكان كثير المجئ إلى القاهرة واستمر ذلك حتى وفاته رحمه الله .

الإنتقال إلى الدراسات العليا وتعييني مديراً لمجموعة المخابز التي وعدت بها ، وذلك له حديث خاص بمشيئة الله تعالى وذلك ...

فيما يلي:

لقد أبطأت شركة مطاحن ومخابز القاهرة في تعييني مديرا لمجموعة مخابز بالقاهرة مما دفعني إلى التعيين بوزارة العدل والذي أشرت إليه من قبل .

لكن بعد شهرين ونصف صدر القرار من الشركة بالتعيين مديراً لمجموعة من المخابز ، وتحددت تلك المخابز بستة مخابز هي : مخابز زهرة غمرة ، الهلال ، السعادة ، الخالع ، دير الملاك ، والبربري، وكانت المهمة شاقة ،لأني اكتسبت خبرة في التعامل مع صناعة الرغيف ، والتعامل مع العاملين بها والرقابة على الإنتاج ، ومعرفتي بنفوس العاملين ونظرتهم إلى هذه المخابز، ومحاولة إفهامهم أن هذه المخابز هي ملك لعامة الشعب ، والخيانة العامة أخطر من خيانة الأشخاص ، لأن الشخص يمكن الاعتراف بخيانته له وطلب السماح والعفو منه ، ولو كان ذلك بتعويض عما أخذ منه ، أما خيانة

العامة في المال العام فكيف يطلب السماح فيه من عامة أفراد الشعب ، وهذا يشمل تحسين الإنتاج لأن الخبز السحله لا يباع أو يباع بالجملة لإطعامه للحيوانات ، وقد حاولت الاستفادة بخبرتي التي اكتسبتها خلال إدارتي لمخبز زهرة غمرة ، فغيرت بعض المديرين بمن اعتقد أمانتهم وحرصهم على هذا المال العام .

وأخطر شئ واجهني هي خيانة مدير المخبز ومن حوله من كاتب الحسابات وكاتب المصاريف .

وأشير إلى واقعة واحدة من هؤلاء : فقد أسندت إليّ الشركة إدارة مجموعة أخرى من المخابز وذلك في الدرب الأحمر والجمالية والحسنية ، وتسلمت هذه المخابز إلى جانب مجموعتي السابقة وحاولت اختبار إدارتها ، ففاجأت مخبز مجاهد في صباح يوم من الأيام فأغلقت الباب الخارجي، وأمسكت دفتر المصاريف ، وحاولت تطبيق ما فيه على عدد العاملين فعلياً في الإنتاج والتوزيع ، وإذا بي اكتشف أن الإدارة لديها عدد من العمال في دفتر المصاريف زيادة على عدد العالمين بالمخبز ، حيث توجد أسماء أربعة عمال وهميين تقبض أجورهم دون عمل ، وذلك لصالح الإدارة . وقمت بعمل اللازم ، لكن دون إخطار لإدارة الشركة .

ومن الآن تضاعف الجهد ، فأعمال الإدارة للمخابز بالنهار ، بالاطمئنان إلى إحضار الدقيق من المطاحن ، والتوزيع على الأكشاك التابعة للمخابز بالخبز الجيد ،وتحصيل أثمان الخبز من خلال المحصلين بالمخابز ، ومعالجة الشكاوي العارضة من العاملين ونحو ذلك من الأعمال ، ثم تكملة اليوم

بالمرور على بعض المخابز والاطمئنان على حسن سير العمل بها ، وينتهي يوم العمل بالنسبة لي ما بين الساعة التاسعة والعاشرة مساءاً ، لأن مخابز القطاع العام تعمل ليلاً ونهاراً ، ودون أية عطلات في أيام الجمعة أو الأعياد الدينية أو القومية ، لكن بمقابل إضافي عن العمل في الأعياد الدينية .

ثم الهواجس لا تزال تدور حول ما يحصل في المخابز من السرقات خصوصاً بالليل ، فبعد العَشَاء في المنزل وصلاة الأوقات التي شغلت عنها بالنهار ، أنزل في قرب منتصف الليل للمرور على المخابز وفعلاً ؛في إحدى هذه الليالي حوالي الساعة الواحدة صباحاً فاجأت أحد المخابز التابعة لي بالتواجد بينهم ونظرت إلى حلة العجين فوجدت بها نصف جوال من الردة وجوال من الدقيق ومعنى هذا؛ سيكون الرغيف ثلث وزنه من الردة ثم ستكون هذه الزيادة التي تصل إلى ثلث الإنتاج لصالح العاملين بها ، والخراط في ذلك : يدعي كامل عبد المسيح ، وكانت عقوبته خصم نصف مرتبه في هذا الشهر .

وقد حسنتْ الشركة مرتبي حيث وصل إلى ثماني وعشرين جنيها كمرتب أصلي ثابت ، ثم زيادة راتب إضافي ليصل بالمرتب كل شهر إلى أربعين جنيها ، بينما كانت وزارة العدل قد عملت مرتبي سبعة عشر جنيها فلم يمكن الاستمرار بها .

من أحد المواقف الصعبة التي واجهتني أثناء إدارتي لمجموعة المخابز؛ حدث عند قيام حرب عام ١٩٦٧ م ما بين إسرائيل ومصر ومن معها من الدول المجاورة لإسرائيل ، وكانت المفاجأة هو حصول الهلع لدي عامة الشعب ، وخوفهم من استمرار الحرب ، فخرج الناس بأوعيتهم من أسبتة ومقاطف وأكياس وغير ذلك لشراء الكميات الكبيرة من الخبز ، وجعلها

كرصيد في المنزل لمستقبل الأيام فترة استمرار الحرب التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى ،وكانت أشد المواقف في مخبز البربري بحدائق القبة ، حيث تجمهر الناس في سبعة صفوف كل صف يمتد حوالي نصف كيلو متر ، ومن حسن الحظ أن كانت لدى المخبز كمية كبيرة من أجولة الخبز تصل إلى مائة وعشرين جوال ، مع استمرار العمل بالمخبز في كل طاقاته بما في ذلك طاقة التلدين ، وذلك مع دوام العمل بالمخبز ليلاً ونهاراً ، وكنت أنادي بأعلى صوتي كل شئ متوفر ، وفي أي وقت ، والدقيق متوفر، ولا اقتناع بما أقوله .

ومما زاد في صعوبة الموقف أكثر وأشد هو حضور الدكتور فوزي رفاعي؛ رئيس شركة مطاحن ومخابز وسط القاهرة ؛ والأستاذ مصطفى العدوي المدير الإداري للشركة، وقيامهما بالمعاونة في التوزيع على عامة الناس ،مع ترديد المدير الإداري عباراته بتهديدي ، بأني سأكون محل المساءلة ودخول السجن إذا حدث ما يعكر صفو الموقف ، ولم يكن لردي ودفاعي عن نفسي ، بأن ما حدث أمرا خارج عن إرادتي وإرادة أي أحد بالمخبز ما يجعله يتوقف عن هذا التهديد .

ولم يكن لنا خيار في استمرار عمل المخبز بكل طاقاته الثلاث حتى يحصل كل عميل على كل ما يريد ولكن الضغط بدأ في الانخفاض في اليوم الثاني وما بعده من أيام الحرب والحمد لله رب العالمين .

من المفارقات في هذه المرحلة : أني فوجئت بإمرأة مسيحية في الأربعين من عمرها تدخل عليّ في المكتب الكائن فوق مخبز شارع بور سعيد ؛ وهى تبكي بحرقة وبصوت عالٍ وحاولت ومعي بعض الموظفين تهدئتها والوقوف على شكواها .

وملخص هذه الشكوى أن لها محلاً لبيع البيض في شارع أحمد سعيد ، بجوار دكانة بيع الخبز التابعة لمخبز السعادة ومتزوجة من شاب أصغر منها سناً ، وكان يعمل بدلا منها في محل بيع البيض ولنا بائعة الخبز، شابة مسلمة تتحدث مع هذا الزوج كأي جيران لكن خوفها من استمالة هذا الزوج الصعيدي من قبل البائعة الشابة ، وخشية أن يندفع هذا الزوج في حب بائعة الخبز ويسلم ويتزوجها ، وحينها ستخسره ، وخصوصا هو من الصعيد ويمكن الضحك عليه بسهولة ، تعاطفت مع شكواها ونقلت البائعة إلى مكان آخر؛ بعيدا عن مواطن الخطر بالنسبة لهذه المرأة التي تحرص على زوجها .

الدخول إلى رحاب الدراسات العليا

بالرغم من تحسن الوضع المادي لي في عملي ، ثم مظاهر الاحترام التي أحظى بها من قبل حوالي ستمائة موظف وعامل بالمخابز ، وإعانة الله تعالى لي على الارتقاء بمستوى الإنتاج كماً وكيفاً ، ووجود فرصة لتشغيل من يحتاج إلى عمل ممن أعرفهم وأعرف ظروفهم ، لكن حلمي في طلب العلم والحصول على أكبر قدر منه ، ووصولي إلى مجال أعيش فيه مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأقوم بواجبي في الدعوة إلى الله تعالى ؛ كان هو الهاجس الذي لم يفارقني بالرغم من النجاحات التي تحققت لي خلال هذه المرحلة ؛ لذلك بمجرد سماعي بفتح باب الدراسات العليا بالكلية تقدمت بأوراقي للالتحاق بها، وذلك في قسم الفقه المقارن وتم قبول الأوراق خصوصاً وأن ترتيبي كان في الكلية بالسنة النهائية بتقدير جيد جدا .

من المعلوم أن الكليات يجب عليها أن تخطر إدارات التجنيد بأسماء من انتهت مراحلهم الدراسية حتى ينظر في تجنيدهم بعد انتهاء مدة الإعفاء من التجنيد أثناء الدراسة .

وبناءً على ذلك طُلبتُ للتجنيد بأسيوط وهى الجهة التي تشرف على من يطلب للتجنيد من الصعيد ، إلا أن الوالد تقدم بالتماس يطلب فيه إعفائي من التجنيد ؛لأني أكبر الأولاد والعائل للأسرة ، وقد دخل هو في سن الستين عاماً.

وقد استجيب لطلبه ، لكن ظلت إجراءات الإعفاء تسعة أشهر؛ حتى وصل القرار بخروجي من الجيش ، وكنت في ذلك على قوة شركة المطاحن والمخابز، وكنت مقيداً بالسنة الأولى بالدراسات العليا .

أعلن عن موعد الامتحان ولا زلت بالفرقة الرابعة المدرعة بالهايكستب ، وتقدمت بمعروضي إلى النائب بالفرقة ليمنحني إجازة لأداء الامتحان ، ووقفت على رجليّ من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة الثانية بعد الظهر أمام مكتبه ، ولم يؤذن لي بالدخول وتقديم المعروض .

وتذكرتُ أن يوم الغياب عن الجيش يقابل بيومين في السجن ، يعني لازم أضحي بشهرين في السجن مقابل غيابي شهراً لأداء الامتحان في الدراسات العليا التي انشغلت طوال العام بالاستعداد لدخوله ، زملائي في الخيمة يسهرون طوال ليلهم في الضحك واللعب بالكوتشينة وأنا في المسجد

طوال الليل في التحصيل والمذاكرة ، كيف أجازف بإضاعة سنة كاملة بعد الجهد الذي بذل طوال العام .

وفعلاً : خرجت من الغرفة متجهاً لباب خلفي مخصص للسيارات والمعدات ؛ وقلت للعسكري الحارس على الباب بأني في ظرف خطير ولابد من خروجي الآن ؛لأن اليوم الخميس والامتحان يوم السبت ، وحاولت مع المسئولين ولم يسمح لي بالإجازة ؛وإذا قبض علي سأقول : أني قفزت من أعلى السلك ولم أخرج من الباب ، فاطمأن الحارس وفتح لي الباب ، وخرجت متجهاً لمحطة القطار المتجه من السويس إلى القاهرة .

في مادة أصول الفقه : كنت حضرت بعض محاضراتها على الشيخ زهير ، وبعد الدخول إلى اللجنة إذا بالزملاء يتحدثون عن قواعد الأصول النصية ، التي كان يدّرسها الشيخ عبد الغني عبد الخالق ؛ طوال العام ولم أعرف ذلك ، ولم أسمع منها حرفا واحداً ، فسألت الزميل المجاور لي في الامتحان عن الموضوع الذي درّس لهم ، وسألته عن تعريفه وأقسامه وشروطه وأهم قواعده فأجابني عما سألته بهدوء وكأن في رأسي جهاز تسجيل ، قد حفظ موجز الإجابات التي قالها الزميل ، ومعلوم أن الدرجة نصفها على الدراسة النصية ونصفها الأخر على الدراسة الموضوعية .

ونفاجأ بعد توزيع الأسئلة بأن السؤال الأول عن الدراسة النصية ، فأسرعت بتسجيل ما سمعت في الأوراق ، وكان ذلك من النفحات الربانية التي عودني عليها المولى عز وجل بحيث تحضرني في الوقت المناسب دون بذل

جهد مني ، وبل ودون توقع مني ، لولا هذه النفحة لكان الرسوب مؤكداً ، لأن درجة النجاح في الدراسات العليا لا تقل عن ستين درجة ، فلو كتبت الإجابة كاملة عن الدراسة الموضوعية لكنت حصلت على درجاتها كاملة وهي خمسون درجة ، وهى تنقص عن درجة النجاح، فالحمد لله كثيرا على نفحاته ونعمه المتوالية على هذا العاجز الفقير .

بعد انتهاء الامتحان تقدمت إلى الإدارة بإعطائي ما يفيد أني حضرت الامتحان وفعلا تم إعطائي بأني قضيت شهراً في أداء الامتحان ، وحين عدت إلى الفرقة فوجئت بزملائي يقفون في الطابور استعداداً للسفر إلى الإسماعيلية ، فتعجبت كيف كان منعي من الإجازة وعدم الاستجابة بسبب قرار السفر الى الإسماعيلية تنفيذاً لقرار يستغرق شهراً كاملاً .

المهم ؛ بمجرد وصولي وتقديم الاعتذار من الكلية : أكرمني الله بأحد المحققين ؛ كان يسأل نفسه ويجيب على نفسه ؛ثم يقدم التحقيق للنائب الذي يصدر القرار باعتبار هذه المدة إجازة رسمية بعذر ، وعليه أن يسافر مع زملائه إلى الإسماعيلية ؛ وكان ذلك بفضل الله ورحمته .

وأخيراً يصل قرار الإعفاء من التجنيد ، وأسلم العهدة ، وأتسلم عملي في إدارة المجموعة ، وكانت النتيجة للسنة الأولى طيبة ، وبدأ العام الدراسي وحاولت أن أحضر معظم المحاضرات حتى لا يتكرر ما حدث بالسنة الأولى ،وكان ذلك ميسراً لأن الدراسة كانت مسائية ؛ وكانت نتيجة الدبلوماتين معاً بتقدير جيد جداً ، مما يسر الأمر بتعييني معيداً بالكلية في نهاية المطاف .

الابتلاء الشديد في تنفيذ قرار التعيين ؛ وطلب العون من المولى جل علاه:

في شهر أبريل من عام ١٩٧٠ سلمت عهدتي في إدارة مخابز المجموعة التي كنت أديرها في شركة مطاحن ومخابز وسط القاهرة ، وذهبت لتسلم عملي كمعيد في كلية الشريعة تنفيذاً للقرار الصادر بشأني وأربعة عشر من زملائي في دفعة واحدة ، لكنني فوجئت برئيس شئون العاملين بالجامعة يقول: لن نعتبرك منقولاً من القطاع العام إلى القطاع الحكومي ؛ بل سيتم تعيينك باعتبارك جديداً تتقاضى الراتب الذي يتقاضاه أي موظف جديد وهو سبعة عشر جنيهاً وبعض الجنيه ، كان الكلام خطيراً ، من أربعين جنيهاً الى سبعة عشر جنيهاً ولي زوجة وأولاد ، وأخوان يعيشان معي في سكني : حاولت إقناعه بوجود حالات مشابهة وقد أخذوا حقوقهم كاملة التي كانوا يتقاضونها في القطاع العام ، كان رده الوحيد أنا لديّ فتوى قديمة من مجلس الدولة بعدم معاملة القطاع العام معاملة المنقول من جهة حكومية ، فقلت له أمهلني بعض الوقت للتفكير .

كيف أنتقل من وظيفة راتبها أربعون جنيها إلى سبعة عشر جنيها ؟ نعم : نتغاضى عن الإضافي لكن المرتب الأساسي ثمان وعشرون جنيهاً ، فكيف يمكن التغاضي عن أحد عشر جنيها أخرى ؛

أخيراً ذهبت إلى مسجد الإمام الحسين لعمل الاستخارة ، إذ يصعب علي أن أتخلى عن وظيفة معيد بعد طول الأمل في الانتظار ثم الانتقال إلى مجال العلم بدلا من مجال المناهتة والانشغال بالعمل الإداري شديد التعقيد .

صليت ركعتين أولا فلم أدر ما قرأت فيهما ، ثم صليت ركعتين أخريين فخطرت لي خاطرة وهي : أن أعتبر نفسي بأني لا زلت طالباً ، وأتحمل أنا ومن معي شظف الحياة حتى يأتي الفرج من الله تعالى .

فعدت إلى الإدارة وقلت : إني موافق ، لكن هل من حقي التظلم ؟ قال : لا يمنعك أحد من ذلك .

ذهبت إلى لجنة الفتوى بمجلس الدولة وقدمت تظلمي فأعطوني فتوى بأن أعامل معاملة المنقول من الحكومة ، فأخذت هذه الفتوى وذهبت إلى رئيس الجامعة فوجدت رئيس الشئون الإدارية جالساً معه وعنده الأمين العام ، ووجه رئيس الجامعة كلامه إلى رئيس الشئون الإدارية : أن له الحق في طلبه ، ولما رد رئيس الشئون الإدارية : بأن لديه فتوى قديمة بعدم التسوية ، فقال له رئيس الجامعة : الفتوى الجديدة تنسخ الفتوى القديمة ، ونفذ الفتوى الخاصة بأحمد ، وطلب مني الذهاب إليه في الصباح .

وعند ذهابي إليه في الصباح كما طلب رئيس الجامعة ؛ رفض تنفيذ أمر رئيس الجامعة فأحرجت أن أعود مرة أخرى لرئيس الجامعة ، وظللت حوالي عامين حتى جاء قرار رئيس الوزراء عزيز صدقي عام **١٩٧٢** بكادر الجامعات الجديد ، لكن بدون أثر رجعي .

لكن جاء العوض من المولى جل علاه ، حيث يطلب مني الشيخ جاد الرب رمضان ؛ وكان عميداً للكلية آنذاك أن آخذ بحثاً من الموسوعة وتجهيزه ، ثم تسليمه ، وفعلا، سلموني مصطلح [الانفساخ] فظللت في بحثه قرابة

العام ، وبعد أن سلمته لهم طلبوا مني إعادة صياغته بإعتباره (نظرية الإنفساخ) فظللت فيه قرابة العام ثم قرأته على اللجنة بعد إعادة صياغته على شكل نظرية ؛ باسم [نظرية الانفساخ]وكانت المكافأة أربعمائة وعشرين جنيها ، وكان في ذلك جبر للخاطر وتعويض عن قسوة الموظفين. والحمد لله رب العالمين .

عمل المعيد في الكلية : بعد تسلمي للعمل كلفت بتدريس البحوث الثقافية حول بعض المواد ، وكان الدرس لمدة ساعة في كل بحث لمجموعة من مجموعات الطلاب .

لكني وجدت الزملاء يجمّعون هذه المجموعات المشتركة في مادة واحدة ، في قاعة واحدة ، ولمدة ساعة واحدة .

وحين المناقشة قالوا : من حق كل طالب ساعة في البحث ونحن نوفيه الساعة كاملة .

وكان ردي أننا نحصل الأجر على عدد ساعات العمل ، وليس على حساب كل طالب يحصل على ساعة ولم يقتنع أحدنا بوجه الطرف الآخر ، مما دفعني إلى أن أذهب إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر وهناك التقيت بالشيخ سامون فعرضت عليه المشكلة وطلبت منه الفتوى في ذلك ، فسألني أنت من أين ؟ فقلت له من كلية الشريعة فضحك وقال : من كلية الشريعة وجاي تسأل في لجنة الفتوى ؟ ورفض الإجابة على الاستفتاء الذي قدمته له .

وإلى جانب ذلك كلفني الشيخ جاد الرب بالاشتراك في جرد مكتبة الكلية مع أمين المكتبة، وسارت الأمور على ما يرام بحمد الله تعالى حتى انتهيت من إعداد رسالة الدكتوراه وموضوعها { عقد الوكالة في الشريعة الإسلامية } ، وتحددت لها المناقشة من الشيوخ المعينين لذلك وهم الشيخ محمد السايس والذي كان قد تجاوز التسعين عاما ، وكان يلقب بذي العمادتين ؛ لأنه تولى عمادة كلية أصول الدين ثم عمادة كلية الشريعة ، وذلك قبل أن يفرض نظام التخصص ، والشيخ حسن وهدان ، والشيخ أنيس عبادة الذي تولى الإشراف على إعداد الرسالة .

وكان الموعد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان وقد حضرها الوالد ، وقد جاء من القرية ومعه ذبيحة لتكريم من حضر من البلدة معه والمحبين ممن حضر المناقشة ، وقد سجل المرحوم الأستاذ كامل العبد المناقشة بجهاز تسجيل أتى به معه وسلمني التسجيل قبيل وفاته رحمه الله .

وكان احتفالا طيبا ، والحمد لله لقد صنعت لابنتي إيمان ، مثل ذلك حين حصلت على نفس الدرجة بل ربما كان أوسع من ذلك وصد قرار التعيين في شهر مارس من عام ١٩٧٤ م .

وقد باشرت عملي في التدريس في العام الجامعي ١٩٧٤/١٩٧٥ م بجدول مشترك بين كلية الشريعة بالقاهرة وبين كلية الشريعة في أسيوط ، بعض أيام الأسبوع في القاهرة وبعضها الآخر في أسيوط ، وكان ذلك كذلك في العام التالي ١٩٧٥/١٩٧٦ لذلك حين تسلمتُ العمادة في أسيوط عام

١٩٨٣ م فكان المعيدون وعدد كبير من المدرسين من أبنائي الذين سبق أن درست لهم .

وقبل أن أنهي هذا الفصل أشير إلى بعض الملامح والمواقف فيما يلي :

١- يصعب الجمع بين الذّكر والفكر في آن واحد ، فقد كان المرحوم الشيخ عبد الحكيم عضواً في لجنة المراجعة في الموسوعة وكان لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، وحينما طلب منه توضيح حكم في المذهب الحنبلي الذي جئ به لأجله ، حاول أن يطوع لسانه لينطق بالرأي الفقهي ؛ فلم يستطع حتى يئست اللجنة من الحصول على رأيه فغضت الطرف عنه .

٢- كان الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر عضوا باللجنة باعتباره رئيسا لها ، وأثناء عرضي لموقف بين الزوجين وقلت :وكانت الزوجة في ذلك الوقت لا زالت تحت زوجها ، وهي العبارة المكتوبة في المرجع ، إذ بالدكتور الفحام يقول : لا ، بل قل : لا زالت الزوجة مع زوجها .

٣- لزيادة التوثق في النقول التي تكتب في الموسوعة ؛ كانت مهمة الشيخ أحمد الفضلي ، عضو لجنة المراجعة طوال الوقت يمسك بالمرجع المنقول منه النص ليطمئن إلى عدم تحريفه أو تصحيفه ، وإني رئيس لجنة المراجعة الآن بالموسوعة ومنذ عشرين عاماً تقريباً لا أفعل هذا لكن مع التنبيه المستمر بالتحقق من النص المنقول ، وإذا حدث شك يؤتى بالمرجع .

٤- كنت أصلي العشاء أحياناً كثيرة مع اللجنة لم يتخل الشيخ عبد الغني عبد الخالق في إمامته بأعضاء اللجنة وكانوا عشرة ، عن القراءة بقل يا أيها

الكافرون ، وقل هو الله أحد ، ولم يتخل الشيخ الخفيف عن الصلاة بنعليه ؛ وهو يصلي على السجادة التي يصلي عليها بقية الأعضاء .

٥- كنا نشتبك أنا والشيخ الخفيف أثناء المراجعة ، حتى يتدخل الشيخ عبد الغني لفض الاشتباك ، وفي النهاية قال الشيخ الخفيف كلمة أسعدتني ، حيث قال مبدياً راحته ورضاه عن المصطلح الذي وصلت صفحاته الى مائة وستين صحيفة ؛ لأول مرة أرى بحثا في الانفساخ بهذا التفصيل ، وكان هو مقرر اللجنة .

٦- من بين أسباب رغبتي في التعيين في الجامعة ، لأكون في جو روحي يشعرني بالقرب من الله تعالى ، لكن بعد أن حصلت على ما أريد من انضمامي لهيئة التدريس ، إذ وجدت فرقاً كبيراً بين أحاسيسي حين كنت في المخابز مشغولاً بالحرص على جودة الإنتاج ، شديد المراقبة على المال العام ، حسن التعامل مع العاملين ، خلال إدارتي للمخابز لم يحدث أن ضبط مخبز به نقص في أوزان الخبز ، لكن بعد الانتقال لم يتحقق ما كنت أرجوه وأتوقعه ؛ لأن الأكثر يعتبر التدريس مهنة تدر عليه دخلا يعيش به هو ومن يعول ، ولا بأس من زيادة هذا الدخل من خلال المؤلفات التي تفرض على الطلاب إلى جانب عدم الالتزام بالمواعيد والإخلاص في التدريس .

٧- وجود التميز بين طلاب شريعة أسيوط وشريعة القاهرة : حيث تبدأ الدراسة بالقاهرة الساعة التاسعة ومع ذلك : المعظم يأتون متأخرين ،

بينما طلاب أسيوط لديهم همة أكبر ، لأن الدراسة في أسيوط تبدأ الساعة الثامنة صباحا ولكنهم يحضرون قبل ذلك حرصاً على الجلوس بالصف الأول

٨- في السنة الثانية لي في أسيوط كنت مكلفاً بتدريس مادة الفقه المالكي فقط ولمدة ست ساعات ، فكنت أبدأ معهم من الساعة الثامنة صباحاً ، حتى الحادية عشر والنصف ثم الراحة نصف ساعة حيث تبدأ الدراسة الساعة الثانية عشرة ظهراً ، أي نستأنف الدراسة حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، وكنت أقوم بذلك من باب الوفاء بحق الطلاب ، إذ يكفي اقتطاع نصف الساعة لالتقاط الأنفاس ، والاستعداد لتكملة الوقت المحدد للمادة ؛ نعم هذا العمل ثقيل على الأستاذ ؛ لكن له ضرورته إذ جدوله بالقاهرة مخصص لبقية الدروس المقررة عليه سواء في الكلية أو كلية الهندسة لتدريس مادة الفقه لهم لمدة ساعتين أسبوعياً ، إلا أن الطلاب ذهبوا للشيخ الغفاري عميد الكلية ؛ إذ يشق عليهم هذا الوقت الطويل ، كما أنهم قالوا : إن الشيخ أشد إرهاقاً وطلبوا التخفيف ، وأثناء الاستراحة طلب مني الشيخ الاكتفاء ببعض الوقت في التدريس ، لأنه نفسه بمجرد ما يشعر بالتعب يكتفي بما شرحه ولكني لم اقتنع بما قال ، إني آخذ أجراً عن الوقت الذي أعمله ، وإلا أكون أتقاضى أجرا دون أداء ما يقابله من عمل ، ولابد أن نكون مثالا يحتذى بنا بالوفاء بالحقوق .

٩- في بداية عملي بكلية الهندسة طلب مني عميد الكلية الدكتور حتحوت : أن عنده سبعة أقسام فعليّ لكل قسم أن أدرّس لهم ساعتين ، قلت له هذا لا يمكن لأن جدولي اثني عشر ساعة موزعة بين مواد الكلية والهندسة

وأسيوط ، لذلك لابد من جمع الأقسام حتى يعطوا الساعتين ، فقال : لا يمكن هذا إلا بعد المغرب فقلت : وأنا على استعداد لذلك ، وفعلاً حضرت بعد المغرب لعدة أسابيع فلم أجد أحداً من الطلاب .

لذلك ذهبت للقاء نائب رئيس الجامعة لعرض القضية عليه ، فوجدت منه تعاطفاً قوياً ، لذلك أرغم عميد الكلية على مساعدتي في أداء واجبي في الوقت المتاح لي . وفعلا بعد أيام أرسل إلي عميد الكلية وطلب مني اختيار الوقت المناسب لي ليجمع الطلاب جميعاً في كل الأقسام ، فقلت له الوقت المتاح لي وللطلاب الساعة الثامنة صباحاً لمدة ساعتين كل أسبوع .

ويؤسفني القول : بفشل مشروع الطالب المهندس الفقيه ، والمحاسب الفقيه والطبيب الفقيه ، لأن الأخوة كانوا يكتفون بإرسال المقررات من خلال مؤلفاتهم التي تباع للطلاب ، لذلك كان الطلاب لا ينظرون فيها إلا ليلة الامتحان،ومن جهة أخرى لم يهتم عمداء هذه الكليات للمطالبة بحضور المدرس المختص ، لأنهم جئ بهم من الجامعات الأخرى ، فكانوا ينظرون إلى هذه المواد على أنها مواد دخيلة غير مفيدة في تخصص طلاب هذه الكليات ، ثم أتى المرحوم الشيخ طنطاوي ورفع كثيراً من هذه المواد وصارت الفكرة في المشروع هي مجرد شعار خال من المضمون ؛

{فإنا لله وإنا إليه راجعون}

الفصل السادس

الالتزام بمنهج الطريقة الخلوتية

سبقت الإشارة إلى مواظبتي على حضور مجالس الذكر التي يعقدها المرحوم والمربي الفاضل الشيخ أحمد الطيب حتى وفاته عام ١٩٥٤ م ، ثم انتقلت الخلافة في التربية إلى نجله الشيخ محمد أحمد الطيب بعد أن مورست عليه الضغوط من والده ، وشيوخ معهد قنا الديني الذين استقدموا خصيصاً لإقناعه بقبول هذه الخلافة .

تقدمت مثل كثير من الشباب لوضع يدي في يد الشيخ لأتلقى منه التلقين لأوراد الطريق بعد أخذ العهد بالالتزام بهذا المنهج وذلك كما يلي :

يجلس المريد أمام شيخ الطريق كجلسة التشهد في الصلاة ، بحيث تكاد ركبتاه تلامس ركبتي الشيخ ، ثم يضع يده في يد الشيخ ، مع غمض عينيه ، ثم بعد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم التلقين ، حيث يقول الشيخ ويردد المريد خلفه :لا إله إلا الله ، ثلاث مرات ،وذلك بعد التقديم بصيغة الاستغفار التالية : [أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه] ويطلب تكرار هذا الاستغفار مائة مرة ، ثم الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصيغة التالية { اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله } ويطلب منه تكرار هذه التصلية بعد الاستغفار مائة مرة ، ثم يبدأ تكرار عبارة { لا إله إلا الله } ثلاثمائة مرة على الأقل ، والتمهيد لكل ذلك بقراءة الفاتحة زيادة في شرف النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الفاتحة لشيخه وشيوخ الطريق من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منتهى الإسلام ، ثم يقول : وعلى

المريد ألا يؤخر هذه الأوراد حتى مطلع الشمس من اليوم التالي ، وإلا يفسّق ، لإخلاله بهذا العهد .

ثم يطلب منه أن يلتزم بأوامر الله تعالى ونواهيه ، وأن يجتهد في نوافل الخير من الصلاة والصدقة وصلة الرحم والنصيحة للمسلمين .

ثم أمامه الترقية حتى الاسم السابع : وهذه الترقية تكون عن طريق الشيخ برؤيا منامية واضحة فيها إشارة الانتقال إلى الاسم الأعلى بنفس العدد الذي تكرر في (لا إله إلا الله) مع الاجتهاد في المزيد من أعمال الخير ، وحضور مجالس الذكر ما دام ذلك في الإمكان ؛ لأن هذه المجالس تحف بها الملائكة فيكون له نصيب من نفحاتها .

والحمد لله ؛ إني قد التزمت منذ أن وضعت يدي في يد الشيخ حتى مجيئي إلى القاهرة في عام ١٩٦١م لدخول الجامعة حيث مرت بي ظروف صعبة لعدم وجود سكن مناسب ، بل كنت ضيفاً على خالي محمدين النوبي بشبرا الخيمة ، ثم البحث عن عمل للأنفاق على نفسي بالقاهرة إذ يكفي الوالد رعاية زوجتي وابني بالقرية ، فكان يشق عليه أن يزيد على ذلك بالإنفاق عليّ بالقاهرة ، ولقد عانيت كثيراً في البحث عن عمل رغبة في الاستقرار في سكن مناسب مع أخي عبد الحميد الذي فشل في إدارة المحل التجاري الذي جهزه له والده في البلدة ، فأرسله إلي ليعيش معي في القاهرة .

لشدة هذه المعاناة وعدم الاستقرار توقفت رغم أنفي عن أورادي عدة سنوات ، فلما أذن الله بالاستقرار التقيت بالشيخ وطلبت منه تجديد التلقين

فوعدني خيراً ثم فوجئت به في آخر عام **١٩٦٩** م يناديني ويصرح لي باستئناف عمل الأوراد ، ونحمد الله على توفيقي للاستمرار في أخذ الأوراد مع الترقية حتى الاسم السابع . والحمد لله رب العالمين .

كيفية الالتزام بالطريق :

يكون الالتزام بالطريق كما يلي : الاجتهاد في عمل الأوراد في مواعيدها ، والالتزام في حضور مجالس الذكر ؛إما جماعياً ، كما سنفصله بعد قليل ، وإما فردياً في الليالي المباركة ، كليلة الجمعة وإذا اتسعت الأوقات وقلت المشاغل فليلة الإثنين معها .

والحمد لله مجالس الذكر منتظمة في القرية والقرى المجاورة على النمط السابق ، وكذلك في مدينة قنا بين طلاب العلم ، من أبناء الشيخ ، وكانوا كثيرين أيام المرحلة التي قضيناها في الثانوي حيث كان يقود المجلس المرحوم الشيخ عبد الفتاح من قفط ، وكان يكبرنا سناً وعلماً وعملاً ، ومعه الأخوة الكرام ؛ الشيخ محمد محمد أحمد الطيب وأخيه الشيخ أحمد محمد الطيب شيخ الأزهر الحالي ، والشيخ فخري والشيخ عمران وغيرهم كثيرون ، وكان الشيخ عبد الفتاح ينشد بالمجلس أثناء الذكر . كما كانت مجالس القاهرة منتظمة بقيادة المرحوم الشيخ محمود أبو حنفي ، وكان المجلس يقام في بيت الشيخ بكر الحداد ، ثم لما هدم المنزل انتقل المجلس إلى منزل الشيخ محمود أبو حنفي بالأباجية أسفل المقطم ، ثم انتقل إلى سكن الشيخ محمد محمد أحمد الطيب في ساحل روض الفرج .

ثم انتقل أخيراً إلى الساحة الجديدة بالشروق ٣ حيث أقيمت الساحة والمسجد في مكان متسع ، هذا بالنسبة للمجالس المنتظمة .

أما مجالس المناسبات فنشير إليها فيما يلي :

كانت المجالس تقام في القرى التي بها موالد الأولياء ، مثل الجوالس ، الحساسنة ، الريايىنة ، الشيخ عامر ، الأقصر ، قنا .

أما القاهرة فتقام في مناسبتين في العام ؛ مولد السيدة زينب – رضى الله عنها – حيث كان أولاد الشيخ تمتد مجالسهم طوال شهر رجب في المسجد ثم الأيام الخمسة الأخيرة تقام في مكان متسع لتسع الحضور من البلاد ، حيث إنهم يحضرون ومعهم طعامهم وعجولهم التي تذبح وتقدم في الغداء والعشاء لمن كان مقيماً في الخيمة من البلاد .

وكذلك الحال في مولد الإمام الحسين حيث يقام المجلس في الأيام الخمسة الأخيرة من شهر ربيع الثاني ، وفي الليلة قبل الأخيرة يقام مجلسان للذكر ، أحدهما بعد العصر احتفالاً بمولد الإمام أبي البركات سيدي أحمد الدردير ، ثم ينتقل الإخوة إلى الساحة التي يقام بها مجلس مولد سيدنا الحسين بعد العشاء والتي أصبح مكانها في السنتين الأخيرتين بالشروق .

لذلك أهالي البلاد يحضرون في الليالي الخمس الأخيرة في المولدين ومعهم ذبائحهم إلى الساحة مباشرة ، ثم في نهايتها ينصرفون إلى بلادهم في سياراتهم التي حضروا بها من البلاد وعددهم يزيد عن مائة وعشرين غير الحاضرين من المقيمين بالقاهرة .

وتوجد أيضاً إقامة للمجالس ؛ أيام مولد السيدة نفيسة والسيد زين العابدين والسيد مصطفى البكري والشيخ محمد وبكر الحداد .

وكانت لي معزة عند الشيخ ، إذ كان كثيراً ما يصرح لي بأني كواحد من أولاده ، أو يقول : أنت رابع أبنائي ، وكان ذلك يشعرني بأهميتي لديه .

ومن أمثلة شعوري بالقرب منه :

أني حينما تحدد موعد مناقشة الرسالة أرسلت له رسالة أخطرته فيها بموعد المناقشة ، وإني أرجو أن أوفق في الحصول على تقدير مرتبة الشرف الأولى ، وفي الليلة التي سبقت المناقشة رأيت الشيخ في المنام ماشياً على رجليه قادماً من بعيد .

وفي صباح يوم المناقشة رأيت أني أقوم بإمامة عدد كبير من المصلين وقبل تكبيرة الإحرام ؛ قدم الشيخ وأخذ مكانه في الصف الأول خلفي تماماً ، والحمد لله وفقت في الحصول على الدرجة التي أرغب في الحصول عليها .

ومن ذلك : أن الشيخ أحمد ابن الشيخ طلب للتجنيد في أسيوط ، وكان الشيخ لا يرغب في تجنيده لما كان يسمعه من سوء المعاملة في الجيش ، فطلب من المحبين قراءة سورة يس وسمى لنا المسئول في أسيوط الذي بيده أمر التجنيد من عدمه ، وفعلاً قرأت سورة يس وفي نفس الليلة في المنام رأيت حماراً مجهزاً ليركبه الشيخ ، ولكن له رأسين ورقبتين من الأمام ومن الخلف ، فتعجبت كيف يمكن للشيخ أن يركبه بذلك الشكل ، وبعد وصول الشيخ إلى مكان الحمار ؛ إذ بالحمار يتغير حاله وينقلب إلى حمار طبيعي فيركبه الشيخ ، فقصصت الرؤيا على الشيخ ، وفعلاً بعد أيام قليلة وصل الشيخ أحمد وقد عفي عنه من التجنيد .

ومن ذلك : أني أثناء عمادتي لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في تريم وقع في يدي كتاب عن كرامات الشيخ عبد الله الحداد من قبيلة العلويين ، وكان عالماً متصوفاً عابداً فأكرمه الله بكرامات عظيمة وكثيرة ، فخطر في قلبي أن الشيخ لم يظهر لنا شيئاً من تلك الكرامات بالرغم من تقدمه في العلم والعبادة والتصوف .

وإذ بالليل أرى في النوم أن فضيلة الشيخ يجلس على كرسي وبيده سبحته يسبح بها وبجواره منضدة حوالي متر في متر تنفصل أخشابها بعضها عن بعض تلقائياً ، ثم تترتب تلقائياً فتكون منضدة عادية ، ويتكرر هذا العمل عدة مرات وأنا أتعجب من ذلك ، وبجواري رجل من تريم يتعجب ولكنه يقول : إن شيوخهم المتقدمين كانوا يعملون مثل هذا العمل ، كل ذلك وفضيلة الشيخ محمد لم ينظر إلى هذه الحركات ولو نظرة واحدة بالرغم من أنها لا تبعد عنه متراً . ثم ينتهي المنظر ، وينتقل من كرسه باحثاً عن مكان هادئ .

وبعد يقظتي عرفت أن الكرامات لم تكن بعيدة عن الشيخ ولكنه غير راغب فيها .

وغير ذلك من الإشارات التي تشعرني بأني كنت قريباً من الشيخ .

أما كرم هذه الأسرة فحدّث عنه ولا حرج ، فللأسرة ثلاثة مساجد تقام فيها الجمعة ، كذلك كان تقديم الطعام للزائرين أمراً مستمراً خاصة يوم الجمعة حيث يقدم طعام الغداء لجميع المصلين بمسجد الساحة ، وإذا حضر الشيخ محمد محمد أحمد الطيب الى ساحة الشروق بالقاهرة فإن غداء المصلين يوم الجمعة على حسابه الخاص يقدم لهم بمسجد الساحة بالشروق .

الفصل السابع

بعض الرحلات الى الخارج وآثارها

الرحلة الأولى إلى المدينة المنورة وما يتعلق بها :

بعد مرور ثلاث سنوات على تعيين المدرس بالكلية ، يكون من حقه التقدم بطلب إعارته إلى الخارج، وهو حلم يراود الجميع رغبة في تحسين الحال والتوسعة على الأولاد ، وكنت موفقاً أيما توفيق ، حيث كانت إعارتي الأولى إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومعلوم أن حب رسول الله يسكن في قلوب المصريين وأنا واحد منهم ، فإن المصري يضحي بأعز ما عنده ، لتتحقق له هذه الزيارة لمدة أيام قلائل ، أما أن تتاح له الإقامة بالمدينة ، ويكون الطريق للزيارة في كل وقت مفتوحاً أمامه ، فلم يكن يخطر على البال .

وصلنا إلى المدينة المنورة وكنا مجموعة من الزملاء منهم الأساتذة الدكتور مصطفى يونس عميد كلية اللغة العربية بأسيوط ، والدكتور المصيلحي ، والدكتور السماحي ، ذهبنا لاستلام العمل بكلية الشريعة التي كانت إعارتنا إليها ، والتقينا في أول يوم قبل توزيع الجداول مع الدكتور محمود العكازي الذي سبقنا في الإعارة إلى هناك وكان مسئولاً عن مراقبة لجنة في الامتحان الذي كان يجري هناك في ذلك الوقت ، فطلب منا أن نتولى الرقابة بدلا منه وذهب إلى حاجة له .

وطمأننا قبل ذهابنا فقال هؤلاء الطلاب ملائكة ، وانصرف إلى حاله فطلبنا من الزميل الدكتور المصيلحي بالمرور على الطلاب حتى يعرفوا أن هناك مراقبة حتى يسلموا أوراقهم إلينا ، وبمرور الدكتور المصيلحي لعدة دقائق وإذ به يعود إلينا ببرشامة طولها ربع متر وعرضها كذلك ، فأصبنا

بصدمة ؛ كيف نواجه الإدارة بهذا الأمر الخطير ، وهل سيصدقوا أن أولادهم عندهم مثل هذا الأمر المنكر ؟ وهل سيظنوا أننا نريد أن نشوه صورة الكلية بذلك ؟قال بعض الزملاء : أخشى أن يعيدوننا في نفس اليوم إلى القاهرة ، وكان ذلك يوما مشهوداً .

بعد انتهاء عمل اللجنة التقينا بعميد الكلية لنتسلم جداول التدريس ، وبعد أن تسلم الزملاء جداولهم جاء دوري كأخر من تقدم ؛ واجهني العميد بأننا نأسف أن نجد لك مكاناً في الكلية عندنا ، لكن سنرسلك الى كلية الحديث ونوصي عليك هناك .

وكان عملي في كلية الحديث فيه خير كثير ، فبعد دقائق كنت في كلية الحديث ؛ فوجدت لديهم جدولا به تدريس نيل الأوطار للشوكاني ، وقراءات في كتابي البخاري ومسلم .

وبدأت شرح الأحاديث الأولى واستخراج الأحكام الفقهية منها ، لكن قبل الدخول في الجوانب الفقهية لابد من بيان درجة الحديث وما قيل فيه من قبل رجال الحديث ، فكنت قبل الإعارة أعطي دروسا في بعض المساجد وأحفظ عددا من الأحاديث التي كنت أقولها في المواعظ والدروس ، لكنني لم أنشغل بمعرفة درجة كل حديث ، وما قاله رجال الجرح والتعديل في رجال السند .

وكان الطلاب في هذه الكلية من خريجي المدرسة المدنية في الحديث ، لذلك كان لهم تعليق على كل حديث أحفظه تقريباً إنه حديث مرسل ، إنه

حديث معضد ، إنه حديث موضوع ، إنه حديث واه ، إنه حديث ضعيف وهكذا ...... واستمر ذلك لمدة أسبوع تقريباً فخطر لي أن هذا الوضع غير لائق فما هو المخرج؟

جاءني خاطر أنني أشتري كل ما كتب وطبع في الحديث بحيث كل شهر بعد قبض المرتب الذي كان صغيراً في ذلك الوقت ؛ اتجه إلى المكتبة السلفية ومعظم كتبها من الحديث فأشتري بخمسمائة ريال من كتب الحديث ، لكن في بعض الأشهر كان يزيد الثمن إلى قرابة الألف ؛ لأن بعض المؤلفات يزيد ثمن الكتاب الواحد على خمسمائة ريال بكثير .

ثم أسهر في المراجعة حتى أحفظ كل ما قيل في الحديث ، وكانت الفكرة ذات فائدة عظيمة لتلك المرحلة والمراحل التالية ، حتى صارت مناقشاتي للرسائل فيما بعد ؛ منصبةَ في كثير منها على بيان درجة الحديث وما قيل فيه .وبعد أسبوع واحد انقلبت الأدوار ، فإنهم صاروا يكتبون ما أقول في الحديث : بل صار خريجوا هذه الكلية أساتذة يشار إليهم في تمكنهم من الحديث ، وإن أنسى لا أنسى أن جاءني من يقول : إن محدث الإمارات يسأل عليك ويريد أن يسلم عليك ، وذلك حين كنت وكيل لكلية الإمام مالك للشريعة والقانون في دبي بدولة الإمارات ، فوافقت على الزيارة ، وإذا الداخل علي في المكتب: الشيخ عبد الباري فتح الله الهندي أحد طلابي في كلية الحديث الذي تلقى عني ما فتح الله عليّ في الحديث ، ومعلوم أن الهنود يطيلون لحاهم ، وكان يحمل معه هدية لشيخه الدكتور أحمد ريان .

ومن المفارقات : الدكتور عيسى المانع عميد الكلية التي ولّاني وكالتها حصل على درجة الدكتوراه من إحدى جامعات المغرب ، لكنه لا يمل من التوجع والشكوى من شدة أحد المناقشيّن له هناك ، وفي إحدى المرات سألته عن اسم هذا الأستاذ الذي أتعبه في المناقشة ، فإذا به ينطق باسم أحد تلاميذي في كلية الحديث : هو الدكتور زين العابدين بلا افريج ، فضحكت فسألني عن سبب ضحكي ؟ فقلت له : هذا الأستاذ هو ابني وتلميذي في كلية الحديث بالمدينة المنورة .

طلبتني جامعة الكويت باعتباري خبيراً؛ في أخذ رأيي في قرارها الذي تفكر فيه منذ زمن ، وهو منح درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالجامعة ، ولما ذهبت إلى هناك وجدت في برنامج الزيارة رؤية المكتبة الخاصة الكبيرة التي صدرت منها الموسوعة الكويتية ، فذهبت إلى هناك ، وإذا بأمين المكتبة: الشيخ بدر البدري ؛ أحد أبنائي في كلية الحديث فسعدت كثيراً ، فهذه من المنح الربانية التي أسبغها المولى جل علاه على الفقير العاجز أحمد ريان ،

هذه الرحلة إلى المدينة المنورة كانت ولا زالت هي أعز رحلاتي إلى الخارج ؛ بالرغم من أنها هي الرحلة الوحيدة التي دخلت فيها السجن ولهذا موضع آخر .

وجدنا مشقة أنا وزملائي في البحث عن السكن ، وربما كان هذا لأن سكننا سيكون دائماً وهم تعودوا على سكن الزائرين لبضعة أيام ، لقد ظللنا

عشرين يوماً في البحث عن السكن ونحن نجتر متاعبنا في البحث عن السكن ، دار بيني وبين الدكتور مصطفى يونس الحديث التالي :

عندما يأتيني من يقول إنه وجد لي سكناً ، فاسأله السؤال المعتاد على لساني : هل هذا السكن قريب من الحرم أم بعيد ؟ ، فيرفع الدكتور صوته متوجها إليّ : أحمد : كل ما أحد يخبرك عن سكن تقول له : إنه قريب من الحرم أم بعيد ؟ هل أُتي بك إلى هنا لتكون مدرساً بالحرم ؟ فضحكت كثيراً ولم أجب ، وضحك هو أيضاً.

الحمد لله : فقد كانت كلية الحديث بداية لبذل الجهد الخيّر دون مقابل ، كانت حديثة ، وليس بها العاملون الأكفاء ، لذلك أخذت على عاتقي التعاون في كل أمر يحتاج إلى بذل جهد ، فقمت بعمل جداول الدراسة للمدرسين ؛ سواء كانوا على قوة الكلية أو منتدبين لها ، وذلك طول العام الدراسي ، وكذلك نظام الامتحان وتحديد مواعيده ، وكيفية المراقبة فيه ، وتجميع أوراق الامتحان وتوزيعها على المصححين ، وكذلك استلام الكتب المقررة على الطلاب ، وتوزيعها على الطلاب في السنوات المختلفة ، وكان النظام السابق تأتي السيارات بالكتب وتلقيها في مخزن الكلية ، لكني وجدت بالدور الأول في المبني حجرات خالية ، فطلبت من عميد الكلية الشيخ محمد أمان بن مامي — أصله من أثيوبيا- لكنه تجنس بالجنسية السعودية وتجاوب معي في كل أمر فيه مصلحة الكلية ، فطلبت إحضار مجموعة أكبر من الأرفف لنضعها في أربعة غرف بحيث توضع مواد كل سنة من السنوات الأربع في غرفة مستقلة منتظمة

بعناوينها بحيث يمكن العثور على أي كتاب في أي مادة في لحظات قليلة . ولم آخذ مقابل لأي عمل من تلك الأعمال ولم يدر بخلدي هذا الأمر .

لكن استحسان هذه الجهود وتقديرها من الآخرين كان يسعدني ويثلج صدري ، ويعطيني حافزاً لبذل المزيد من الجهد .

لكن التكريم المادي جاء عفواً من المولى عز وجل في علاه بدون تفكير من أحد ، فقد فوجئت أثناء الامتحان بطلب من الشيخ عبدالله وكان وكيلاً للأزهر مع الشيخ عبد الحليم محمود ، وكان رئيس لجنة قيد الدرجات بالكنترول ، قال الشيخ عبدالله اللجنة في حاجة إلى من يساعدنا لكن بشرط أن تكون لديه خبرة كبيرة في أعمال الكنترول . جلست معه ومن معه في لجنة الكنترول وبدأنا الأعمال وكان في ذهنه عمل وهو اختبار لي حتى يطمئن لمشاركتي ، ووفقت والحمد لله ، وإني كنت واثقاً من خبرتي في عمل الكنترول ، حيث أشركني الشيخ عكاشة معه في كنترول السنة الثالثة الذي كان يشرف عليه ويعمل فيه بنفسه ، في الوقت الذي كان بعض الإخوان يتهرب من أعمال الكنترول ؛ لأنه كان بدون أجر للمعيدين في البداية .

كان وقت الكنترول لا يزيد عن أسبوع واحد ، وكانت المكافأة خمسة آلاف ريال ، كان الرقم مذهلاً بالنسبة إليّ وقفزت إلى ذهني على الفور المقارنة بين الكنترول هنا وفي القاهرة : هناك عمل كثير ومدة طويلة وأجر متواضع بينما هنا العمل قليل ، والزمن قصير والأجر كبير ، ولكني بحمد الله إني راضٍ كل الرضا عن جهدي في مصر ، ولم يحدث أن شكوت عن المقابل مهما كان

قدره في مصر إلا في مرحلة القسوة التي ظلمني فيها رئيس الشئون الإدارية في قرار التعيين بالرغم من ظهور الحق وصدور الأمر من رئيس الجامعة برفع هذا التعسف .

وتكررت هذه المكافأة في كنترول الدور الثاني بالرغم من طلبي من عميد الكلية انتداب زميل آخر حتى نتقاسم العمل والأجر ، كل زميل يحمل عبئ كنترول حتى يتساوى الزملاء في المنفعة فتبسم الشيخ وقال : هذا نظامكم في مصر ، هنا لا ننظر إلى مثل هذا ، المهم هو توفر الخبرة دون نظر إلى أي اعتبار آخر ، واستمر عملي في الكنترول إلى نهاية مدة الإعارة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١- دخولي السجن وقضاء خمسة أيام به :

كان السكن على بعد حوالي ربع ساعة من الحرم ، لكن كان بيننا وبين الجامعة حوالي عشرة كيلو مترات كما أن بيننا وبين سوق الجملة مسافة كبيرة ، ثم لابد من السفر إلى مكة لأداء الحج والعمرة ، كل الظروف دعتني إلى التفكير في شراء سيارة ولم تكن لدي أي خبرة في القيادة ، وفعلاً قدمت الأوراق والرسوم إلى الجهة التي تتولى تعليم القيادة وتنظيم إعطاء رخص القيادة ، وانتظمت في التدريب بعد دفع الرسوم كما ذهبت إلى معارض السيارات المستعملة واشتريت سيارة بخمسة آلاف ريال ، وخرج بها سائق حتى أوقفها أمام منزلي .

واستمر التدريب في مركز تدريب السائقين حوالي خمسة عشر يوماً ،حتى دخل موسم السفر إلى الحج ثم صدرت التعليمات بأن الاختبار المؤهل لمنح الرخص لن يبدأ إلا بعد الحج .

يأتيني زميل اسمه سيد الناصح بعد المغرب أو العشاء: يطلب الاتفاق مع صاحب السيارة الذي حج بنا العام الماضي ، وهذا الرجل يقيم في الحرة الشرقية على بعد حوالي خمسة كيلو مترات من سكني ، لكن لا توجد مشكلة ؛ فإني صرت أجيد القيادة كل ما في الأمر أن الرخصة ستكون في يدي في وقت قريب ، إذن فلا بأس من ركوب سيارتي لأذهب إلى السائق المطلوب الاتفاق معه ، فقمت من فراشي بثوبي العادي وشبشبي وطاقيتي وركبت السيارة واتجهت بها إلى الحرة الشرقية وبالمرور على الحرم الشريف سار بحذاء سيارتي في الطريق المخالف صاحبتني سيارة مع إطلاق سرينة بصفة دائمة ودون إعطاء ذلك أي اهتمام مني ، حتى وصلنا إلى نهاية الشارع وإذ به يقف بسيارته أمام سيارتي وإذا به رئيس إدارة المرور يسمى الردادي ، فطلب مني رخصة القيادة ، فقلت له : لم أتسلم الرخصة لكني جاهز لاستلامها .

فأصدر أمراً بإرسالي إلى السجن ، ولم أقل إني أستاذ بالجامعة لأن مظهري الآن يسئ إلى أساتذة الجامعة . وفعلاً أخذني أحد رجال المرور وأوصلني إلى السجن ، مع بكائي بشدة وأدخلني إلى داخل السجن فسألني البواب لم البكاء ؟ قلت : إني أستاذ بالجامعة . فقال : ألست ولدت لتسعة أشهر ؟ فلم أرد على هذا الاستخفاف ، واتجهت إلى السجن ثم إلى المسجد وظللت باكياً به حتى الصباح .

في الصباح أتي إليّ بعض المساجين وأخذوني معهم في عنبرهم فوجدت به سريراً معلقاً على الحائط وبه فرش نظيف ، وأفهموني أن هذا مكان نومي ،

ثم جاء صرف الاحتياجات اللازمة لي حتى فرشاة الأسنان ، ثم جاء وقت الطعام ، وكان طعاما جيداً ولكن الطعام المتبقي والذي يلقى في سلة القمامة يكفي مجموعة من الأسر .

والحمد لله ؛ كنت أصلي بهم إماما في المسجد ، وخطبت بهم الجمعة وصليت بهم ، وبعد انتهاء الأيام الخمسة عدت إلى المنزل ولما عدت إلى عملي بالكلية وسمع العميد بسبب السجن ، قال : الفيصل هو نتيجة الاختبار في السواقة إذا نجحت فيه ، فسننسى كل ما حدث ، وبعد الحج اختبرت ونجحت بحمد الله تعالى .

٢- من متعلقات رحلة المدينة المنورة :

إلى جانب سعادتنا بالقرب من الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، عدت من المدينة بأحد عشر كرتونة كبيرة من كتب الحديث مما ترتب عليه زيادة كتب الحديث وما يتعلق بها ؛على كتب الفقه على المذاهب الفقهية الثمانية في المكتبة لدي .

ثم في الأيام الأخيرة تم تنفيذ الاتفاقية التي عقدها الأمير محمد الفيصل مع الدول الإسلامية غير العربية بأنه سيرفع مستوى مدرسي اللغة العربية ، وعلى الحكومات مساواتهم بمدرسي اللغة الفرنسية والإنجليزية في رواتبهم ورفع درجاتهم بدلا من الدرجات الدنيا التي يوضع فيها هؤلاء .

فنزلنا في دكّا عاصمة بنجلاديش وبها أكثر من مائة مليون مسلم يعيشون على هامش الحياة ، فالسنة عندهم ستة أشهر تحاريق ، وستة أشهر أمطار

وعواصف ، والكثير من أهلها يعيشون في خيام مقامة على مراكب متهالكة على المياه ، الفقر بادٍ على المباني وعلى المحلات وعلى الناس ، أنزلنا في فندق قريب من الكلية التي سندرّس بها ، وهذه الرحلة تتعاون فيها الجامعات السعودية بأساتذتها مع جهد الأمير محمد الفيصل صاحب هذا المشروع الخيري الكبير ، بعد استراحة قصيرة نزلنا نتمشى قليلاً لنرى الناس والحياة ، وكنا أحد عشر أستاذاً عربياً ، معظمهم يلبس الجلباب الأبيض والغترة ، وكأننا نزلنا من القمر ، ما من محل نمرّ عليه إلا وصاحبه يترك محله ويمشي وراءنا حتى صرنا زفة كبيرة ، فكرنا في الخروج من هذا المأزق بالدخول إلى أحد المطاعم ، وفعلاً دلفنا إلى أحد المطاعم ، وقدّم صاحب المطعم ما عنده من الطعام الذي شق علينا جميعا تناول شئ منه لكثرة ما به من الشطة والفلفل والملح ، ومع ذلك ظلت الزفة أمام المطعم ، إذاً فالمخرج من هذا هو العودة إلى الفندق والاختباء ؛ لأن أهل دكّا اشتد احتفالهم بالعرب حتى كادوا أن يغرقوهم ، وقد قيل (ومن الحب ما قتل) .

وكان مشروع الأمير؛ يقضي بإحضار مدرسي اللغة العربية من بلادهم على حساب المشروع وكذلك إعاشتهم ونفقاتهم .

٣- صورة من إظهار مدى ارتباط بعض المسلمين بفقهائهم القدامى :

كنت أشرح إحدى المسائل في الفقه في إحدى الدروس المخصصة للارتقاء بمستوى مدرسي اللغة العربية في دكّا في الجامعة ، فعرضت لي قضية فقهية فيها رأي للإمام أبي حنيفة يخالف ظاهر حديث صحيح ، فقلت : إن

جمهور العلماء يقولون في هذه الحالة : إنه يجب العمل بالحديث وترك الرأي الفقهي المخالف للحديث الصحيح ، فقام مدرس اسمه صلاح ،قال : يعني أنا في هذه القضية أعمل بالحديث وأترك قول الإمام أبي حنيفة ؟ قلت : نعم . قال: إذا فعلتُ ذلك ماذا أقول للإمام أبي حنيفة في الآخرة حين يسألني : لم تركتَ العملَ بقولي في هذه القضية : ماذا أقول ؟

انفجرتُ بالضحك بسماعي هذا القول , كيف يتصور المسلم أن إمام المذهب سيسأل كل أتباع المذهب على مدى التاريخ :عن العمل بكل قول له في كل المسائل التي كان له فيها رأي ؟

نعم ، هذا يدل على شدة تمسك الأتباع بمذهب إمامهم ؛لاعتقاده صحة الرأي وقوة دليله ، لكن يكون هذا التمسك خوفاً من عتاب الإمام لهم في الآخرة ؟ هذا ما كنتُ أظن أن أحداً يصل به حبّ الإمام أو التعلق بأقواله إلى ذلك الحد .

المهم أنهم أيضاً ضحكوا معي ، ثم قلت نفرض يا شيخ صلاح ، أن ما قلتَه سيقع ؟ لكن ماذا تفعل حين يعاتبك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك العمل بسنته ؟ أيهما يخشى عتابه ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أبي حنيفة رحمه الله ؟

٤- الحالة في بعض المساجد :

يوجد في [دكّا] مسجد وحيد تابع للدولة وتشرف عليه ، ويسمى البيت المكرم ، مكوّن من عدة طوابق ، الإمام ومعه بعض من المصلّين في الدور

الأرضي ، وبقية الأدوار مملوءة بالمصلّين وبقية المساجد يقيمها عامة الناس ، وهم الذين يشرفون عليها ولا شأن للدولة بها .

التعصب المذهبي هناك شديد وخصوصاً من يأخذ بمذهب السعوديين ويسمونه بالوهابي ، وكلمة الوهابي تساوي الكفر ، فإذا قيل : فلان وهابي ، معناه كافر .

كلفتُ بإلقاء كلمة عقب صلاة التراويح بمسجد بحي السفارات ، وهم هناك يصلون التراويح عشرين ركعة إلى جانب الشفع والوتر ، والإمام لا بد أن يصلي بقراءة جزء كامل في كل ليلة ، لكن قراءته من حفظه وسريعة جداً ، بحيث كنت أعرف بداية القراءة لكني لم أستطع متابعتها مع الإمام بعد ذلك ، وهذا حدث في كل الركعات .

وبعد الانتهاء من صلاة التراويح حاولت أن أعرف اسمه وأشكره على قراءة هذا الكم ، وأطلب منه التأني في القراءة ، حتى يتدبر المصلون ما يقرأ في الصلاة لكني فشلت في ذلك ، إذ لم يفهم مني شيئاً .

لذلك انصرفتُ إلى إلقاء الكلمة وكانت من خلال مترجم يترجم لهم ما أقول ، هناك يحبون العلماء فإذا تقدم عالم للزواج وكان الوالد مقتدراً فإن العريس لا يتكلف شيئاً ، بل يقوم والدها بكل التجهيزات ، ومن جملة هذه التجهيزات ؛ شراء ملابس للعريس ، نعم ، راودتني النفس بعد أن سمعت بهذا الإغراء لكن كيف؛ وعندي زوجتان، لذلك كان النظر في العواقب جعلني أصرف النظر عن السير في هذا الاتجاه .

٥- جزاء سنّمار :

كانت البعثة خليط من المصريين والسودانيين والسعوديين ؛ ورئيسها مصري ولكنه متجنس بالجنسية السعودية .

وجه إلينا طلاب جامعة دكّا؛دعوة لإفطار المغرب عندهم فقبلنا الدعوة ، وقدموا إلينا طعام الإفطار فطعمنا ، وكان مقتضى اللياقة أن نقدم لهم الشكر الجزيل ، لكن بدلا من ذلك ؛ قام الشيخ ربيع هادي وهو يمني ولكنه متجنس بالجنسية السعودية ؛ وهو من غلاة المتشددين ، فبعد أن حمد الله تعالى وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترحّم على الإمام حسن البنا والشيخ محمد عبد الوهاب ، ثم دخل في عقيدة أهل السنة كما يقول : وأوضح أن الله موجود بالسماء ، وكل من يعتقد غير ذلك فهو كافر ، واستمر في سرد مفردات عقيدة هؤلاء .

ونظرت إلى رئيس البعثة كي يوقفه عن الاسترسال في ذلك الفكر أو يرد عليه بعبارات رقيقة يخفف بها هذه الصدمات التي وجهت إلى جميع من حضر بما فيهم الطلاب أصحاب الدعوة ؛ الذين كان جزاؤهم جزاء سنّمار الذي ألقى من قمة القصر الذي أجاد في إقامته ؛ حتى لا يبني ما يماثله مستقبلاً للآخرين .

٦- ولا يفوتني أثناء زيارتي لدار الإحسان بقسم المخطوطات : أن وقع في يدي تفسير لنصف القرآن الكريم لوزير السلطان أكبر أحد سلاطين الهنود ، هذا التفسير لا زال مخطوطاً ، وهو مكتوب بالحروف المهملة - غير المنقوطة- وكان أمراً عجيباً ويقارب الخمسمائة صحيفة من القطع الكبيرة .

٧- وكنت قد سجلت كلمة في دار الإحسان بالخط العربي ، وبعد خمسة عشر عاماً يأتي إلينا وفد من الدعاة هناك ليحضروا بعض المحاضرات في مجال

الدعوة في مدينة البعوث الإسلامية ، وكنت وقتها منتظماً بإلقاء محاضرات أسبوعية ، وإذا بوفد بنجلاديش يقدم إلي صورة مما كتبته في دار الإحسان هناك ، وهم هناك يعتزون بكل شئ يأتي من العرب .

٨- وبعد خمسة وثلاثين يوماً قضيناها في دكا خرجتُ منها وأنا في أسوأ حالاتي النفسية والمرضية ، حيث أنه يوجد هذا الكم الهائل من المسلمين الذين يعيشون على هامش الحياة ، دون أن ينظر إليهم أحد من العرب القادرين .

٩- إلى باكستان :

خرجنا مسافرين إلى كراتشي عاصمة باكستان القديمة حيث نقل أيوب خان الحكومة منها إلى بلدة أخرى تسمى إسلام آباد في الصحراء وبعدة عدة أيام قضيناها في كراتشي التي تشبه القاهرة في الخمسينيات من القرن الماضي ، وذلك بمناسبة عيد الفطر , ثم انتقلنا منها بالسيارات إلى بشاور حيث يوجد المجاهدون الأفغان ؛ الذين جئنا من أجل رفع مستوى مدرسي اللغة العربية لديهم .

لكن مررنا على الجامعة الحقانية ، وهي جامعة إسلامية أقامها الشيخ عبد العظيم عبد الحق الحقاني ، وقد تكفل بغدائنا تكريماً لنا ، وهو في سن يقارب الخامسة والسبعين من العمر ، وتتميز الجامعة الحقانية بأن الأساتذة لا ينصرفون إلى بيوتهم بعد انتهاء الدراسة ، بل يعيشون مع الطلاب في استراحاتهم حتى يكونوا مرجعاً لهم أثناء مراجعة ما درسوه بالنهار في أماكن الدراسة ، وهو أمر جيد ومستحسن ، لكن السؤال الذي لم نسأله لهم كيف تعيش عوائلهم مع بعد الأزواج عن بيوتهم وأولادهم ؟

قضينا في بيشاور عشرين يوماً في تدريس المواد التي ترفع مستواهم باللغة العربية ، وكانت فرصة أن التقينا بزعماء المجاهدين في مبنى يجتمعون فيه بالليل ، أما بالنهار فهم مع جنودهم في أرض القبائل في باكستان والتي تحولت الآن عام ١٩١٤ / ١٩١٥ إلى قطعة جهادية ضد حكومة باكستان وسموا أنفسهم (طالبان باكستان) ، وقد زرنا أرض القبائل والتقينا بالمجاهدين من الشباب ، وتناولنا معهم طعام الغداء وقدمنا لهم شيئا مما يحتاجون إليه كلا حسب قدرته .

وبذلك انتهت رحلة المدينة وما لحق بها من آثار ، حيث عدنا الى القاهرة في منتصف عام ١٩٨١ م ، وكانت بداية الرحلة عام ١٩٧٧ م عقب زواجي من أم مصطفى الذي كان قبل شهر واحد ، حيث لحقت بي هناك بعد أن وفقت في العثور على السكن المناسب ، حيث كانت تصحبني إلى المسجد النبوي للزيارة ولصلاة المغرب والعشاء ، أما صلاة الصبح فكنت أذهب منفرداً إليها ، إذ كانت حاملاً بمصطفى في ذلك العام حيث ولد في القرية في إجازة الصيف ، أما العام التالي فكانت الصحبة مع محمد والزهراء وأمهما ، أما أم مصطفى فكانت مشغولة برضاع مصطفى في بداية العام ، إلى أن تقدم في السن ، فكانت تذهب به وظلت مصاحبة لي بقية إقامتي في المدينة ، أما أم محمد فعادت بعد أن قضت العام الثاني هناك وحصل محمد على الثانوية من مدرسة أحد ، فبقيت به في القاهرة لدخوله الجامعة .

الرحلة الثانية : إلى تونس :

كانت الرحلة الى تونس قصيرة إذ كنت مصاحباً للدكتور عبد الفتاح الشيخ الذي كان عميداً لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ، وكنت منتدباً لعمادة كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، وكانت مهمة الرحلة القيام بالتحكيم في رسالة دكتوراه ، عن ابن أبي زيد القيرواني وكتاب مخطوط له يسمى : النوادر والزيادات ، حيث حصل اختلاف بين أعضاء لجنة المناقشة ، فانتدبنا لفصل النزاع مع زميل سوري حيث كان مسئولاً عن المدرسة الحسينية للحديث بالمغرب ، وقدّم كل منا تقريره إلى الدكتور عبدالله الوصيّف عميد كلية الزيتونة هناك ، وقد ضمنت تقريري أمرين : أحدهما : كثرة الأخطاء المطبعية واللغوية ، وذلك في عدة صفحات مع الإشارة في نهاية ذلك إلى أن ذلك لا يؤثر في القيمة العلمية للرسالة .

أما الأمر الآخر : وهو أين التعليق المطول عن تحقيق الكتاب الذي يمثل جزءً من موضوع الرسالة وهو جزء من عنوانها ، من حيث عدد لوحاته ، وبيان مشتملاته ، وما هي الإضافات الجديدة في الكتاب الذي ترفع مستواه عن الكتب المماثلة له في موضوعه ، حيث خلت الرسالة عن بيان ذلك كله ، إذ لم يذكر شيئاً ذا قيمة في هذه المجالات ، لذلك خلت الرسالة عن الجزء الكبير من موضوعها التي سجلت من أجله ، مما يدفعني إلى القول برد الرسالة وعدم صلاحيتها ، فإن استطاع الباحث الوفاء بذلك فلا بأس من قبولها .

كان ذلك هو ملخص التقرير الذي قدمته لهم ، لذلك نادى عليّ الدكتور الوصيّف وانتحى بي جانباً ،وأخذ يدعو لي ولوالدي .

وإلى جانب هذه المهمة الأصيلة قمت بإلقاء محاضرة في كلية الزيتونة عن موقف المالكية من القضاء ، وما قاله أبو البركات الدردير عن القضاء في مصر

في عصره ، وفي نهاية المحاضرة قامت إحدى الطالبات فقالت : ما قيمة هذا الكلام الجميل إذا لم يطبق على أرض الواقع ؟ فأجبتها بأننا وإن عجزنا عن التطبيق في عصرنا لكن نرجو أن تتمكنوا في عصركم من التطبيق .

زيارة الإمام سحنون التي لم تكن متوقعة :

كانت الزيارة إلى مدينة القيروان ذات هدفين أحدهما : زيارة ضريح الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي، وثانيهما : زيارة مسجد عقبة بن نافع الذي فتح الله على يديه تلك البلاد ، والذي كانت إقامته آية من آيات الله تعالى ، فبعد أن وقع اختياره على المكان لسعته وكانت به مجموعة من الأحراش التي كانت تأوي إليها الدواب المتوحشة من الذئاب والأسود والضباع وغير ذلك من الحيوانات الوحشية ، نادى بأعلى صوته : إننا سنقيم مسجداً كبيراً في هذه البقعة وعلى جميع سكانه أن يرحلوا عنه في مدة كذا ، يقول المؤرخون لقد خرجت تلك الوحوش ، بعضها يحمل أولاده الصغار ، وبعضها تمشي صغارها وراءها ، وكان يوماً مشهوداً .{ ومن قبله قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما :للأسد الذي نزل شوارع المدينة وقد تقدم إليه : ليس طعامك ها هنا ، وإنما طعامك وراء هذا الجبل ، فكرّ الأسد راجعاً إلى مكانه وراء الجبل المشار إليه ، فسأله الناس : كيف اقتربت من الأسد واستمع لقولك ولم تخف ؟ فقال مقالته المشهورة : من خاف الله تعالى أخاف منه كل شئ ، ومن لم يخف من الله تعالى أخافه الله تعالى من كل شئ } .

وبعد أن انتهينا من زيارتنا خرجنا مشياً إلى خارج القيروان وكنا حوالي عشرة ، ومنهم رئيس الجامعة الذي كان ذاهباً إلى هناك لحضور بعض اللجان العلمية للجامعات الإسلامية .

حانت مني التفاتة عابرة لا أقصد منها شيئاً لأننا كنا بجوار مزارع ذرة شامية عالية ومنتظرين السيارة التي ستنقلنا إلى مكان آخر في تونس ، فيقع نظري على قبة قديمة متهالكة وسط المزارع ، فسألت بعض المارة عنها ، فقال : هذا ضريح الشيخ سحنون ، وكأني وقعت على كنز لا يقدّر ما فيه من الخير ، فقلت لمن معي إني ذاهب لزيارة الشيخ سحنون هناك بين المزارع ، فمشي خلفي بعضهم وإذا أنا أمام حجرة بسيطة صغيرة مكشوفة ، يتوسطها ضريح مغطى بقماش أخضر قديم متهالك ، فحضرني على الفور ما قلت :[هاأنت يا سحنون تعيش وحدك وتموت وحدك وتدفن وحدك] وحضرني التاريخ الحافل للإمام سحنون ، وقد وفقني الله جل علاه على بسط حياة الإمام سحنون في إذاعة القرآن الكريم في شهر رمضان على عشر حلقات مدتها عشر دقائق لكل حلقة ، وكان الحارسان على قبره ؛ رجل وزوجته متقدمان في السن ، وبعد أن ترحمت عليه غادرته وكان ودي لو بقيت معه إلى ما شاء الله ، ولكن الصحبة نوع من الرق ، كما يقول شيخ سحنون ابن القاسم رحمه الله تعالى :[إياك ورق الأحرار] قيل له : وما رق الأحرار ؟ قال : [الأصدقاء] .

من ذكريات هذه الرحلة : طلب بعض المشايخ شراء عنبر خام ، وكانت المحلات التي تبيعه في عمق مدينة تونس ، وفي داخل أحد شوارعها ، وبعد جهد وصلنا إلى المحل الذي يزدحم عليه العملاء ازدحاما شديداً، وكان صاحبه يهودياً وأخيراً وصلنا إلى العامل به فأرانا العنبر الخام ، وقال إن ثمن الجرام الواحد سبعة دنانير تونسية ، وكان الدينار التونسي بحوالي دولار وسبعين في المائة من الدولار الآخر ، فاعتبره المشايخ غالياً ، وطلبناه من محل آخر صاحبه كان مسلماً ، فوجدناه جالساً أمام المحل وبيده منشة ينش بها الذباب والناموس ولا يقف عنده أحد ، وكان قريباً من المحل الأول ، فسألناه

عن ثمن الجرام من العنبر فقال : اثنان وعشرون ديناراً تونسياً ، فضحكنا على هذه المفارقة الغريبة وانصرفنا عنه إلى غير رجعة .

ونختم هذه الرحلة بهذه الخدعة التي انخدعنا بها ولم يخدعنا أحد :

كانت ضيافتنا في نزل تونس الدولي ، وفي غداء اليوم الأول ؛نزلنا إلى المطعم فوجدنا في جوانبه أكثر من ثلاثين صنفاً من الخضروات والمقبلات الفاتحة للشهية بما في ذلك قطع من الكفتة والكباب ومشهيات اللحوم ، فاعتبرنا ذلك هو كل الغذاء ، وحملنا منه كل ما لذ وطاب ، وحملنا في بطوننا منه أقصى ما تحمله ،وقبل انصرافنا وإذا بأحد عمال المطعم يتقدم بعربة صغيرة يدفعها أمامه ، ويضع أمام كل واحد طاجنا من أمثال طواجن الصعايدة ، وهو ملئ بقطع اللحم التي تفوح منها الرائحة الطيبة، والدخان الخفيف الذي يشير إلى أنها على درجة من السخونة التي تساعد على فتح الشهية ، لقد أسقط في أيدينا ، لقد انخدعنا وامتلأت بطوننا من الحشو ، وامتلأت القلوب حسرة على ما فاتنا من هذه النعمة التي سيقت إلينا ولكننا لا نملك الانتفاع بها .

الرحلة الثالثة : إلى الأردن

من حسنات الدكتور عبد الفتاح الشيخ الذي تولى رئاسة الجامعة بعد الدكتور محمد السعدي فرهود، شعوره الأزهري القوي الذي كان علامة مميزة له طوال فترة رئاسته للجامعة ، خصوصاً إذا كان الأمر له مظهر خارجي ، ومن ذلك قرار الجامعات الإسلامية بتكريم المتفوقين في الكليات ، وذلك باختيار مجموعة منهم للسفر لإحدى الجامعات الإسلامية لعمل بعض الأنشطة الثقافية في كل عام ، وفي إحدى هذه الأعوام كلفتُ بمرافقة هذه المجموعة الأزهرية لزيارة جامعة اليرموك بالأردن ، وكان هذا الاختيار حرصاً على الشعور بتواجد الأزهر في هذه الأنشطة ، وهذا لا يتضح إلا إذا

ظهر الطلاب أو المشرفين عليهم بالزي اِلأزهري ، وكانت النفقات وشهادات التقدير تبرعاً من ليبيا برئاسة العقيد القذافي .

لقد استقبلنا بحفاوة وتكريم وكان لأولادنا نشاط ملحوظ وسط مجموعات الطلاب الآخرين ، إلى جانب إلتزامهم بآداب الضيافة .

وكانت هناك محاضرات من كبار المثقفين في الصباح من كل يوم ، لكن بكل أسف ظهر انعدام الإحساس بالتدين أو بالتعاليم الإسلامية في هذه المحاضرات ، بل كان هو المظهر السائد العام مع الارتكاز على القواعد العلمانية التي تحكم المجتمعات في الوقت الحالي مما دعاني للرد على المحاضر أكثر من مرة في عقر داره ، لأن المتحدث كان هو رئيس جامعة اليرموك ، لكن على النقيض من ذلك طلاب الجامعات هناك ، إذ دعينا لحضور احتفال هناك لإتحاد طلاب الجامعة الأردنية في عمّان ، فوقف الطلاب على الأبواب لمنع الدخول للعلمانيين والشيوعيين إلى قاعة الاحتفال سواء كانوا من ألأساتذة أو من الفئات الأخرى ،.

ومن المظاهر التي لفتت انتباهي ؛ هو نعومة الشوارع هناك بحيث لا تجد حفرة أو مطباً صناعياً في الطرق سواء داخل المدن أو خارجها أو بينها ، فقد قضينا أسبوعاً ما بين الشمال والجنوب فلم نشعر بشئ من ذلك ، كذلك دهان المنازل جميعها باللون الأبيض مع نظافة الشوارع ، مما دعا البعض وهو أستاذ بجامعة المنيا يقول : بأن السبب هو استمرار الملكية هناك والحكم العسكري عندنا ، لكن الواقع أن ذلك له أسباب كثيرة ولا يمكن إرجاع ذلك إلى هذا السبب الوحيد .

من المفارقات : أن نسبة التعليم هناك تدور حول التسعين في المائة ، كما أن الجامعات هناك تعطي رواتب للأساتذة لا تقل عن الرواتب السائدة في دول الخليج إن لم تزد عنها .

النظر في العواقب يدفع إلى التعقل واستدراك سقطات اللسان :

في الليلة الأخيرة كنا نجلس مع أمين عام الجامعة على المنصة الرئيسية ، والطلاب مشغولون بأنشطتهم فتظهر بالقرب منا فتاة ليبية قصيرة القامة نسبياً ، لكن شعرها طويل مصبوغ باللون الأصفر ، وقد أُخذَ بذلك الدكتور الأمين العام للجامعة وهو راعي الحفل ، وقال بصوت عالٍ : فاطمة – وهو اسم البنت– هي سلطانة الحفل ، ثم بدأ يجلس فنظر عن يمينه فوجد زوجته جالسة بجواره ، فقال بصوت عال لكن بدرجة أقل ، فاستدرك قائلاً : لكن إمبراطورة الحفل هي زوجتي فلانة . فتذكرت المقولة : بأن النظر في العواقب يدفع إلى التعقل .

من ذكريات القذافي الأليمة : في آخر ليلة زارني أحد الأساتذة الكبار بالجامعات الليبية وبعد الترحيب به عرفت أنه أتى عضواً في الفريق الليبي ، مجرد عضو ليس له من أمر الفريق أية سلطات، إنما السلطات الكاملة في يد شاب لا يكاد يبلغ الثلاثين من العمر ، فلما رأى تعجبي : قال لا تعجب هذا هو الحال في كل ليبيا : النظام الجماهيري : الشباب بيدهم كل مقاليد الأمور ، فتعجبت في نفسي كيف يرضى الناس هناك بذلك . وإلى متى ؟

الرحلة الرابعة إلى الكويت والتي تعددت الرحلات إليها :

الرحلة الأولى : إلى الكويت

كان الهدف من هذه الرحلة الإطلاع على المراحل الدراسية في الجامعة الكويتية ، ومدى صلاحية إصدار درجة دكتوراه من كلية الشريعة ومنحها لمن يستطيع قطع المرحلة الجامعية وما فوقها بتفوق ثم يستطيع عمل رسالة متخصصة في أحد فروع الفقه أو أصول الفقه ، وتجاز الرسالة من لجنة متخصصة تشكل لمناقشتها ، وقد اعتبروني خبيراً في ذلك بعد استطلاع أراء الكثير من الزملاء الذين استضافتهم الجامعة من قبل وأدلوا بدلوهم في ذلك ، وفي آخر اجتماع مع عميد كلية الشريعة ورؤساء الأقسام بها ومنهم بعض الزملاء من كلية الشريعة بالقاهرة أصررت على أن يتضمن القرار ضرورة حفظ القرآن الكريم كاملاً ، وليس ذلك بالأمر المستحيل ؛ لأنهم هناك يصلون بحفظهم إلى نصف القرآن ، أمّا النصف الآخر فيمكن تحصيله لمن عزم عليه في وقت معقول : لأنه ليس من اللائق أن يمنح إنسان درجة الدكتوراه في الشريعة ، ويشار إليه في الاجتماعات والمحافل الدولية بصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور ، وهو ليس حافظاً للقرآن الكريم ، وعندنا بالرغم من حفظه للقرآن في مرحلة الدراسة الإعدادية والثانوية ثم مرحلة الكلية ، لكنه لابد أن يجتاز الاختبار في القرآن الكريم قبل أن يجاز بدرجة الدكتوراه ، وإذا بزميل مصري ومن كلية الشريعة بالقاهرة ويشغل هناك رئاسة قسم بالكلية ، يقول كلمة سيئة جداً حيث قال : يا دكتور أحمد أنت تعرف كيف تجرى الامتحانات في القرآن الكريم في الدراسات العليا بكلية الشريعة بالقاهرة ، فرددت عليه فقلت : إنها تجرى خالية من الغش مع العقوبة الشديدة لمن يضبط بشئ من ذلك .

الزملاء المصريون استنكروا صدور هذا القول من زميلهم لكن كان الاستنكار في قلوبهم ولم يفصحوا عنه إلا بعد انتهاء الاجتماع .

قمت ببعض الجولات وكان من بينها زيارة مكتبة الموسوعة الكويتية التي صارت موضع الاعتزاز من المثقفين الكويتيين ، وقد التقيت هناك بأركان الموسوعة ، ومنهم الأستاذ الدكتور حسن الشاذلي وكيل كلية الشريعة بالقاهرة سابقاً ، والدكتور عبد القادر شحاته أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة بالقاهرة ، وقد سبقهما كلاً من الدكتور الشيخ المتولي عبد الباسط العميد الأسبق لكلية الشريعة ، والدكتور عبد الحكيم المغربي الصعيدي وغيرهم ممن قامت بجهودهم وعلومهم هذه الموسوعة المباركة ، سواء كانوا من المراجعين أو الباحثين ، حتى أن الفقير أحمد علي طه ريان كانت له مساهمته ، حيث كلفت بتقديم بحث حول مصطلح [القرعة] فكتبت فيه مائة وعشر صفحات حسب المقاسات الموضوعة للصفحة بحيث تتضمن الصحيفة مائتين وخمسين كلمة ، ولكنهم اختصروا هذا الكم إلى خمسة عشر صفحة لشدة الاختصار ، وذلك يختلف عن منهجنا في موسوعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة التي أشرف برئاستها منذ عشرين عاماً تقريباً ، وذلك يتضح من خلال عدد الأجزاء حيث انتهت الموسوعة الكويتية بخمسة وأربعين جزءاً بينما نحن لا زلنا في حرف التاء ، ولا زال به جزءان أو ثلاثة وقد أنجزنا بحمد الله تعالى ثلاثة وأربعين جزءاً.

وفي نهاية المطاف انتهت الزيارة مع إظهار اعتزازهم بي وبما أمثله من منهج إسلامي وما تمثله كلية الشريعة بالأزهر؛ من اتزان ورصانة وقوة في المنهج والدليل الهادي علي ذلك : هؤلاء الأبناء من الكويت الذين تخرجوا من

شريعة القاهرة ومن بينهم ابن الدكتور عجيل النشمي ؛ من كبار أساتذة كلية الشريعة بالكويت .

لكن الطعنة التي وجهت إلى كلية الشريعة من أحد أبنائها لا زالت تنزف من قلبي كلما تذكرت هذا الموقف ، ولم أستطع استيعاب هذه المعاملة ، هل الرغبة في الظهور والكسب المادي تجعل الإنسان يتنكر لصاحب الفضل الذي احتضنه ولولا رعايته لما نظر إليه أحد .

وأقول مع شدة أسفي وآلامي لا زالت سهامه توجه منه إلى المنهج الذي صقله وقدمه إلى المجتمع ومع ذلك به قنوط من رحمة الله ، فهو سبحانه قادر على أن يأخذ بيده وأيدينا إلى الهدى والرشد إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم

وقبل أن أنهي هذه الرحلة الأولى إلى الكويت ؛ أشير إلى سعادتي برؤيتي لأحد أبنائي الذين شرفت بالتدريس لهم بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية أثناء إعارتي إليها في المدينة المنورة ، وهو الشيخ بدر البدري ، وهو يتولى رئاسة مكتبة الموسوعة الكويتية .

وإنما قلت : الرحلة الأولى إلى الكويت لأن رحلاتي تكررت إلى الكويت فيما بعد ثلاث مرات لأسباب مختلفة وستأتي الإشارة إليها إن شاء الله تعالى .

الرحلة الخامسة : إلى مكة المكرمة

في عام **١٩٨٥** م طلبتني جامعة أم القرى بمكة المكرمة في زيارة لمدة ثلاثة أشهر للتدريس هناك في كلية الشريعة بقسم الدراسات العليا ، واستقبلت هناك بحفاوة من عميد الكلية الأستاذ الدكتور صالح بن حميد ،وعرفت فيما بعد سر هذه الحفاوة : وذلك لأمرين :

أحدهما أني كنت قد أديت عمرة مع الوالد رحمه الله وكنت وقتها لازالت بي بقايا من عصر الشباب ، فسمعت المؤذن هناك في الأذان الأول الذي ينادي به قبل الفجر بساعة تقريباً لا يقول فيه الصلاة خير من النوم ؛ بينما يقول ذلك في النداء الثاني بعد مطلع الفجر ، وكنت أرى أن الأولى أن تقال تلك العبارة في الآذان الأول بدلاً من الثاني وخصوصاً في الحرم الذي يقتدي به المسلمون بما يقال ويفعل فيه ، وهذا الرأي مستفاد من الحديث الصحيح :(إن بلالاً يؤذن بليلٍ ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وكان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت) فنص الحديث صريح في أن المهمة من الأذان الأول :هي إيقاظ الناس من النوم وذلك بأن يقال لهم : الصلاة خير من النوم

فسألت عن صاحب التوجيهات في الحرم ؛ وذلك قبيل صلاة الفجر فقيل لي : إمام المسجد الذي يصلي بالناس صلاة الفجر ؛ هو الذي سيدخل من هذا الفج ، وإذا بالشيخ صالح بن حميد يدخل ليصلي بالناس فتقدمت وسلمت عليه ، وقلت له ما أرى العمل به ، وكان زكياً فقال لي : الخطب يسير ، ودخل إلى موضع الإمامة وصلى بالناس .

الأمر الثاني : تشاء المقادير أني في اليوم الذي أدخل فيه على عميد الكلية هناك فإذا به هو الشيخ صالح بن حميد الذي التقيت به في الحرم منذ شهور قليلة ، وإذا بيده نسخة من مجلة (المسلمون) التي تصدر من لندن لكن بإدارة سعودية ، وبها مجموعة من الإجابات على أسئلة القراء بملء صحيفتين منها ، وكان العنوان الرئيسي بالخط الأحمر (المانشيت) جزء من إجابة بعض هذه الأسئلة : [وعلى الزوجة أن تعيد إلى الزوج ما غرمه إذا اتضح أن الزوجة ثيب بينما تزوجها على أنها بكر] وكانت الإجابة باسم الدكتور أحمد علي طه ريان ،

فكانت مفاجأة للطرفين ، وكانت الحفاوة بالغة ، إذ خرج من مكتبه بنفسه وبيده المجلة ليصل بي إلى إدارة الدراسات العليا وذلك في مبنى آخر، وتناقشنا فيما بعد في موضوع الأذان ، وقال لي : من خصائص الحرم المكي عدم القدرة على تغيير أي شئ فيه مهما كان يسيراً.

وظلت العلاقة بيننا قوية حتى بعد انتهاء عملي بكلية الشريعة هناك ، وحتى بعد أن صار رئيساً لمجلس الشورى بالرياض ، ثم رئيساً لهيئة القضاء، فمشاعره الطيبة تصلني على يد كل من يذكرني لديه .

جدولي به تدريس الاقتصاد الإسلامي :

بعد السلامات والتحيات في قسم الدراسات العليا ، إذ بالمسئول يسلمني جدولاً لتدريس الاقتصاد الإسلامي ، فقلت له : أنا متخصص في الفقه المقارن ، وأبديت موافقتي على الزيارة لتدريس الفقه المقارن فقال : أنت أزهري

هذه العبارة أسكتتني ، بل وأجبرتني على الامتثال : لأنها صادرة عن فهم حالة الأزهر القديم قبل ظهور التخصصات به ، ولم أشأ أن أصدمهم وأقول : إنكم تعيشون في الماضي ، الآن حصل تطور بل آثرت السكوت حتى يظل ظنهم في الأزهر كما هو ، و أن الأزهري قادر على تدريس كل فروع الشريعة .

خرجت من الاجتماع ودرت على المكتبات في مكة المكرمة لأجمع كل ما كتب عن الاقتصاد الإسلامي ، وسهرت على المراجعة وكتابة المذكرات وفي الصباح درست الاقتصاد الإسلامي في الدراسات العليا ، وأمضيت مدة الزيارة في تدريس هذه المادة ووضعت الامتحان فيما درسته .

والحمد لله لقد استفدت من هذا العمل ، وصارت لدي خبرة أوسع في مجال الاقتصاد الإسلامي ، بل كتبت مذكرة بالجهد الذي بذلته في هذه المادة ، لكنها لم تطبع .

وبعد انتهاء الزيارة طلبوني للإعارة ولمدة خمس سنوات وكنت سعيداً بهذا ؛ لأني بذلك أكون قد قضيت معظم المدة المصرح لي فيها بالإعارة فيما بين المدينة المنورة ومكة المكرمة أنا وأهلي .

ومن خلال هاتين المدتين : وفقت ومن معي من الأهل بأداء الحج خمس مرات ، وبعمل مجموعة من العمرات ، ونرجو من الله تعالى القبول، وكان في الإمكان الحج أكثر من ذلك لأن هذه الحجات الخمس منها أربع من المدينة المنورة ولم نحج من مكة إلا مرة واحدة ، لأن زوجتي الأولى أم محمد وولديها تركتهما في القاهرة ولم تكن هناك فرصة لرؤيتهم إلا في إجازة الحج ومدتها ثمانية عشر يوماً ، لذلك رأيت أن أقضي معهم في كل عام هذه الإجازة بالقاهرة .

لقد كنت في شوق إلى أداء الصلاة في الحرم المكي في كل الأوقات أو معظمها لكن في وسط السنة الأولى إذا ابتليت بزميل يسأل عليّ ويُخبَرُ من أهل المنطقة أنني مرتبط بالحرم ولا تفوتني صلاة فيه ، هكذا أُخبِرَ ، فبادرني ،هنيئاً لك يا عم كل الأوقات تصلي بالحرم ، فقلت له حسب ما يتاح لي من الوقت ودار بيننا حوار بمعني ذلك . المهم ، أنني بعد ذلك أصبت باكتئاب مع شئ من المتاعب الصحية فكنت لا أبرح النوم أمام جهاز التكييف بالمنزل ، ولم أستطع النزول إلى الحرم إلا قبيل المغرب ، وبعد صلاة المغرب أنزل إلى بئر زمزم لبرودة الجو فيه ، فأنام فيه حتى يؤذن للعشاء ، ثم أصلي العشاء وأنصرف إلى المنزل ، وهكذا ذهب عني الكثير من الخير مدة إقامتي في مكة

المكرمة ، وأرجو من الله العلي القدير، أن يتقبل مني القليل الذي عملته كما أرجوه سبحانه أن يتجاوز عن تقصيري ، إنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

كان العمل بأم القرى شاقاً، فكنت أدرس بالدراسات العليا مادة (تخريج الفروع على الأصول) ومادة البحوث الفقهية ، وهي تبدأ باستعراض ما قاله الفقهاء في المراجع القديمة ، ثم تكليف الطلاب بعمل بحوث مع اختبارهم في مدى استيعابهم لهذه النصوص .

إلى جانب ذلك كان عندي إشراف على عدد من الرسائل سواء في الماجستير أو الدكتوراه ، كما كنت مشاركاً في مناقشات الرسائل ، خصوصاً بعد أن تخلى الإخوة السعوديون عن ذلك ، بعد صدور القرار بعدم إعطاء مكافآت على ذلك ، لكن ذلك ساعدني على جمع وتحصيل مزيد من العلم في فروعه المختلفة ، وقد تخرج على يدي الكثير من أصحاب الرسائل وكان من أحبهم : الشيخ عمر بن الشيخ محمد السبيل الذي أشرفتُ على رسالته في تحقيق أحد الأعمال للإمام الزريراني الحنبلي من بدايتها وحتى حصوله على درجة الدكتوراه بامتياز ، ثم عين بعدها عميداً للكلية وإماما مع والده بالحرم ، وكان لديه قدر كبير من الوفاء، فكان يتصل بي في المناسبات ، بعد أن عدت إلى القاهرة ، كما كان لي الشرف في الإشراف على فقه الإمام البخاري مما شجعني على تدريس هذا المنهج أسبوعيا بالجامع الأزهر منذ حوالي عشرة أعوام وحتى الآن بحمد الله تعالى .

كان لإدارة كلية الشريعة بأم القرى تقدير خاص للفقير ، إذ كنت أحد أعضاء اللجنة الثلاثية التي تختبر الطلاب المتقدمين لمرحلة الدكتوراه والمكونة من ، الفقير ومن عميد الكلية ومن رئيس قسم الدراسات العليا

وكانت لي محاضرات أسبوعية في قسم البنات بالكلية التي كانت منفصلة عن قسم البنين ، وقد منحت بعض البنات اللاتي كنت مشرفاً عليهن درجة الماجستير ، وأتذكر منهم صباح حسن إلياس ، وزينب حسن فلاته ، ثم كنت مشرفا عليهن في الدكتوراه ، لكن انتهت الإعارة قبل المناقشة ، ولكن وصلتني بعض رسائلهن بعد حصولهن على الدرجة .

ومن المفارقات : أن وقت مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من زينب حسن فلاته ظلت تسع ساعات لأن أحد المناقشين أراد أن ينتقم مني ؛ لأني رسبت له بحثاً كان تقدم به للنشر في مجلة الجامعة ، ولم أكن أنا الوحيد الذي رددت البحث بل شريكي في قراءة البحث وهو الدكتور عبد العزيز الحلاف كان له نفس الموقف ، وهو ما عرفته فيما بعد وقد تقدمت بمذكرة بخصوص طول فترة المناقشة وقد أصدرت الكلية بياناً عاماً قالت فيه : لا يجوز أن تزيد فترة المناقشة على خمس ساعات سواء في الماجستير أو الدكتوراه .

موقف تقدير من عميد الكلية و الوكيل :

في إجازة نصف العام في السنة الرابعة من الإعارة أجريت جراحة في الأحبال الصوتية وعلى أثرها ذهب صوتي ، فكتبت التماسا لعميد الكلية بإعفائي من العمل بالكلية ؛ لأنني لم أعد قادراً على التدريس ، ولم أذهب إلى مكتب العميد بعدها حتى لا يكلمني ويطلب مني التراجع وسحب طلب الإعفاء ، لكن بعد أسبوعين بعد أن وصلت إلى الحرم فوجئت بكل من عميد الكلية وهو الدكتور سليمان التويجري ووكيل الكلية أحمد بن حميد واقفان في انتظاري داخل الحرم وقالا: إنا واقفان في انتظارك منذ دخولك الحرم ، لماذا أزعجتنا برسالة الإعفاء ، قلت لهما : إني لم أعد قادراً على التدريس والدراسات العليا بها نقص في المدرسين فأحببت أن أخلي مكاني ليشغله من يستطيع القيام

بهذا الواجب . فقالا : أما النقص فنحن ندبره وأنت تظل في مهمة الإشراف على الرسائل فقط ولا شأن لك بالتدريس ، وفعلاً ظللت للإشراف على الرسائل إلى أن تحسن الصوت فيها بعد عدة أشهر والحمد لله ، وهذا الموقف الكريم طوقا به عنقي ولم يعد في إمكاني أن أنسى ذلك حتى مع تقدم السن .

تضعيف لرأي الإمام ابن تيمية في قضية قد تكون محل إجماع عندهم :

كنت في مناقشة رسالة دكتوراه مقدمة من الشيخ عبدالله الغامدي ، وذكر فيها أن من ترك الصلاة كسلاً فهو كافر ، فقلت له : الكفر إنما يكون لمن تركها جاحداً، اما من تركها كسلاً فيقال له فاسق ويؤمر بالصلاة فإن لم يمتثل فإنه يقتل حداً.

فقال الباحث بصوت جهوري ليسمع المسئولين الذي كانوا يحضرون المناقشة ، وذلك ليتعاطفوا معه : هذا هو رأي الإمام ابن تيمية رحمه الله .

فقلت له : هل يزيد الإمام ابن تيمية عن كونه أحد فقهاء المذهب الحنبلي ، وقد خالفه في هذه المسالة الإمام ابن قدامة من فقهاء المذهب الحنبلي ، كما خالفه فقهاء المذاهب الثلاثة، فكيف يمكن ترجيح رأي فقيه واحد على أراء باقي الفقهاء ؟ فسكت ولم ينطق هو أو غيره بأي تعليق ، والحمد لله رب العالمين

وأحمد الله تعالى أني قضيت بهذه الكلية خمس سنوات أكرمني الله تعالى بها وخرجت منها شاكراً حسن المعاملة .

أحداث على هامش هذه الرحلة المباركة :

منها ما هو مؤلم لكنه ألم محتمل ، ومنها ما هو سار .

فمن الأحداث المؤلمة :

١- أن حالة الاكتئاب استمرت معي أربع سنوات ، وقد أشرت إلى سببها من قبل .

٢- في ليلة العيد حاول ابني محمود وكان صغيراً تشغيل الخلاط ليسعد نفسه بحركة دورانه ، ولكنه وضع يده فيه فأصيب بجرح شديد في أحد صوابعه مما دعانا لقضاء ليلة العيد بالمستشفى والحمد لله عمل له اللازم وتحسنت حالته فيما بعد .

٣- كنا في عودتنا من المدينة المنورة ،وفي منتصف الطريق حصل انفجار شديد في موتور السيارة الصغيرة التي كانت ملكي وبقيادتي ؛ فحصل انزعاج شديد بين الأولاد ، وتوقفت السيارة في منتصف الطريق ، وقد أكرمنا الله بمجموعة من الناس الخيرين من السعوديين ؛ فأوقفوا سيارتهم وأخذوني مع الأولاد إلى أقرب استراحة ، واتفقت مع أحد المختصين بجرها إلى محله وقال : بأن الموتور قد نفذ ما فيه من الزيت فانفجر الموتور بعد جفاف الزيت منه ، وقمت بشراء موتور جديد لكن بعد أن و صلنا إلى مكة المكرمة .

٤- في رحلة عودة أخرى من المدينة المنورة وفي منتصف الطريق هطلت الأمطار بشدة بل نقول أنها كانت تصب الماء صباً ، فأخذنا أنفسنا بسيارتنا لنقف تحت سقف احدى محطات الوقود لنحتمي من الأمطار وإذ بالسقف يقع على السيارة : لولا لطف الله تبارك وتعالى ؛ إذ أن أحد كمرات (دعامة) السقف وكان في منتصف السيارة يقع فوق ماكينة الوقود وكانت أعلى قليلا من السيارة فاحتمت بها ، حتى جاءت فرقة من الشرطة وأخرجتنا

من السيارة وحملتنا إلى استراحة قريبة وفي الصباح جاءت الرافعة ورفعت السقف عن السيارة وركبنا سيارتنا وعدنا إلى مكة المكرمة .

٥- كانت عصا أم مصطفى من أهم معالم رحلاتنا إلى المدينة المنورة في السيارة المازدا (٣٢٣) إذ وصل عدد الأولاد إلى خمسة ومقعد السيارة الخلفي يكفيهم وهم متيقظون ، لكن هيهات ؛ فإننا بمجرد خروجنا من مكة في اتجاهنا الى المدينة وكانت هذه الرحلة المباركة متكررة ما بين شهر ونصف إلى شهرين لأن عندنا دار للضيافة ، وهي دار إبراهيم أبو الحسن رحمه الله - تبدأ العصا تتحرك لأن الكل نائم والكل ينام بعضه فوق بعض ؛ والكل يشكو مع شئ من البكاء بأن الآخر ينام عليه ، وكانت حركة العصا مستمرة ذهاباً وإياباً .

٦- التنازل عن موقف من مواقف المالكية ؛ كان رأيي أن موقف المالكية في التمسك بحلق كل شعر الرأس هو الأقوى ، ومن موقف الشافعية بكفاية أخذ جزء من الشعر في النسك :لأنه مبني على المعنى اللغوي ، بينما الحديث صريح في المحلقين ، وكنت في عودتي من المدينة أحرم بالعمرة ، لكن قبل الدخول إلى مكة ؛ بلغنا حر مكة الشديد حتى أنه ألغى تكييف السيارة الضعيف ، وبعد أن وصلنا إلى الحرم وانتهينا من الطواف والسعي كانت الحرارة قد بلغت مني مبلغاً كبيراً دفعني لتقليد مذهب الشافعية ، إذ لم يعد لدي القدرة للصبر على أن أجد حلاقا يحلق رأسي ، فقلت من معه مقص ؟ وأخذت المقص وأخذت به شعرات من الرأس حتى أتحلل من الإحرام ؛ وأذهب إلى البيت والقي بنفسي تحت جهاز التكييف .وعندئذ تذكرت قول الإمام مالك : بأن اختلاف العلماء رحمة .

٧- سرقت مني المحفظة من أمام الحرم بما فيها من النقود وهوية وأوراق لكن الله تعالى يسر بالعوض .

٨- اغتصب مني مبلغ ستة عشر ألف ومائة وخمسون ريالاً أخذها مني من يسمى بطارق الخليفة كنت دفعتها لشراء سيارة من معرض ويوم استلام السيارة لم أجد باباً للمعرض ولكنه صار بناء ليس له باب ، وقد عوضنا الله عز وجل بسيارة أخرى بعد عودتنا إلى القاهرة .

أما الأحداث التي تسعد الإنسان المسلم فمن بينها :

١- أن الطريق بين المدينة ومكة كان مفتوحا وآمناً وطيباً ، وبه كل ما يحتاجه المسافر لنفسه ولأهله ولسيارته.

٢- لقاء الأحباب : فقد سعدت بلقاء الكثير من الأحباب من الحجاج والمعتمرين دون تكلف ؛ منهم الحاج محمد أبو الوفا ووالدته ، وأم عبد الناصر رحمها الله وغيرهم كثير من أهل البلد .

٣- من المفاجآت السارة أني قدمت من الكلية وقت الظهيرة وإذا بي أفاجأ بالحاج صبري الطويل من أبناء الشيخ محمد الطيب ينام في مدخل العمارة على كنبة كانت موضوعة بها .

٤- كذلك من المفاجآت السارة اللقاء مع فضيلة الشيخ عبد السلام أبو الفضل وتشريفه بيتي .

٥- الزيارة الكريمة التي أكرمني بها كل من الحاج حسن أبو الحمد وزوجته ، والحاج رشاد الفندي صهر الأخ ماهر وزوجته وكانت ليلة السابع لميلاد عبد الرحمن ابني وكنت أقوم بحلق شعره من باب العمل بالسنة .

٦- كما أُكرمت بلقاء الشيخ عبد الرحمن الكردي حين عاد من لندن التي ذهب إليها للعلاج ومر بمكة لأداء العمرة ، وكان النزاع مشتجراً بيني وبين الشيخ محمد البنا أينا يحظى بصحبة الشيخ عبد الرحمن .

٧- بناء منزلين لي في القرية مما تبقى لدي من مستحقاتي بمكة المكرمة لزوجتيّ وأولادي منهما.

٨- أكرمني الله تعالى بصحبة ومحبة الشيخ عبد الوهاب أبو سليمان ، وكان لهذه الأخوة آثار بعيدة المدى ومن أعظمها أنه صحبني لمكتبة مكة حيث يوجد مكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم الشريف حيث صليت فيه ركعتين .

وغير ذلك من الأحداث السعيدة ، والحمد لله رب العالمين .

الرحلة السادسة إلى مدينة تريم بحضرموت باليمن

هذه رحلة مباركة، كانت لدى رغبة في إفرادها بكتاب مستقل لكثرة ما فيها من الخير ، وما ترتب عليها من آثار .

إذ كان سبب هذه الرحلة ؛ حضور الشيخ عبدالله باهارون إلى القاهرة ونزوله لفندق المريديان بمصر الجديدة ، وكان راغباً في التعاقد مع عدد من أساتذة الفقه والأصول من علماء الأزهر ، وقد تعذر عليه الحصول على مطلبه ، لأن الرغبة في الإعارات بالنسبة للجميع ؛ هي على الحرص على تحسين الحال المادي للأستاذ بعد عودته ، بحيث يحصل على سكن مناسب وسيارة تنقله ، ونفقات التعليم لأولاده ، ورحلة اليمن لن تفي بهذه المهمة ولا تحقق هذه الرغبة .

وكان الأخ الدكتور جمال فاروق عميد كلية الدعوة الآن والزميل السابق في دبي ؛ على صلة بالشيخ عبدالله ، فكان يأتيني كل عدة أيام يعرض عليّ السفر إلى اليمن ، ، ولم تكن بي حاجة ملحة إلى تحقيق الرغبات السابقة التي أشرت إليها قبل قليل ، لأن رحلتي إلى المدينة ومكة حققتا هذه الرغبات ، إلى جانب ما تحقق من خيرات أخرى مادية ومعنوية ، لكن بقيت لدىّ من حقي في الإعارة سنة ، لأن كل أستاذ له الحق في الإعارة عشر سنوات ، وأنا استوفيت تسع سنوات وبقيت لي سنة كنت أدخرها لرحلة إلى مكة أو المدينة لأستمتع بكل من الحرمين الشريفين في هذه السنة الباقية .

لكن الأخ الشيخ جمال ؛استمر في المجئ إلى وتذكيري بذلك ، وهو يعلم برفضي ، وفي النهاية عرض عليّ لقاء الشيخ عبدالله باهارون والسلام عليه ، وإذا كانت لدي نصيحة أقدمها له .

ذهبنا معا للقاء الشيخ عبدالله وكان رجلا ذكيا مثقفا ؛ و شكى إلى تعذر الحصول على كل ما يريد ، وإن كان قد حصل على جزء مما يريد ، فتقدمت بنصيحة له وهو أن يجعل الإعارة زيارة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر بدلا من الإعارة الطويلة غير المرغوب فيها فوافقني ، وغيّر طلباته إلى زيارات بدلا من الإعارات ، وبعد مرور قرابة الشهر لم يجد من يتعاقد معه ، وأُسقط في يدي إذ نصيحتي لم تثمر شيئاً، وذهبت نفقات هذه المدة هباء ، فقدّمت نفسي كشئ من التعويض ، وأنني مستعد للذهاب في زيارة لمدة ثلاثة أشهر ؛على أن يأتي مبكراً في العام القادم لعل فرصته في التعاقد تكون أفضل .

وتجهزت للسفر إلى صنعاء ثم منها الى حضر موت بالطائرة ثم بالسيارة إلى مدينة تريم التي بها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

تريم : مدينة قديمة تجمع بين مظاهر القرية والمدينة ، وتعتبر العاصمة الدينية لحضر موت ، وبذلك توجد فيها المراكز الدينية التعليمية ، فيها الرباط ؛ وهو مركز تعليم ديني قديم يفد إليه كل راغب في تعلم أحكام الدين من الحضارمة من مختلف بقاع العالم ,وخصوصاً من العلويين الذين يتصل نسبهم بآل البيت ، وهم موزعون في الكثير من الدول الإفريقية الجنوبية والأفريقية الشرقية ، ثم دول شرق آسيا، والنسبة الأكثر منهم في أندونيسيا ، ومنهم هناك تجمعات كبيرة ومنهم الوزراء بل منهم من تولى رئاسة الدولة .

وكان معي في تريم أحد مدرسي الفقه الشافعي، وهو يتولي الإفتاء في مدينة تريم ،.وكانت أمه أندونيسيه ووالده من حضر موت وكان مولده هناك حيث تزوج والده ، ولا زالت علاقات القرابة تجمع بين الفريقين .

كما وجد بمدينة تريم ؛ مركز تعليم ديني أحدث من الرباط يسمى [دار المصطفى] أسسه الشيخ عمر بن حفيظ وأخوته ونوعية طلابه ؛ هم من النوعية السابقة في الرباط .

كما وجدت بها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية التي شرفتُ بعمادتها لمدة عامين ، وكانت هذه المدة من أسعد أيام حياتي ، لأني عشت فيها حياة بسيطة خالية من المظهرية ومن التكلفة ، كما كان المظهر الديني :هو أوضح ما يلاحظ في طرقها وفي شوارعها ، ففي خلال مدة عامين ونصف ، قضيتها هناك لم أشاهد وجه امرأة أو ما يظهر من مفاتنها ، فإن خرجت امرأة للضرورة لا ينكشف منها إلا عين واحدة ، ولذا يشاع لديهم عبارة [شوارع تريم شيخ من لا شيخ له]

ومن المظاهر المحبّبة : فبالرغم من مظاهر الفقر البادية على معظم الناس هناك لا تجد أحدا يمد يده متسولا ، ومن أراد أن يعطي شيئا عليه إما أن يبحث عن المكان الذي يتواجد فيه من اشتد فقرهم ، ولكنهم لا يسألون ،لكن من يقدم لهم شيئا يأخذونه ، وإما أن تمشي بجوار الفقير وتضع في جيبه ما تريد

وكذلك من المظاهر المحبّبة هناك الرغبة في تطبيق أحكام الشريعة حسب قواعد المذهب الشافعي : فمن ذلك إلحاق صيام الأيام الستة برمضان ويكون العيد والتزاور والاحتفال في اليوم الثمن من شوال ، أما أول أيام العيد فلا مظهر للعيد فيه إلا صلاة العيد ، ولا شئ غير ذلك حيث يظل المسحرون على عادتهم خلال هذه الأيام ، وكذلك على الإمام بعد صلاة العشاء كما كان في رمضان أن يلقن المصلين كيفية النية لصيام اليوم التالي .

ومن هذا التشدد في التمسك بقواعد المذهب الشافعي دون سواه ، أنه كان من مناهج الشريعة بالقاهرة تدريس فقه أحاديث الأحكام ، وقد وقع الاختيار على كتاب للأمام الصنعاني { شرح بلوغ المرام في أحاديث الأحكام } وحاولت تطبيقه هناك ، لكني وجدت إباءاً شديداً ؛ للنظر بأن الشرح لأحد أئمة المذهب الشيعي الزيدي ، بالرغم من تسامح الزيدية وعدم تشددهم في الاستمساك بقواعد مذهبهم في مواجهة الآخرين ، وفي النهاية حاولت استمالة أحد شيوخهم الكبار الذي كان مقيماً في صنعاء ووجدت لديه شيئاً من الانفتاح ؛ فأقنعهم بقبول تدريس الكتاب الذي شرحه الأمير الصنعاني الشيعي الزيدي .

ومن مظاهر استمساكهم بقواعد الشافعية ؛عدم إقامة الجمعة في المدينة إلا في ستة مساجد ، وقد بلغني أن عدد المساجد في هذه المدينة وصل إلى أكثر من ثلاثمائة مسجد ،نعم معظم المساجد صغيرة لكن لا يجرؤ أحد أن يقيم جمعة في مسجده أو في مسجد العائلة ، وهنا تكون المقارنة قاسية بيننا وبينهم حيث تقام الجمعة عندنا في مصر في الزوايا الصغيرة في أسفل العمارات ، بل تكون مكبرات الصوت في كل منها مصدر إزعاج للجميع ، وظهرت بدعة جديدة وهى توظيف كل من بنى مسجداً في مسجده براتب شهري يتقاضاه من ميزانية وزارة الأوقاف ،، مهما كان مكان المسجد سواء كان وسط الصحاري أو وسط المزارع أو على تلال الجبال ، ولا يسأل أحد عن تخصص إمام المسجد الذي يخطب بالناس ، أو عدد من يصلي خلفه من المأمومين ،وهل يبلغ عددهم العدد الذي يشترط لصحة صلاة الجمعة ، لا يسأل أحدٌ عن أحد شيئاً من ذلك ، ثم ظهرت شراء وظيفة العامل بالمسجد بمبلغ متفق عليه بين المجموعة التي تتولى ضم المساجد للوزارة ، وبين العامل ومن ذلك

– عندي مسجد صغير بمنزلي لصلاة الجماعة به دون صلاة الجمعة أو العيد ، معيّن به عامل يأتي من محافظة المنوفية كل أسبوعين ، او كل شهر وأحيانا كل أسبوع وأحيانا يضطر للمبيت بالمسجد ليلة الجمعة ، أي أنه يأتي ليقبض مرتبه الذي اشتراه ، لأن المسجد ليس به بشئ يحتاج لتنظيف ، وقد ذكرته بالبحث له عن مسجد قريب لديهم هناك ليقوم بالعمل به ، حتى يحل له راتبه الشهري الذي يتقاضاه ، وقد مضى على ذلك سنوات وسنوات ،

ومن المظاهر السائدة هناك تعلق الأكثرية بالجوانب الروحية ، حيث تنتشر بينهم مجالس الذكر على منهج الطريقة الشاذلية ، وكذلك مظاهر الحب للمصطفى عليه الصلاة والسلام ، فقراءة قصيدة البردة للبوصيري والبعض يطلق عليها (البرءة) لأن صاحب القصيدة كان مريضا فشفى ببركة إنشاده لها.

لكن من المفارقات : قولهم لي بعد وجودي بينهم أياما قليلة ، إنك محب لرسول الله صلي الله عليه وسلم قلت : إن المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالملايين في بقاع الأرض ، لكن ما الذي دفعكم لهذا القول ؟ قالوا : إن الحب له علامات تظهر على المحب ؟ ولم أسألهم عن شئ من هذه العلامات وقد لا يكونوا رأوا شيئاً ، وإنما قيلت الكلمة من باب المجاملة ، لأن هذا النوع شائع بينهم ، فلا بأس بتكريمي بمثل هذه الكلمة ، وهذا يذكّرني بمقولة للشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق؛ قالها لي بعد جلسة معه لمدة ساعة ، وبعد نزاع بيننا دام لسنوات ، وكان لا يزال على منهجه؛ فحين وضع يده في يدي مودعاً ؛ قال : أنت رجل صالح يا شيخ أحمد ، أنت رجل صالح يا شيخ أحمد ، أنت رجل صالح يا شيخ ، فالتفتُ إلى الأستاذ الدكتور محمد رأفت عثمان عميد الكلية الذي كان مرافقا لي في هذا اللقاء : يا دكتور محمد :

أنا معكم منذ ثلاثين سنة ، ولم تكتشفوا أني رجل صالح ، بينما الشيخ اكتشف ذلك بعد الجلوس معه لمدة ساعة .

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية :

كانت منحة من الحضارمة ، وخصوصا العلويين منهم ، من التجار الحضارمة الذين يمثلون أكثر من تسعين في المائة من القائمين على التجارة في المملكة العربية السعودية ، وهم يعرفون أن بلادهم قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ، إلا مساحات قليلة جداً ، لا يمكن أن يعتمد عليها شعب كبير مثل الحضارمة . فهم هناك في السعودية يعملون جمعيات خيرية للمساهمة في عمل منشآت خيرية وتعليمية واجتماعية في اليمن ،وكنا ننتظر الرواتب كل شهر من هناك ، فمثلاً كان راتبي كل شهر ألفين وخمسمائة دولار نقداً ، وأين لهؤلاء بالدولارات لولا أنها كانت ترسل إليهم وغيرها من هناك ؛خصوصاً وأنهم أنشئوا كليات أخرى في المكلاّ ، للتجارة والعلوم وغيرهما ، واستقدموا لها أساتذة بمرتبات عالية تزيد كثيراً عن الأجور التي كانت تعطى لبقية الجامعات اليمنية ، ، فمثلا في السنوات الأخيرة وافقت على زيارة لجامعة الإيمان التي أنشأها الشيخ عبد المجيد الزنداني براتب ألف وثلاثمائة دولار ، والحمد لله في كل زياراتي لم يكن الأجر هو الدافع ، إذ لم نتحدث فيه حين الموافقة على السفر ، بل كانوا كراماً معي إذ كانوا إلى جانب ذلك يتحملون نفقات سفري من هناك إلى وادي الريان ،حيث المطار لتقلنا الطائرات إلى صنعاء ، لنقيم عدة أيام حتى يتم الحجز إلى القاهرة ، ولهم مكتب مخصص لاستقبالنا في الذهاب والعودة في نهاية العام ، وفي إجازة نصف العام .

وأحمد الله جل جلاله أن أعانني على بذل جهود كبيرة في القيام بهذه الكلية من الألف إلى الياء ، بل كنت أقف في مكان دخول الطلاب قبيل

الساعة الثامنة صباحاً حتى استحث الطلاب على الحضور في الوقت المحدد دون تأخير ، إذ هم هناك لم تكن لهم حدود للقيام بالأعمال ، حتى أن الموظفين في الإدارة ألزمتهم بالحضور من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الثانية ظهراً يومياً ، فكانوا يقولون لي : والله نحن نخجل منك ، كانت عادتنا ان نصلي الظهر في بيوتنا .

وقد بلغ مني الحرص بعد أن استقدمت عدداً من الزملاء في مصر للمعاونة ، وقبلوا العمل بأجر أقل حيث كان راتب الأستاذ ألفين وراتب الأستاذ المساعد ألف ونصف ، أن نجري للطلاب اختبارات كل شهرين ، على أن تكون الإجابة في عشر دقائق بمعنى أن الأستاذ يشرح الدرس ويبقي من الوقت عشر دقائق في المحاضرة ويلقى عليهم الأسئلة وبعد العشر دقائق تجمع الأوراق الخاصة بالإجابات ، ومن يتأخر عن التسليم لا تحسب له درجات على هذا الاختبار ، وأن الدرجات التي يحصل عليها الطالب في هذه الاختبارات تحسب ليضاف ما يحصل عليه في امتحان آخر العام .

وكان معي هناك ممن استجاب لدعوتي كل من الأساتذة ، الدكتور عبد السميع أبو الخير رحمه الله عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة فيما بعد ، الدكتور جلال عبد الرحمن رحمه الله والدكتور محمود سليمان رحمه الله .

ومع هذه الجدية في العمل كانت لنا لقاءات في المساء عند الدكتور إسماعيل أبو أنس العراقي ، وكانت له زوجة صالحة وماهرة في طبخ الطعام ، فكنا نتناول العشاء عنده ونتسامر ببعض الأعمال والأقوال الجادة و الفكاهية ، مما زادنا قرباً من بعضنا البعض ،وكان لذلك أثره في رحلة العودة إلى مصر ، إذ رأيت أني آخذ بيد الدكتور محمود سليمان في الطريق عائدين من رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، فحمدت الله تعالى أن عملنا كان عبادة لنا .

تقديرهم وحبهم للعلماء :

من مظاهر هذا الحب والتقدير ، تقبيل أيدي العلماء ، وكأن ذلك فرضاً عليهم ولا نملك أن نمنع أيدينا من التقبيل من كل من يقابلنا ويعرف أننا من علماء كلية الشريعة ، لذلك كنت أعاني معاناة شديدة من شدة الدكتور محمود ، وهو يرفض تقبيل يده ونظراً لأنه كان كفيف البصر بمجرد إحساسه بوضع فم أحدهم على يده يسحب يده بشدة ويصرخ حرام عليكم ، هذا لا يصح ،ويظل هذا الحال حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، أما يدي فأتركها تقبّل ، ويعلم الله ما في قلبي من عدم رغبتي في هذا التقبيل ولكن ما العمل ؟ فهل أفعل كما يفعل ونكرر الصراخ في وجه هؤلاء الناس البسطاء المحبين لأهل العلم . فكنت أكتفي بالاستغفار في كل مرة تقبل يدي , وقديماً نقل عن الشيخ أحمد على بدر شيخ ومؤسس معهد بلصفورة الديني الأزهري قوله في مثل تلك الحال :

ورُب يدٍ تُقبّل وهى جَربى * وهى أعسر من مقبلها حسابا

حكايتي مع الإمام محمد عبده :

الإمام محمد عبده شخصية أزهرية جادة في طريق الإصلاح ، وكان يحاول أن يبث أفكار الإصلاح في تلاميذه ومحبيه ، وكان يجد معاناة من عدد من الشيوخ الذين يحبون الأزهر ويفخرون بسمعته وحفاظه على تراث الآباء والأجداد ، ويخشون من أفكار الإصلاح التي يدعو إليها الشيخ محمد عبده ، وهذا التحفظ من هؤلاء الشيوخ فهم خطأ حتى جعل بعض الشيوخ يسيئون الظن به

المهم: أني بعد وصولي إلى مدينة تريم بأيام قليلة كان الاحتفال بالمولد النبوي الشريف على الأبواب ، فطلب مني الاشتراك في هذا الاحتفال بإلقاء

كلمة فيه ، ومن عادتي أني أستيقظ قبيل الفجر فأقضي حاجتي بدورة المياه وأستريح ما بين عشرة دقائق إلى ربع ساعة ، ثم أتوضأ ، فوجدت أمامي كتاب في السيرة النبوية فنظرت فيه نظرة سريعة فوقع بصري على عبارات للمؤلف وهو من سوريا وهو من العلماء الذين التقيت بهم واشتركت معهم في بعض الأعمال العلمية وإذا به يتناول الإمام محمد عبده بعبارات غير لائقة وينسبه إلى أنه قريب من الماسونيين ، فصدمت وألقيت الكتاب جانباً وتوضأت وصليت الصبح ونمت ، وإذا بي في مواجهة الإمام محمد عبده بلحيته وعمامته ولباسه اللائي اشتهر بهن ، وأمامي صف مكون من خمس أو ست أفراد يتقدمون ليسلموا عليه ويصافحوه ، وهو يصافحهم وقد لمحني عن بعد ؛أتقدم إليه لكنه فكأنه يتعجل وصولي إليه ، إذ ينظر عن يمين الصف المتقدم وعن يساره متعجلاً الوصول إليه . لكني استيقظت قبل سلامي عليه ، فقمت من النوم وأنا في حالة ذهول وتعجب ، إذ لم يمض على نومي إلا وقت قصير قد يحسب بالدقائق أو حتى ساعة ، بل أنا الآن في حضر موت والإمام محمد عبده توفي قبل ولادتي بأكثر من ثلاثين عاما وهو بمدافن القاهرة ، ثم كيف علم باستنكاري لما كتب عنه في أحد الكتب ؟ وأنا أدركت من نظراته أنه يريد أن يشكرني على موقفي مِمّنْ أساء إليه .لم أجد إجابة على تساؤلاتي هذه ولكن العجب : لا يزال يزورني بين الحين والحين حتى الآن ،وقد مر على هذه الواقعة أكثر من عشرين عاما ولكن مشهدها لم يفارق خيالي أو قلبي ، رحم الله الإمام محمد عبده رحمة واسعة بقدر إخلاصه في جهاده في رعاية الأزهر وحفاظه على استمراره في أداء رسالته العالمية .

رغبتهم في استلامي لعمادة الكلية :

قلت كانت موافقتي على زيارة ثلاثة أشهر ، ولكنهم لم يفتأوا يطلبون مني استلام عمادة الكلية بإلحاح ، ولكني التزمت الرفض رغبة مني في عودتي إلى الحرمين لتكملة مدة إعارتي هناك ، لكني رأيت في الأيام الأخيرة أني أقف أمام مقابر أولياء العلويين في مدافن المدينة ، وإذ بسيدة تقود سيارة حمراء نصف نقل تقف عندي وتوجه كلامها إليّ راجية أن أتولى قيادة السيارة إلى أن تجتاز المنطقة المرتفعة التي تريد اجتيازها ، فركبت السيارة بناء على طلبها لأجتاز بها المنطقة الصعبة . واستيقظت من النوم ، وكان تأويل الرؤيا جليا بالنسبة لي ، وأن هذه السيارة هي كلية الشريعة ، وأن الطلب حدث أمام مقابر كبار أولياء العلويين ، كأنها استفادت من وقوفي في هذا المكان حتى لا أرد رجاءها ، لأن هؤلاء كانوا محلا للتوسل بهم لقضاء الحوائج ، كما أن لبعض نساء العلويين مكانة روحية عالية سنشير إليها فيما بعد فوكلتْ هذه القضية إليها لتقوم بها لتبادل الأدوار بينها وبين الرجال .

المهم أنني في الصباح أبديت موافقتي على القيام بهذه المهمة ، وهي إدارة الكلية لمدة عام وما يترتب على ذلك من ضياع فرصتي لقضاء هذا العام في أحد الحرمين ، وكانت الموافقة عندنا في القاهرة ميسرة لأن لي الحق في الإعارة سنة ، والوضع عندنا في القسم يسمح بالسفر لتوافر الأساتذة في التخصص , وبعد انتهاء هذا العام تجددت المطالبة بالعودة لقضاء سنة أخرى تسمى إعارة قومية بعد انتهاء السنوات العشر ، لكن هذه السنة لا يسمح بها إلا لمن كان لمنصبه في الخارج مكانة عالية ، وموافقة الجهات العليا بالأزهر إلى جانب موافقة الكلية والجامعة .

وسلموني هناك مطالبة بذلك إلى جانب صدور قرار من رئاسة جامعة الأحقاف بترقيتي إلى درجة نائب لرئيس الجامعة إلى جانب عمادتي لكلية الشريعة ، وذلك لترفع مستوى تمثيلي لجامعة الأزهر هناك ليكون ذلك حافزاً على الموافقة .

يشاء المولى جل علاه أن يتقدم الطلب إلى الجهات المسئولة بالأزهر حتى يصل إلى المجلس الأعلى للأزهر ، وتصادف ذلك مع اشتداد النزاع بيني ومعي عدد من الزملاء ؛ ضد قرارات الإمام الأكبر الشيخ طنطاوي في تغيير المناهج وتحليل فوائد البنوك وغير ذلك من القرارات التي أحدثت ضجة كبيرة داخل الأزهر وخارجه ، وتحددت المسئولية على ستة أشخاص ، وهم الأساتذة : الدكتور إبراهيم الخولي بكلية اللغة العربية الذي صدر له قرار فصل ، والدكتور محمود حماية الذي صدر له قرار فصل ، والدكتور مصطفى إمام الذي اضطر لتقديم الاستقالة حتى يسمح له بالإعارة ، والدكتور يحى إسماعيل الذي رفعت عليه قضية سب لشيخ الأزهر فحكم عليه بسنة سجن مع عدم التنفيذ فأستأنف الحكم فحكم عليه بالسجن خمس سنوات لكنه هرب إلى الكويت حتى تغيرت الأوضاع وانتهت آثار الحكم ، والدكتور محمد شعبان إسماعيل ونسيت مصيره ، وإن كان خرج إلى أم القرى لمدة طويلة ، وأما العبد الفقير فقد تأني الشيخ في عقابه ، لأنه كان ينازع بأسلوب مهذب بحيث لا يذكر الإمام الأكبر إلا بألقابه في الصحف ، على خلاف الأوصاف بالجهالة التي صدرت من الزملاء .

المهم : انعقد الاجتماع في المجلس الأعلى في الأزهر واتخذ القرار بالرفض وعدم الموافقة على الإعارة للسنة القومية ، وكان مبنى القرار كما يلي :

كما حكاه لي الدكتور أحمد الطيب ؛ لأنه كان عضواً باعتباره مفتياً للديار المصرية آنذاك :

السؤال الأول من الشيخ : ما هي درجته هناك؟

الجواب : عميد الكلية ونائباً لرئيس جامعة الأحقاف

السؤال الثاني : وهل جامعة الأزهر اعترفت بجامعة الأحقاف ؟

الجواب : لم يصدر اعتراف من جامعة الأزهر بجامعة الأحقاف .

القرار من الشيخ والكل يوافق عليه : بعدم الموافقة على الإعارة لأن جامعة الأزهر لم تعترف بجامعة الأحقاف ، وهذا القرار حتى الآن مثبت في محاضر المجلس الأعلى للأزهر .

بالنسبة لي هذا القرار لا أثر له عليّ لأني تسلمت عملي بالكلية منذ عودتي من الأحقاف .

اتصل بي رئيس الجامعة بالأحقاف ليستعلم عن الموقف من الإعارة القومية ، فأعلمته بقرار المجلس الأعلى بالرفض ، فأخبرني بأنه سيتصل برئيس الوزراء عندهم ليرى إن كان يستطيع أن يفعل شيئاً ، وبعد أيام قليلة تصل رسالة إلى رئيس الوزراء المصري وكان الدكتور كمال الجنزوري ، من رئيس وزراء اليمن .

فذهبت إلى الدكتور أحمد عمر هاشم وكان رئيس جامعة الأزهر في ذلك الوقت ، وقلت له : أنتم رفضتم طلب أحمد ريان بالإعارة لسنة قومية ، وكان ذلك أمرا ميسوراً لأنه موظف بالجامعة وعليه أن يخضع لقرارتها ، وفعلاً استجبت لذلك ، لكن الآن صعد الموقف الى رئيس الوزراء ولا أعتقد أن رئيس وزراء مصر سيخيب رجاء رئيس وزراء اليمن ، بعد أن اشتملت رسالته على ذكر بعض الأوصاف للدكتور أحمد ريان ، مما دعا جامعة الأحقاف

إلى طلب إعارته لها سنة قومية ، لذلك حاولوا البحث عن طريقة مناسبة للتراجع عن قرار الرفض حفاظاً على مكانة مصر أمام دولة اليمن .

تحمس الدكتور أحمد عمر هاشم لذلك ، وقال لي : اكتب لي طلباً بذلك حتى نتخذ الإجراء المناسب لما تقول ، وفعلاً كتبت المذكرة وسلمتها له ، وطلب نائبه المسئول على ذلك ، وقال له : اكتب مذكرة وفقاً لما قاله الدكتور أحمد ريان للعرض على مجلس الجامعة في الاجتماع القادم .

ينعقد مجلس الجامعة ، ويعرض الموضوع ويكون الدكتور أحمد عمر هاشم أول المتحدثين قائلاً ، بعدم الموافقة لأن لديّ قرار المجلس الأعلى للأزهر بعدم الموافقة ، فيقوم النائب الذي كلف بكتابة المذكرة قائلاً: إن المسألة صعدت وأصبحت في يد رئيس الوزراء ، لكن رئيس الجامعة أصر على قرار عدم الموافقة ، وقد كان .

بعد أيام قليلة يصل خطاب من رئيس الوزراء يطلب فيه مبدئياً التعرف على موقف الأزهر والجامعة من قضية إعارة الدكتور أحمد ريان لسنة قومية إلى جامعة الأحقاف ومرفق بالخطاب صورة من خطاب رئيس وزراء اليمن ، وكان هذا من أدب الدكتور الجنزوري ، ليتخذ الأزهر والجامعة الموقف المناسب بعد أن تصاعد الموضوع الى رئاسة الوزراء في كلا الدولتين ، لكن بكل أسف لم ينتبه أحد لمثل ذلك ، بل كان الرد أن الأزهر والجامعة أصدرا قراراً بعدم الموافقة .

وبعد أيام قليلة يصدر قرار من رئيس الوزراء نصه كما يلي : يعار الأستاذ الدكتور أحمد علي طه ريان سنة قومية إلى جامعة الأحقاف عميداً لكلية الشريعة ونائباً لرئيس الجامعة وعلى كل الجهات التنفيذ.

بكل أسف يصل القرار للجامعة ويوضع في أدراج الموظفين مدة أربعة عشر يوماً ، ولولا كلمة عابرة قالها الدكتور أحمد عمر هاشم في أسوان حين دعي لإلقاء محاضرة هناك ، لوكيل وزارة الأوقاف بذلك وكنت وقتها أحاضر في مسجد النور فأخبرني الوكيل بذلك ، وذهبت إلى الجامعة فوجدت القرار في درج أحد موظفي شئون العاملين وقيل لي ، اخلي طرفك بالكلية وسافر إلى جامعة الأحقاف حتى اليوم.

أما صدى القرار فكان له بين الزملاء أثر خطير ، حتى صرح البعض بأن هذا القرار سيترتب عليه استقالة شيخ الأزهر ورئيس الجامعة ، لكنني سافرت وقضيت العام هناك ولم أسمع باستقالة أحدهما .

محاولتان من الشيخين الكريمين لمعالجة ما حدث لرفع الحرج الذي وقعا فيه أو أوقعهما فيه رئيس الوزراء :

بالنسبة للمرحوم الشيخ محمد سيد طنطاوي : جاءتني بعد عودتي من جامعة الأحقاف نهائياً دعوة لأكون وكيلاً لكلية الإمام مالك للشريعة والقانون بدبي بدولة الإمارات العربية المتحدة ، وعرضت الدعوة على المجلس الأعلى للأزهر ومعلوم ان هذه الإعارة ستكون قومية لانتهاء حقي في الإعارات الرسمية ، وكان القرار لازال مسطراً بالمجلس بالرفض ، والجميع بالمجلس كانوا يرون تطبيق القرار السابق ما عدا المرحوم الشيخ محمد سيد طنطاوي الذي يقول : لماذا ترفضون ؟ رجل يريد أن يوفر على الجامعة المرتب الذي يتقاضاه ويوجد من يقوم بعمله ، لذلك ليسمح له بالسفر إلى دبي ليكون وكيلاً لكلية الشريعة هناك ، ويصدر القرار من المجلس الأعلى بالموافقة .

أما بالنسبة للدكتور أحمد عمر هاشم : فيصدر قراراً بترشيحي لمنصب الإفتاء بدلاً من الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل الذي انتهت مدته ،وكان

هناك مرشحان آخران ؛ احدهما : الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مرشحاً من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ، والثاني : الأستاذ الدكتور علي جمعة وكان مرشحاً من الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف .

وبعد تمريري على بعض الجهات الإدارية العليا المنوطة باختيار كبار الموظفين ، ورفضي لقبول هذا المنصب رفضاً باتاً ، وصدر القرار باختيار الدكتور أحمد الطيب .

وفي كلا المحاولتين وجدت عزاء ، حيث لا يبقى في قلبي جرح لشيوخي وزملائي .

إشارة إلى الجوانب الروحية في هذه الرحلة :

كانت الروح الإسلامية المشبعة بالاتجاه الصوفي هي الظاهرة العامة التي يراها ويحس بها كل زائر لتلك البلاد ، وهذه الروح ليست غريبة عني بل لي نصيب منها ، وإن لم يكن بالقدر الذي يتمتع به أهالي تلك البلاد . ونظراً لتشبعهم بتلك الروح فيصعب على أي نظام آخر أن يغيرهم أو يفرض عليهم نظامه إلي ما يريد أن يطبقه على المجتمع الجنوبي ، فقد حكمهم الشيوعيون الماركسيون أكثر من عشرين عاماً ولم يستطيعوا تغيير أي شئ هم مستمسكون به واستخدموا في ذلك كل الوسائل من تعذيب وتنكيل وتقتيل ، يذهب الشيخ عمر بن حفيظ مع والده إلى مكتبهم هناك فيدخلون الوالد ويوقفون الشاب على الباب ، وبعد قليل يخرجون بثياب الوالد ليتسلمها الشاب ويذهب بها الى البيت لأن والده لن يعود مرة أخرى فقد قتل ودفن .

تُجمع النساء بمجموعات كبيرة وهن معروفات بالإنتقاب التام ، ثم توقد نار وتؤمر كل النساء بإلقاء غطاء الرأس في النار وإلا تعرضت للتنكيل

... وغير ذلك من الوسائل البشعة التي استخدمت للتغيير ، ولكن بعد أن أسقطت الدولة الشيوعية تذهب إلى الأحقاف لا ترى شيئا أو أثراً من ذلك .

هذه الجوانب الروحية عامة في رجالهم ونسائهم ومن ذلك ما أشرت إليه قبل من طلب المرأة التي كانت تقود السيارة وتطلب مني التعاون في قيادة السيارة ، وكانت هذه الرؤية هي التي جذبتني لقبول العمادة.

وبعد انتهاء السنة الأولى ؛ رأيت في المنام أني أمسك بأصل لدفتر تذاكر مثل تذاكر الأتوبيسات وقد استخدمتُ التذاكر جميعاً وصرتُ في حاجة إلى من يتسلم أصل الدفتر مني حتى أخلي ذمتي فدلوني على امرأة تجلس إلى إناء للغسيل تغسل بيديها ، فسلمتها أصل الدفتر فتسلمته مني بكل هدوء ودون حديث بيننا ، ومن هنا أدركت معنى المقولة التي تتردد هناك على ألسنة الناس (أن مدينة تريم لا يدخلها أحد إلا بإذن ولا يخرج منها إلا بإذن) وها أنا أديت ما عليّ من واجب وسلمتُ أصل الدفتر الذي كنت أوزع التذاكر منه .

وفي نهاية السنة الثانية ؛ تدخل الشيخ عبدالله باهارون في بعض أمور الكلية وأصدر أمراً بحرمان بعض الطلاب من دخول الامتحان دون التشاور معي الأمر الذي أغضبني جداً ، وإذا بامرأة ألتقي بها عرضاً في المنام وهي فارعة الطول وتلبس جلباباً مما تلبسه السيدات الكبار هناك، فتسلمني علبة بها مرهم مما يوضع على الجروح ، وبعد اليقظة أدركت أن هذه السيدة من نساء العلويين الكبار، وأنها علمت بالموقف الذي أغضبني فأعطتني هذا المرهم لتخفيف أثر الجرح ، الذي أصابني من جراء تصرف رئيس الجامعة .... وغير ذلك من الجوانب الروحية من قبل النساء الكبيرات .

وأما من جانب الرجال فكثير ؛ فمن ذلك ما حدث في بداية العام الدراسي الثاني حيث بقيتْ أيام قليلة على بداية العام الدراسي ولم يتقدم من

الطلاب للسنة الجديدة إلا القليل فانشغلت بذلك ، وإذا بي أرى نفسي وسط مكتب كبير لتحفيظ القرآن الكريم وليس به إلا قليل من الأولاد الذين يحفظون ؛ فبكيت بشدة وحرقة ، وفي وسط البكاء تقع عيني على صف طويل من الشباب الأفارقة وهم داخلون الى المكتب، وظللت من فرحتي والدموع لا تزال تسيل : أقول بأعلى صوتي : هؤلاء يجلسون هاهنا ، وهؤلاء يجلسون هاهنا ... حتى استيقظت من النوم ، واستبشرت بالرؤيا ، إذ أقبل إلينا فعلاً عدد لا بأس به من الطلاب .

ومن ذلك : ما حدث من غضبي من تصرفات بعض الشباب العاملين بالكلية لأنهم ساروا على منهج الناس هناك ، إذ العادة كل من يتزوج عليه أن يظل في تقديم الطعام للناس مدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً ، وهم يفعلون كما يفعل الناس هناك مع قلة مرتباتهم ، إذ لا تزيد على ستة آلاف ريال يمني ، والدولار يساوي حينذاك ثلاثة عشر ريالاً ، وإذا بي أرى نفسي جالساً على مكتب ، ومهمتي : أن أكتب قطع من الأوراق وأسلمها لهم وبهذه الأوراق تنزل البركة . فاستيقظت من النوم ، ولمت نفسي على إفراطي في لومهم على تصرفاتهم في تقديم الطعام ، وذهبت بنفسي لتناول هذا الطعام في أحد الأيام الثلاثة .

ومن ذلك : كنا نسافر كل شهر أو شهرين لنحضر مجلس الكلية في المكلاّ ، وكنا نمر على وادي هناك يسمى وادي عبدالله أبو غريب ، وليس به إلا بعض الفاكهة يبيعها بعض التجار البسطاء ، وكنت لا أهتم بذلك ، وإذا بي أرى نفسي وكنت في مصر وقتها ، أني أقف بهذا الوادي ، وإذا بي أرى مآذن المدينة المنورة أمامي ، ونظرت خلفي فإذا بمآذن مكة المكرمة ، ومن يومئذ صرت اهتم بهذا الوادي ، أو مِن بما يقال من بركاته أنها حاصلة فعلاً .

ومن ذلك : أنه يوجد مسجد صغير في حدود المائة متر أو يزيد قليلاً يسمى مسجد باعلوي ، ويكاد يصل اعتقادهم فيه إلى مرحلة التقديس إذ الإمام عبدالله الحداد رأى نفسه قد نصب له معراج في هذا المسجد وارتفع به إلى السماء ، وإني بعد أن طلب مني العودة للسنة الثانية ؛ رأيت نفسي في المنام أني أنزل إلى هذا المسجد لأنه منخفض قليلاً و استبشرت بذلك بأني سأعود مرة أخرى ، وفعلا تم ذلك .

ومن ذلك : هذه الطائرة التي رأيتها تحلق وسط مدينة تريم – وكنت وقتها في مصر – وفي ذيلها صندوق كبير وهو مخصص لإلقاء خطابات حوائج الناس لتقضى لهم وهي تابعة لكبير الأولياء عندهم ويسمى بالشيخ العيدروس ، وقد أرسلها لأجل هذا الغرض .... وغير ذلك كثير ...

وانهي هذا الموجز عن رحلتي إلى مدينة تريم بحضر موت وقد سعدتُ فيها إلى جانب واجبي في كلية الشريعة ، بأني وجدت أناساً أقرب إلى الفطرة من غيرهم ، وعرفت هناك عدداً من الأولياء من العلويين وخصوصاً : الإمام عبدالله الحداد الذي جمع الله له العلم بالشريعة والعلم بالحقيقة ، كما أكرمه الله بتلاميذ أوفياء حملوا علمه من بعده ، وله عدد من المؤلفات حرصت على اقتنائها ، ومن إعجابي بسيرته الطيبة رأيت شخصه في النوم وهو متوسط القامة يميل الى القصر قليلاً ، وسمعت من يقول لي : هذا الكاظمي ، و الكاظمي يعبر عنه بفم الوادي ، وله شِعرٌ جميل وله تائية كبرى يعارض بها تائية ابن الفارض ، وأذكر أني قلت عنه في برنامج في الشارقة : إنه أحد رجلين في التاريخ الإسلامي – على حد علمي – جمع الله لكل منهما ؛ بين العلم الباقي الذي ينتفع به ، والتلاميذ الأوفياء ، والأبناء العلماء ، وهو سبحانه يهب ما شاء لمن شاء .

وفي نهاية العام الثاني وبعد أن تكرر من الشيخ عبدالله باهارون التدخل في شئون الكلية ، عزمت على الرحيل ، وقد حاول أن يثنيني عن ذلك ، لكنني صممت على الرحيل ، مع أن الرجل كان يحترمني ولم يبخل علي في العلاج حين أصابني شيء من المرض على حساب الجامعة ، فجزاه الله خيراً ، وأذكر بأن أبنائي في كلية الشريعة لديهم وفاء ليس له نظير ،فإذا وجدنا في إحدى إمارات الخليج فإنهم لابد أن يسعوا للسلام عليّ .

كما أكرمني الله بكتابين لي درّستهما هناك ويدرّسان حتى الآن ، وخصوصاً كتاب الوجيز في تفسير آيات الأحكام .

فلله الحمد أولاً وله الحمد آخراً ؛ فقد رأيت : في بداية عملي هناك أنني آكل الطعام بإدام ، ثم جاء آخرون كثيرون شاركوني حتى فني الإدام وتوقفت عن الأكلُ ولكن ظل الآخرون يأكلون الخبز بدون إدام ، فأولت ذلك بأني سأدرّس ما ألفت ردحاً من الزمن ، ثم أترك هذا العلم ليستفاد به بعد رحيلي وقد كان .

والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثامن

الرحلات الى الولايات المتحدة الأمريكية وآثارها

الرحلة الأولى :

السفر إلى الولايات المتحدة كان حلماً بعيد المنال ، وهو مقصور على السياسيين ورجال الأعمال ونوعيات محددة لسنا منها ، وكان من الأسباب التي تحول دون السفر إلى هناك تكاليف السفر ثم إجراءات السفارات والقنصليات في التدقيق في كل صغيرة وكبيرة وغير ذلك من الصعوبات التي تعترض تحقيق الأمنيات على أرض الواقع .

لكن بالنسبة لي أفاجأ بأن تفتح لي الأبواب في الدخول إلى هناك؛ حتى صارت الرحلة التي تستغرق أربع عشرة ساعة ذهاباً، ولا يقل عن عشر ساعات إياباً من الأمور العادية ، وكأني مسافر إلى الأقصر حيث مسقط الرأس ثم تعوّدي على الجلوس الطويل في مقعد الطائرة وعدم الحركة إلا إلى مؤخرة الطائرة ، لأداء الصلاة إذا حان وقتها وخشيتُ من خروج الوقت قبل انتهاء الرحلة .

ونبدأ الحكاية من أولها :

بدعوة وإلحاح من الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور المرحوم محمود حماية أستاذ التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بفرع أسيوط بأن أنْضم إلى تجمع دعوي بحت ، مكون من عدد قليل من هذا المستوى لتقوم بخدمة الإسلام وحراسته في قلوب المسلمين ، وذلك بتكليف شخص يقرأ ما يصدر في الصحف يومياً ، ثم ينقل لنا ما يمس الإسلام لنردّ عليه برسالة فيها بيان وردّ لهذا المنشور، ونطلب من صاحب الصحيفة أن ينشر الرد .

هذه هي المهمة ولا شئ غيرها ، فقبلت بعد تردد لأني عشت حياتي بين بيتي وكليتي ولم أنشغل بغير ذلك ، بالرغم من معاصرتي لكثير من الحركات السياسية والاجتماعية التي كانت تظهر بين الحين والحين مثل الإتحاد القومي ،

والإتحاد الاشتراكي ، والطلائع وغيرها ، لكن وجدت الحاجة ماسة إلى هذا العمل الذي لم ينتبه إليه أحد بالرغم من الخير المركّز في قلوب غالبية المجتمع .

وقد ندب الأخ الفاضل الدكتور صلاح الصاوي نفسه للقيام بهذه المهمة ؛ بأن كلف شخصاً من قبله بأجر بأن يشتري الصحف الصادرة يومياً ثم يقوم بفحصها وتسجيل ما يراه منافياً للإسلام ، ويجمعه ويرسل إلينا أسبوعياً لنجتمع ونكتب الرد ونقوم بإرساله إلى إدارة الصحيفة لنشره ، وكانت تسري بسلاسة ويسر ، وكان اللقاء في منزل الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور مزروعة الذي كان وقتها يتولى عمادة إحدى الكليات بالوجه البحري ، وقد اتفقنا ألا يزيد العدد على عشرة من العلماء أذكر منهم : الدكتور محمود حماية ، الدكتور مزروعة ، الدكتور عبد العزيز الدردير ، الذي تولى نائباً لرئيس جامعة الأزهر فرع أسيوط فيما بعد ، والدكتور كاظم الظواهري ... وسميناها ندوة العلماء تأسيا بندوة الهند .

فوجئنا بعد عدة أشهر بطلب من أحد الزملاء من كلية أصول الدين هو الدكتور يحي إسماعيل حبلوش أستاذ الحديث هناك ، يرغب في انضمامه إلى الندوة ، فتزعمت أنا رفض هذا الطلب ؛ لأنه مخالف لما اتفقنا عليه بالاقتصار على عشرة حتى نستطيع أن نضبط حركتنا ، ولأن الزميل المذكور له انتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين ، وهؤلاء وإن كان فيهم خير كثير؛ إلا أنهم مراقبون من الجهات الأمنية وهذا من شأنه ان يقيد حركتنا وربما يجعلنا محل مراقبة ، وقد نجحت في الرفض في الاجتماع الأول والثاني والثالث ، لكنه كان مصراً ، وقد وجد تعاطفاً من أكثر الأخوان فوافقت وانضم إلى الندوة .

وبعد أشهر من هذا الانضمام فوجئت بدعوة موجهة إليّ للقيام بالدعوة في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقلت : لابد أن تمر الدعوة على شيخ الأزهر

وكان وقتها الشيخ جاد الحق رحمه الله ، ثم من بعده رئيس الجامعة وكان وقتها الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ ، وفعلاً تمت هذه الموافقات وجاء في الدعوة أنها لمدة شهر ، وهم ملتزمون بتذكرة الطيران ذهاباً وإياباً ، ونفقات الإقامة هناك ، ولا أثر فيها لمقابل مادي فقلت : نأخذ الأجر من الله تعالى ، والحمد لله مرتبنا هنا في القاهرة أثناء هذه المدة فيه كفاية ، وعرفت أن هذه الدعوة موجهة من فرع مكتب الدعوي للإخوان المسلمين ، حيث اتضح لي بعد هذه الرحلة أن لهم نشاطاً دينيا واسعاً هناك يمتد عبر معظم الولايات .

استلمت تذكرة الطائرة وكان معي أخي الأستاذ الدكتور محمد البري وكان نعم الرفيق وتسلمنا مبلغ خمسمائة دولار للمصروفات الضرورية خلال الرحلة ، قطعت بنا الطائرة المصرية الرحلة في أربعة عشر ساعة ، وأذكر بأن إجراءات السفر كانت ميسرة في القنصلية الأمريكية بالقاهرة وكذلك في المطار حين وصلنا إلى مطار نيويورك – خرجنا حوالي الساعة العاشرة صباحا من القاهرة ، وصلنا هناك بعد العصر بقليل ، وكانت دورة الأرض هي التي ابتلعت هذا الفرق بين التوقيت في الساعات الرقمية وبين واقع الحياة الحقيقية ، ووجدنا في انتظارنا إخوة كرام بتنا معهم الليلة الأولى والثانية ، سألت أحدهم لماذا كان المصلون معنا قليلون ؟ قال : سترى مثل هذا العدد في صلاة الجمعة مائة مرة ، ثم سترى الحاضرون في صلاة العيد مثل الحاضرين في صلاة الجمعة مائة مرة ، ثم يوجد من ذاب من المسلمين في المجتمع الأمريكي مثل من يحضر في صلاة العيد مائة مرة .

ثم كانت لنا لقاءات في هذين اليومين في مسجدين آخرين غير المسجد الكبير المجاور لمكتب الأخوة المستقدمين لنا ، فسألتهم عن السعة الكبيرة لهذا المسجد دون أن يوجد عمود واحد يحمل سقفه ، فضحكوا وقالوا : إن هذا

المسجد كان كنيسة ، فلما قل روادها باعوها واشتراها المسلمون منهم وحولوها إلى مسجد .

ثم ذهبنا إلى مسجد آخر في حي قريب من المكتب فصلينا معهم العشاء ووجهنا لهم كلمة في مجال الدعوة ، وكان العجب من هذين العمودين الذاهبين في السماء حول باب المسجد فقالوا : إن هذا المسجد كان محفلا ماسونيا لكنهم استغنوا عنه فاشتراه المسلمون وحولوه إلى مسجد ، كما ذهبنا الى مسجد في حي آخر قريب من المكتب والإمام فيه الشيخ محمد الزيني فلسطيني ، وكان متزوجاً بزوجة مصرية ، وقد رحب بنا وكان المسجد الذي يؤم المسلمين به بيعة من بيع اليهود وما أكثرها في أمريكا، فاشتراها المسلمون وحولوها إلى مسجد ، وذلك كثير هناك وليست لديهم حساسية دينية تمنعهم من مثل هذه التصرفات التي لا يمكن أن تحدث في ديار المسلمين ، وذلك لغلبة ألوان الحياة المادية فالعبرة بالاستفادة المادية قلة وكثرة .

جدول الدعوة :

جدول الدعوة به سبع رحلات داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى سبعة مراكز دعوية دينية ، فأعطيت أنا سبع ولايات في الجانب الشرقي ، وأعطي زميلي سبع مراكز دعوية دينية في سبع ولايات في الجانب الغربي ، والسفر إلى جميع هذه الولايات بالطيران ، فأعطي كل منا تذكرة بخمسمائة دولار تمكن الواحد منا أن يصعد في كل طائرات شركة دلتا للطيران ، وهي شركة كبري وتكاد تكون طائراتها تقلع كل خمس دقائق فتنظر إلى الطائرات المستعدة للإقلاع وهى تتحرك على الممرات وكأنها طابور من التاكسيات .

وكان الجدول به الإقامة في المركز لمدة ثلاثة أيام ، وكانت الدروس في الصباح والمساء والليل والناس هناك حاضرون دوماً ،إذ يحضر الرجل ومعه

زوجته وأولاده وطعام يوم كاملاً له ولهم ، فيجلس الرجال معنا في حلقة الدرس وتجلس الزوجة مع بقية الزوجات في استراحة ، بالمركز بحيث يسمعن ما يقال في الدرس ، والأولاد يلعبون مع نظرائهم في الحديقة التابعة للمركز وهو النظام الغالب على المساجد هناك

أما ضيافتنا فيقوم بها أحد رواد المركز في منزله سواء في تناول الطعام أو المبيت .

ومن المفارقات :

١- أني وجدت صورتي في صحيفة معلقة على باب المركز الذي ستكون به الدعوة وبقراءة ما حولها وجدت إجابة على عدد من الأسئلة الشرعية ولم أتذكر أني وجهتْ إليّ وأجبتُ عليها ، لكن بالتحري فيما بعد وجدت أن الأسئلة أجاب عنها الدكتور يوسف القرضاوي وكانت لي أسئلة وأجوبة في نفس الصحيفة فالتبس الأمر على المسئولين في الصحيفة فوضعوا صورة كل منا مع أسئلة الزميل الآخر .

٢- نظراً لضعفي في اللغة الإنجليزية ونسياني لما حصلته فيها كانوا يرتبون لي شخصاً ينتظرني على سلم الطائرة ويأخذني إلى الجهة المحددة لي في جدول الدعوة .

وفي مطار أطلنطا وهو مطار كبير جداً لأن أطلنطا تقع وسط أمريكا فهي حلقة الاتصال بين شرق أمريكا وغربها وبين جنوبها وشمالها ، ونظراً لسعة الولايات المتحدة فالأكثرية من الركاب يستبدلون طائراتهم بطائرات أخرى تتجه بهم إلى الجهة التي يريدونها وذلك في مطار أطلنطا .

وكانت وجهتي مدينة شارلوت في ولاية جورجيا ، وكان ينتظرني على سلم الطائرة شاب عراقي يطلق عليه أبو قتادة ، وكان يقف أمام سلم الطائرة

رجلان من المباحث فبمجرد رؤيتهم لي بعمامتي ولحيتي قالا : أَمر أَبد الرحمن !ففر صاحبي بمجرد سماع صوتهما وهما ينطقان اسم عمر عبد الرحمن بالرغم أن هذا الشخص مسجون عندهم في سجن من زجاج ، لذلك لم أر أحداً في انتظاري ، فاتجهت إلى أقرب مكتب حجز وسفر لي ، فما كان من المسئولة إلا أن ألقت نظرة عابرة على ورقة الحجز التي في يدي وأشارت إلي بالجلوس في انتظار ركوب الطائرة التي صعدت إليها بعد حوالي ربع ساعة ، وبعد منتصف الليل توقفتْ في مطار في ولاية أخرى بعيدة جداً عن الولاية التي كانت في نيتي النزول بها ، ولم أجد أحداً في انتظاري ، معي رقم مكتب الاستقبال ولكن رفض المسئول عن مكتب في المطار أن يسمح لي بالاتصال وحاولت موظفة هناك معه ، ولكنه رفض نهائياً فدلوني على تليفون به خاصية :أن المكالمة تحسب على الجهة التي يتم الاتصال بها فعرفت منهم السر فيما حدث وسميت لهم اسم المطار الذي نزلتُ به ، فقالوا انتظر قليلاً وسيأتيك من يحملك من المطار إلى الفندق لتستريح ثم في الصباح تعود إلى المطار لتركب طائرة إلى أطلنطا ، ثم من أطلنطا إلى المركز المحدد لي لأصلي الجمعة بالمسلمين هناك ، وفعلاً ركبّني صاحبي اليمني الذي أنقذني من المطار ؛ الطائرة إلى أطلنطا وهناك وجدت أبا قدامة في انتظاري وبعد عتاب خفيف أخذني إلى مكتب تليفون وقال لي : اتصل بأهلك وطمئنهم وذلك على حسابه ، فعرفت أن الرجل يريد أن يكفّر عن خطيئته ، وبعد اتصالي اتجهنا إلى مكتب الحجز لنواصل الرحلة إلى مدينة شارلوت وكان اليوم جمعة وقد وصلت المسجد قبل الجمعة بدقائق فتطهرت بسرعة وخطبت الجمعة وظللت معهم بقية المدة المتفق عليها .

٣- كان في مدينة دالاس رجل يشتغل في مجال البترول يقال له : أبو مُنى فقال لي :إن كل المسلمين في نهاية اليوم يتجهون إلى المساجد ما عدا المصريين فلا يذهبون إلى المساجد إلا في يوم الجمعة ، فأرجو أن تجلس معهم وتحدثهم في ذلك، لعل الله أن يشرح صدورهم ويذهبوا إلى المساجد كبقية الشعوب الأخرى ، فتحدد الموعد والمكان واجتمع إليّ عدد كبير لكن الأكثرية كانت للنساء اللاتي كن ملتزمات بالحجاب ما عدا واحدة جلست بلا حجاب ، فتساءلت بيني وبين نفسي ، هذا المظهر النسائي الإسلامي الجميل كيف يتحقق في أمريكا التي يدين معظمها بديانات من غير الإسلام ،ولا يتحقق ذلك في القاهرة التي يدين غالبها بالدين الإسلامي

وبعد حديث مطوّل قامت الزوجة غير المتحجبة واتجهت إليّ طالبة مني أن أصحبها إلى خارج القاعة ، فاستأذنتُ وخرجتُ معها وبعدة أمتار من القاعة انفجرت بالبكاء ، وبعد محاولة إسكاتها عرفت أنها كانت متحجبة كبقية هؤلاء النسوة ، ولكن زوجها أجبرها على خلع حجابها ، فعرفت أنها أصيبت بحرج شديد لوضعها الفريد بين المصريات الحاضرات ، فحاولت أن أخفف الأمر عليها، وأنها يمكن أن تعود إلى حجابها بعد حسن نصيحتها لزوجها .

٤- من المفارقات التي حدثت مع الدكتور محمد البري أنه عرف رقم الشيخ عمر عبد الرحمن في السجن واتصل به فلامه الدكتور عمر عبد الرحمن على اتصاله وأنه جازف بنفسه ، وأنه سيعامل بشدة خلال عودته بسبب اتصاله به ، فعاد إليّ الدكتور محمد البري وهو منزعج من ذلك وأثناء عودتي سلمني محفظته وأوراقه الثبوتية وجواز سفره استعدادا لهذا اللقاء ، ولكن الله سلم ولم يسأله أحد عن ذلك وأعدت إليه حاجاته في المطار بعد أن اجتزنا كل الحواجز .

٥- في احدى لقاءات الشيخ البري بالمصريين أُخذ إلى منزل رجل مصري وقد وَجد الزوجَ وهو رجل البيت حبس نفسه داخل غرفة من البيت حتى لا يتعامل مع زوجته ولا ابنتهُ فسأل لماذا قال له : إن ابنتي جاءت بصديقها الأمريكي إلى داخل منزلنا فقلت لها هذا لا يصح كيف تفعلين ذلك مع شخص أجنبي ونحن مسلمون ، فما كان منها إلا أن تضرب بتليفونها إلى القسم فحضرتْ الشرطة واقتادت الوالد إلى الحبس لمدة أسبوع بسبب تدخله في شئون ابنته ، ثم أخذ عليه تعهد ألا يعود إلى مثل ذلك في المستقبل ، فما كان من الرجل إلا أن اعتزل الزوجة ، لأنها منحازة مع ابنتها في تصرفاتها واعتزل ابنته وعاش في حجرته غريباً في بيته .

٦- أخذه شاب ليقابل امرأة أمريكية يميل قلبها للإسلام ، وبمجرد دخوله معه في بيتها احتضنت الشاب وأخذت تقبله فتعجب من ذلك ثم زاد تعجبه حين عرف أن هذه المرأة أنجبت خمسة أولاد من صديق لها ، لأن العادة هناك لابد أن يذوق أحد الزوجين صاحبه قبل الدخول في الزواج الرسمي ،فإن أعجبه ذلك وإلا انصرف عنه ،فصاحبها يختبرها هل تصلح له كزوجة أم لا ؟

المهم في نهاية المطاف ، سلموا لكل منا مائتي دولار وبعد عودتنا للقاهرة فوجئنا بقرار من رئيس الجامعة بعدم استحقاقنا لصرف مرتب الشهر الذي قضيناه هناك ، ثم بحذف مكافأة مائة واثني عشر يوماً من مكافأة الامتحان ووجدنا أنفسنا مدينين بأربعة آلاف ونصف ، قدّمنا تظلماً لشيخ الأزهر ولكن لم يلتفت إلينا وطلبنا العوض من رب العالمين .

الرحلة الثانية والثالثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية

هدف هذه الرحلة يختلف عن هدف الرحلة الأولى ، وإن كان الغرض من الجميع واحداً وهو خدمة الإسلام وتقديم النصح للمسلمين .

وسببها : اشتهرت الفتوى الصادرة عن المجلس الشرعي الذي يتزعمه الدكتور يوسف القرضاوي في أوروبا بالتساهل في الفتاوى المخالفة لما تعارف عليه جمهور الفقهاء ، فتصدر الفتوى هناك ويتلقفها المسلمون المقيمون في تلك البلاد ، إذ هذا المجلس هو المصدر الشرعي الذي يعتمد عليه المسلمون هناك .

ومن أمثلة هذه الفتاوى : حل القروض بفائدة لشراء المساكن بدلاً من الإيجار ، وهذه قضية خطيرة وكبيرة إذ عرضت عليّ هذه القضية وكنت في مسجد دار الهجرة بواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية وكان فيها إلحاح شديد من جمهورهم لما فيها من مصلحة للمالك والمستأجر ، لأن المستأجر يدفع ما بين ألف وبين تسعمائة وخمسين دولاراً أجرة شهرية للسكن ويعيش هو وأهله على مبلغ ألف وخمسين دولاراً لأن معظم المرتبات لا تتعدى الألفين من الدولارات هناك بالنسبة للجاليات الأجنبية .

لذلك يعرض المالك على المستأجر؛ أن يبيعه بالثمن بالتقسيط على ثلاثين عاماً ولا يتقاضى في القسط الشهري على ما يزيد عن الألف دولار، وفي النهاية صار مالكاً لمنزله ، لكن مع فائدة على هذا القسط لا تزيد عن عشرة في المائة .

لكني قلت: الثمن النقدي للمنزل الخشبي المجهز يباع نقداً بمائة وعشرين ألفاً ولكن بحساب التقسيط يصل الثمن الذي يتقاضاه في نهاية الثلاثين عاماً إلي ثلاثمائة وستين ألفاً فذلك مكسب كبير لأصحاب العقارات .

أما المستأجر فلا يجوز أن يشتري بهذه الطريقة لما فيها من الربا الصريح ،وهو مسلم مطالب بالالتزام بالأحكام الشرعية ، لذلك لا يجوز له أن يتحمل وزر التعامل بالربا إلا في حالة الضرورة وما دام يجد سكناً بالإيجار وهو قادر على دفع هذا الإيجار، فليس من أصحاب الضرورات ، التي تبيح لهم المحظورات .

وتقدم آخر بسؤال : بأن عنده خمسة أطفال والملاك هناك للبيوت لا يمكن بحال أن يسمحوا بعائل أكثر من ثلاثة أطفال بالإيجار ، لذلك هو لا يجد أحداً يستأجر منه السكن له ولأهله وأولاده .

وكان الجواب : إذا كان ذلك قاعدة عامة في المدينة وتعذر عليك ذلك فهذه حالة ضرورة ، فلك حينئذ الشراء بالطريقة التي أشرنا إليها قبل قليل ، وأنت أمين على نفسك .

ومن أمثلة المخالفات التي صدرت من المجلس الشرعي الأوروبي واشتهرت ؛ أن المرأة المسيحية أو غيرها إذا أسلمت وزوجها لا زال على دينه وله منها أولاد فلها أن تبقى على عشرتها معه حفاظاً على الأولاد ، مع أن الحكم الشرعي لابد أن تفارقه بمجرد إسلامها ، لكن إذا أسلم خلال العدة فإنها ترجع إليه كزوجة وهذا الحكم عام سواء كان بينهما أولاد أم لا .

مثل هذه الفتاوى الخطيرة شغلت عدداً من أهل العلم ومنهم أقرب الناس للقرضاوي وهو الدكتور علي السالوس، الذي أعلن رفضه لمثل تلك الفتاوى وترك الجبهة التي يتحرك فيها حول الشيخ القرضاوي والمجلس الشرعي الأوروبي ، واتفق هو مع الدكتور صلاح الصاوي والدكتور وهبه الزحيلي على تكوين مجلس شرعي في أمريكا للرد على أمثال تلك الفتاوى ،

ولإصدار الفتاوى التي يحتاج إليها في أمريكا وغيرها ؛ المسلمون الذين يعيشون كجاليات إسلامية في البلاد غير الإسلامية .

وسمى هذا المجلس : بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الشمالية ، وقد طلب مني ومن غيري الانضمام إليه بعد أن عرفت هدفه والغرض المتوخى عنه .

وقد تحدد موعد للاجتماع في أمريكا لإعلان قيام المجمع ، ولما قُدّم جواز سفري إلى القنصلية الأمريكية ؛ إذ بهم يعطوني حق الدخول إلى أمريكا لمدة خمس سنوات بدون الحاجة إلى تأشيرة دخول في كل مرة ، لذلك صارت أمريكا بالنسبة لي مثلها مثل قرية الغربي قامولا الذي جئتُ منها إلى القاهرة حيث أدخل كيف شئت وأخرج متى شئت.

وكان الاجتماع الأول : في دار السلام حيث يضم حوالي عشرين عالماً من بقاع العالم العربي ، هذا إلى جانب عدد كبير من الخبراء ، وهم أئمة المساجد في المراكز الإسلامية هناك ، أو يعملون في مجالات أخرى لكن لهم اهتمام بالشأن الإسلامي ، وقد تم فيه استعراض الردود على الفتاوى المخالفة للشريعة الإسلامية ، ثم عرض خطة العمل في المجمع بحيث يكون له مقر دائم هناك وله مسئول رقم واحد تعرض عليه الفتاوى ذات الصفة العاجلة وله معاونون ، كما يُؤسس مكتب في القاهرة للمجمع وذلك في مقر المجلس الإسلامي العالمي للدعوى والإغاثة بالحي الثامن بمدينة نصر ، ثم له اجتماع سنوي، وعلى أمين المجمع الدكتور صلاح الصاوي أن يضع رؤوس الموضوعات التي سيدور حولها النقاش وتكتب لها بحوث في كل عام ، على أن تقدم هذه الموضوعات قبل الاجتماع بمدة كافية لا تقل عن ستة أشهر ،

لكل عضو من أعضاء المجمع حتى يعد بحثه أو بحوثه قبل انعقاد المجمع بوقت كاف .

وقد تم اختيار هيئة الإدارة للمجمع من كل من الدكتور / حسين حامد حسان رئيساً ، والدكتور الزحيلي نائباً للرئيس ، والدكتور علي السالوس نائباً ثانيا للرئيس ، والدكتور صلاح الصاوي أمينا عاماً ، وقد تحدد موعد الاجتماع الثاني أيضا في أمريكا للعام القادم في مثل نفس الموعد لهذا العام ، وقد وزعت علينا الموضوعات التي تمس الحاجة إليها للمسلمين هناك حتى يتم بحثها من قبل أعضاء المجمع .

أما النفقات للتذاكر وللإقامة والإعاشة فكانت أمانة المجمع تقوم بتدبيرها من خلال بيع بعض الكتيبات أو التبرعات من القادرين وأحياناً يطلب منا سداد ثمن التذاكر ثم ترد إلينا فيها بعد .

أما الاجتماع الثالث: فكان في مدينة كوبنهاجن عاصمة دولة الدانمارك ، وهي دولة صغيرة لا يزيد سكانها على خمسة ملايين إنسان ، ولكنها غنية بمواردها بالرغم من أنها وسط بحر الشمال أي جزيرة منعزلة لكن الصناعة فيها متقدمة ، ومن مظاهر الغنى هناك أن وجدنا في نزهة قصيرة على ساحل البحر رجلاً عراقياً يملأ حجره قمحاً ليطعم به الحمام الكثير هناك ، فسألناه عن ذلك ؟ فقال : لا يوجد فقراء أو مساكين حتى نعطيهم الصدقات فلذلك نطعم بها الحمام ، والناس هناك على درجة عالية من الوعي ، فبالرغم من تحسن الأحوال الاقتصادية لكنهم يستخدمون الدراجات الهوائية بدون موتور والذي يحركونها بأرجلهم ليصلوا بها إلى مقار أعمالهم ؛ فلذلك تجد الطرق العامة منقسمة إلى قسمين أحدهما للسيارات والقسم الآخر للدراجات الهوائية ، فإذا نظرتَ إلى المباني التي توجد بها الأعمال ترى السلسلة الطويلة

القوية المحيطة بالمبني على ارتفاع نصف متر من الأرض؛ وذلك ليقيد كل موظف دراجته بقفل حديد يحمله معه ، فإذا انتهى من عمله فك قيد دراجته وانطلق بها في جانب الطريق المحدد له .

ومن المفارقات : كنا دعونا لحضور مؤتمرنا هناك وزيرة شئون الأديان ورئيسه الشئون القانونية لمجلس الشعب ، وبعد انتهاء المؤتمر خرجنا لوداع الضيفتين الكبيرتين ، أما الوزيرة فركبت سيارة صغيرة والتي تقودها شابة موظفة معها دون حرس في صحبتها لحراستها ، ولو من باب الأبهة كما يحدث عندنا نحن الفقراء ، أما رئيسة الشئون القانونية فأخرجت مفتاح القفل من جعبتها وفتحت قفل الدراجة وانطلقت بها وسط ذهولنا وإعجابنا في نفس الوقت . وقلت : كنا أحوج إلى هذا من أولئك الأغنياء ، لكن القضية ؛ هي درجة الوعي عند كلّ من الفريقين !

أما الوقت عندهم ومدى تناسبه مع كمية الإنتاج ورفع المستوى فهو موضع العجب ! إذ كنا نصلي المغرب الساعة العاشرة مساءاً مع مغيب الشمس ، ونصلي العشاء الساعة الثانية عشرة مساءاً مع منتصف الليل ! ونصلي الصبح الساعة الثانية والنصف صباحاً . أما كيف يرتبون أعمالهم مع هذه الأوقات ؟ فهذا كان يحتاج الى دراسة ولم يتسع الوقت لهذه الدراسة .

أما الدعوى فكانت موجهة من إمام المركز الإسلامي هناك وهو أخ فاضل من سوريا وصار عضوا بالمجمع فيما بعد ، واستمرت الاجتماعات لمدة ثلاثة أيام، وتم فيها بحث الموضوعات التي تمت كتابة البحوث فيها ، واتخذت بشأنها القرارات اللازمة كما تم فتح باب العضوية لمن يتقدم بشرط أن يكون حاصلاً على درجة الدكتوراه أو ما يعادلها ، لذلك زاد العدد حتى وصل الى قرابة الأربعين عضواً ، كما قبلنا الدعوة لعقد الاجتماع القادم في

نيجيريا ، وكانت موجهة من الدكتور الطاهر رئيس إحدى ولايات نيجيريا في الشمال الإسلامي هناك .

ذهبنا لحضور الاجتماع الرابع في تلك الولاية التي يوجد بها نظامان للرئاسة : أحدهما : نظام قديم به شخص يسمى أمير المؤمنين في هذه الولاية وله مقر رسمي زرناه فيه ، ولكن لا سلطان له حقيقي وإنما السلطان بيد الحاكم المعين من قبل الحكومة المركزية التي يكون من سلطتها تعيين رؤساء الولايات وهم الحكام الفعليون ، ولهم مجالس تشريعية منتخبة لمعاونة الحاكم في مهامه ، وقد ارتجلت كلمة في حفل العشاء بحضور الحاكم .

فبدأت بذكر موقف الإمام مالك من هارون الرشيد الذي كان يملك الدنيا إذ ذاك ، لكن رده عليه كان شديداً وإن كان الرد مبطناً بالأدب ؛ لمّا أرسل هارون وهو بالمدينة إلى مالك ليحضر بمجلسه ليسمعه العلم ، فأبى مالك من ذلك وردّ عليه بقوله : (يا أمير المؤمنين هذا العلم منكم أُخذ ، فإن عززتموه عز وإن ذللتموه ذل ، العلم يُؤتى ولا يأتي) فاقتنع هارون الرشيد بهذا القول وأخذ أولاده وحاشيته وذهب إلى مجلس مالك ليسمع العلم منه .

ثم قلت للأمير : أنت المسئول عن هذه الإمارة أمام رب العالمين ، لكن لك حاشية ، ولك أقارب يحاولون الاستفادة من سلطتك فيها ، فحاول أن تقف دون ذلك ، كما أن بهذه الإمارة الفئات الفقيرة والمهمشة الذين لا يحصلون على حاجتهم فأنت المسئول عنهم .

والحمد لله لم يصدر من الرجل ما يشعر بغضبه مما قلت ، كما سمعت فيما بعد أن الإذاعات المختلفة في نيجيريا قرأت ما قلته في هذه الليلة من نصائح للأمير والحمد لله رب العالمين .

أما الاجتماع الخامس فكان بالقاهرة وبالرغم أن الاجتماع ضم فعلاً الكثير من المتحدثين ممن انضم إلى عضوية المجمع ، لكنه بالنسبة لي كان من أخف الاجتماعات ، إذ لم احتج إلى تجهيز للسفر ، ولا ذهاب للمطار ولم توجد لي مشكلة في حضور الاجتماعات ، لأن سيارتي الخاصة كانت تحت يدي أتحرك بها كيف شئت .

ومن المفارقات : أني قد كلفت بقراءة كل البحوث ووضع مختصر لها يتناسب مع حجمها وعددها والموضوعات التي تناولتها ، وكان للدكتور صلاح منهج آخر وهو شدة الاختصار وقد تناولته في مقدمة ما كتبتُ بعبارات شديدة وقاسية وقد لاحظت وأنا أتكلم بذلك : أن المجتمعين الجالسين جميعا في مواجهتي يضحكون ، و تعجبت من ذلك ! هل في كلامي ما يضحك ولم أنتبه إلا أخيراً حيث كان الدكتور غائباً فحضر أثناء كلامي عنه ووقف خلفي وسمع كل ما قلته أو معظمه عنه وفي النهاية التفتُ خلفي فوجدته واقفاً في مكانه مبتسماً فضحكنا جميعاً .

وكانت تعقب الكلمات أو معظمها تشكيل لجنة لصياغة القرارات التي ستصدر عن الاجتماعات وكنت عضواً في كل هذه اللجان في الغالب ؛ وكان كثيراً ما يكون معي الدكتور عكرمة صبري مفتي القدس وزميل من البحرين والدكتور محمد الزحيلي ، وقد ينضم إلينا غيرنا في بعض الحالات .

أما الاجتماع السادس فكان في الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف الكويتية ولي علاقات طيبة مع الكويتيين سواء مع الدكتور عادل الفلاح وكيل الوزارة أو غيره ، لأنهم كانوا يرسلون إليّ ببحوث للتحكيم فكنت أجيب فيها بما يفتح به ربي عليّ ، وهذا مما دعاني إلى أن ألومهم على عدم تنشيط المذهب المالكي عندهم ، وهو المذهب الرسمي لديهم ، فكلمت الأستاذ خالد المذكور

وقد عين رئيساً للفريق الذي يعد العدة لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هناك وقد أهداني بعض المذكرات التي أعدها لتعينه علي إنجاز مهمته وإن كان قد طال أمد هذه المهمة .

وتتميز هذه الرحلة دون بقية الرحلات بإنجاز أعمال المجمع ، إذ تفضلت الوزارة بتقديم نفحة لكل من حضر الاجتماع ، وقد خصني من ذلك مبلغ عشرين ألفاً من الجنيهات لكن هذه النفحة تراجعت قيمتها إلى سبعة آلاف في الاجتماع التالي.

وأما الاجتماع السابع فقد عقد في البحرين بدعوة فردية من الشيخ عادل المعاودة ولا أنسى هذا اللقاء الصاخب بيني وبين شخص اسمه إبراهيم الخليفة ويشغل وكيل وزارة الخارجية هناك ، وكان هذا اللقاء جزءاً من اجتماع خاص دعانا إليه الشيخ عادل المعاودة ، وبما أن البحرين مذهبهم الرسمي هو المذهب المالكي شأنهم شأن الكويت وأبو ظبي ودبي ، فأردت أن أحفزهم على تنشيط المذهب المالكي وذلك كما تفعل حكومة أبو ظبي الذين يقومون كل عدة سنوات بطباعة أحد مراجع المذهب ، وقد كنت ساهمت في التعليق على المدونة بالجوانب الفقهية والحديثية وقد صدرت في اثني عشر مجلدا باسم طبعة الشيخ زايد وكان ذلك تحقيقاً لرؤيا رأيتها : أني تناولت الطعام على مائدته وكان جالساً يتناول الطعام معنا .

كما أن دبي رجالها أنشأوا معهداً لتدريس الفقه المالكي وأحمد الله جل شأنه أن وفقني للمساهمة لرفع مستوى طلاب هذا المعهد لوجه الله تعالى .

المهم أن المدعو إبراهيم الخليفة ظن أني أطالبهم بالمساهمة في جهود كل من دبي وأبو ظبي في تنشيط دراسة الفقه المالكي فقال : لا يمكن أن نساهم معهم في ذلك ، وحاولت أن أقنعه بأني لا أطالبه بذلك ، بل هو مجرد أمثلة

لجهود هؤلاء حتى تتأسوا بهم . وقد خرجت بانطباع بأنه لن يتحرك أحد في كلّ من الكويت والبحرين لمساندة المذهب المالكي ، ولذلك أخشي أن يندثر المذهب في الدولتين ، لأن حياة العلم مدارسته ، ووجدت دليلاً مادياً على ظني هذا وذلك في الشيخ عادل ، حيث يتمذهب بالمذهب الحنبلي مع قربه من الهيئة الحاكمة هناك ، لذلك رجوته أن يجعل أحد أبنائه أن ينشأ على المذهب المالكي من بدايته . كما أفعل أنا إذ أبنائي وبناتي بعضهم يتمذهب بالمذهب المالكي وبعضهم بالمذهب الحنفي وبعضهم بالمذهب الشافعي ، لكن مما يؤسف له أنهم بعد حصولهم على درجاتهم التي فتحت أمامهم أبواب الرزق ، صار الفقه وراء ظهورهم بالرغم من وجود دروس للتذكرة العملية ، فالشيخ صدقة مأذون السويس الآن ظل أعواماً يأتيني من هناك ليجلس ساعة يقرأ أمامي بعض الصفحات من كتاب بداية المجتهد ، وكان يحمل شهادة في التجارة وقد صار الآن يحمل الدكتوراه في علوم الشريعة .

والآن الشيخ محمد رياض الموظف بهيئة قناة السويس يأتي من الإسماعيلية كل أسبوع ليجلس معي في المسجد تحت البيت ليقرأ الشرح الصغير لأبي البركات الدردير، وأبنائي مع زوجاتهم ويسكنون فوق المسجد ولكن ليست لديهم أدني رغبة في المراجعة ،بالرغم من أن حضور محمد رياض يوم الجمعة من كل أسبوع وأحياناً يقدمون له تحيته من الشاي لكن لا يجلسون معه ليسمعوا شيئاً من العلم ، لكن يعزيني في ذلك موقف الإمام مالك إذ كان طلاب العلم يأتون إليه من المشارق والمغارب ليسمعوا منه العلم وابنه يلعب بالحمام غير بعيد عن حلقة الدرس فينظر إليه ويقول : إنما الأدب أدب الله ، أنما يعزيني في ذلك أن أحداً لم يرث أباه في هذا الشأن إلا عبد الرحمن بن

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق هو الذي جلس مجلس أبيه فأسأل الله جل علاه أن يشرح الصدور لقلوب أبنائي وأبناء المسلمين إنه قريب مجيب .

وأما الاجتماع الثامن فكان في كندا وكان الوقت هناك شديد البرودة حتى أنه كان معي الدكتور محمد الجلاينيد أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم قفز من السيارة التي أقلتنا من المطار، إلى مدخل الفندق مباشرة هروباً من شدة البرد، وقضينا هناك أربعة أيام لكن انتهينا من البحوث في ثلاثة أيام ، وقد اجتمع عندي عدد كبير من طلاب شمال أفريقيا بعضهم كان يطلب العلم في كندا وبعضهم من الولايات المتحدة الأمريكية ، وطالبوني باستعراض رسالة ابن أبي زيد ، ويعلم الله أننا بدأنا القراءة فيها حوالي الساعة التاسعة صباحاً وكانت الساعة الثانية عشرة مساءاً قد شهدت انتهاء الرسالة . وكانت نفحة من المولى جل علاه لصدق هؤلاء الطلاب في طلب العلم المتاح في هذا الوقت المحدد ، وقد سعدت بذلك سعادة بالغة بحصول شئ لم يكن متوقعاً وأذكّر بأن القراءة لم تكن قراءة عابرة بل كان يتخللها شرح لبعض القضايا والمسائل الدقيقة .

وقد سعدت بالحفل الذي أقامه لنا طلاب السعودية في ناديهم الخاص بهم ، ومعظمهم في الدراسات العليا وكانوا بأعداد كبيرة حيث اتجهوا لطلب العلم العملي في كندا بعد واقعة تحطيم برج التجارة في أمريكا وكان معظم المتهمين من السعوديين .

أما الاجتماع التاسع والعاشر فكانا بالكويت بدعوة من وزارة الأوقاف هناك ، نعم اشتركت في الاجتماع التاسع ولكن لم أشترك في الاجتماع العاشر ، وعدت بتذكرتي وجواز سفري من المطار بعد أن دخلت إلى ساحة المطار نظراً لظروف صحية ألمت بي ، ولكني أرسلت اعتذاراً ألى وكيل الوزارة الدكتور

عادل الفلاح وأرسلت مع الاعتذار مجموعة من كتابي عن الإمام مالك لعله يحرك شيئاً من الهمم هناك لتنشيط المذهب .

وأما الاجتماع الحادي عشر فكان مقرراً أن ينعقد بالكويت لكنه تأجل لعدة أشهر ولم تفصح لنا إدارة المجمع عن سبب التأخير ولعله يكون خيراً إن شاء الله تعالى .

الرحلات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بجمعية الإيمان :

كانت هذه الرحلات الأربع إلى الولايات الأمريكية ؛ وإن اختلف سببها كما اختلفت وجهتها واختلفت كذلك إنجازاتها لما تقدمها من الرحلات ؛ لكنها لا زالت في إطار تقديم النصيحة للمسلمين وتعريفهم بمعالم الإسلام ، والعمل على شد أزرهم حتى يستطيعوا الصمود أمام تيار الماديات الجارف في تلك الديار .

الأولى إليها : في غضون عام ألفين وخمسة وما بعدها وكان قد مر على إنشاء هذه الجمعية ثماني سنوات فقط وكانت قد وفقت للقيام بإنجازات كبيرة خلال هذا العمر القصير وكانت أركانها تقوم على ثلاثة رجال ؛ هم الدكتور سيد عبد الحليم من الشرقية ، والأستاذ مسعود من المنوفية والأستاذ محمد صادق .

أما السبب العام لتوجيه هذه الدعوات فهو ما حدث في لقاء سابق معي حين وجدتُ هناك في الرحلات الأولى ، كما اشترك معنا الدكتور سيد عبد الحليم ، بل صار فيما بعد عضواً من الأعضاء الفاعلين في المجمع ، أكاد أقول بجهوده مع بعض أولاده كان سبباً في رحلة أعضاء المجمع إلى نيجيريا والتزام

الدكتور الطاهر رئيس حكومة الولاية بكل نفقات الاجتماع ، وقد انضم أحد علمائهم بعد هذا الاجتماع إلى عضوية المجمع .

المهم : أن نشاط هذه الجمعية كان مركزاً على أمرين هامين ؛ أحدهما عام : وهو التعريف بمعالم الإسلام وآدابه وما يجب على المسلم الالتزام به . وثانيهما :متخصص حيث يقوم على إنشاء جهاز تعليمي يقوم على حفظ القرآن أو ما تيسر منه وتعليم اللغة العربية وبعض العلوم الأولية في الشريعة الإسلامية ، وذلك إلى جانب المقررات الأمريكية على أن يقوم بالتدريس المسلمون القادرون على ذلك، وقد استطاعوا إنشاء مدرستين ثانويتين في حيين من أحياء نيويورك لهذا الغرض ، وقد شرفت بزيارة المدرسة القريبة من إقامتنا فأعجبني المبنى الكبير الذي خصص لذلك ، وزيادة الإقبال من أبناء المسلمين ، وتشجيع حكومة الولاية لذلك من خلال السيارات التي تأخذ الأولاد من بيوتهم إلى المدرسة وتعيدهم إليها في نهاية الدراسة ثم التكفل بتقديم وجبة الإفطار لجميع التلاميذ ولا أعرف من الذي يتكفل بمرتبات المدرسين ، وبعد انتهاء المرحلة الثانوية يتاح للتلاميذ الناجحين الدخول إلى الجامعات الأمريكية ، وكان في ذلك خير كثير لأن هؤلاء الأولاد لن يخضعوا للمناهج الأمريكية في التربية إلا بعد بلوغ ثمانية عشر عاماً وبذلك يكون قد تمكن الإسلام من قلب كل منهم وعقله وبدنه ولسانه ؛ حينئذ صارت لديه حصانة من المنهج الأمريكي في التربية حيث يعطي الطفل من سن ست سنوات الحرية الكاملة في كل شئ ومنع الوالدين من التأثير عليه في أي جانب من جوانب حياته ، وقد حدثني أحد الأخوة الفلسطينين ؛أن ابنه الذي كان في الصباح يصبّح عليه ويقبل يده ، وبعد دخوله المدارس الأمريكية في سن ست سنوات بدأ الولد بعد دخوله من باب السكن لا يكلم أحداً ولا يقبل نصيحة

من أحد وينعزل في حجرته إلا إذا وضع الطعام ، ووجد معه رقم تليفون الشرطة ليستعمله إذا تدخل والده أو والدته في شأن من شئونه ، قال : فانزعجت وذهبت إلى المدرسة والتقيت هناك بالمعلمة هناك ، وشكوت لها ما حدث لولده بسبب التعليمات التي تلقاها في المدرسة والتي تمنع والديه من إحسان تربيته وتوجيهه حتى يشب شابا ملتزماً بالآداب الاجتماعية السوية ، وكان ردها أن هذا المنهج هو مفروض من الحكومة ولا يمكنها التنازل عنه ، نعم هي تأثرت بكلامي لكنها قالت هذا هو المنهج ولا يمكنها أن تحيد عنه .

هذه المدارس العربية التي بدأت تظهر في بعض الولايات صارت حصناً من الانزلاق إلى المنهج الأمريكي ، لكن مما يؤسف له أن هذه المدارس تحتاج إلى جهود كبيرة ومخلصة وكذلك إلى أموال لاستئجار المباني الضخمة وقد لا يتوفر ذلك إلا في الولايات التي توجد بها تجمعات إسلامية كبيرة ، وأن يكون لديهم حرص لتنشئة أولادهم على المنهج الإسلامي ، أما معظم الولايات التي لا يتوافر فيها ذلك فالقابض فيها على دينه ودين أولاده كالقابض على الجمر وأعرف بعض الناس هناك بعد تقدم أولادهم في السن عادوا بهم إلى بلادهم الإسلامية .

أما مهمتي أنا والدكتور سالم عبد الجليل الذي جذبته إلى هناك ، كنا نذهب إلى المهمة العامة وذلك بعقد ندوة إما مجمعة أو فردية في أحد المسجدين التابعين للجمعية ؛ مسجد في استوريا وهو مكون من طابق واحد وهو متسع وتتبعه مكتبة كبيرة وكانت معظم دروسي وندواتي وخطبي به ، وأما المسجد الأخر فهو مكون من عدة طوابق والمسجد المخصص للصلاة يقع في الطابق الثالث وكانت آخر خطبة لي به، وكانت محل ثناء من أعضاء الجمعية وغيرهم بحمد الله تعالى .

وكان يشاركنا في هذه الندوات والمؤتمرات بعض الإخوان مثل الدكتور صلاح الصاوي الذي حضر معنا بعض هذه المؤتمرات ولعدة أيام وكنا أحياناً نباشر مؤتمرين في وقت واحد كل مؤتمر في مسجد وكان أعضاء الجمعية يتركوا لنا اختيار الموضوعات التي تناقش في المؤتمر ، وكنت في جميع رحلاتي لا أكلف الجمعية نفقات إقامتي في الفنادق ، بل أنام في حجرة ملحقة بمسجد استوريا ، ويعد الطعام في المطبخ الملحق بالمسجد والحجرة ، بينما كان الدكتور سالم والدكتور صلاح يجدان راحتهما في الفنادق ، كما حضر معنا بعض هذه المؤتمرات الدكتور محمد المختار المهدي رئيس الجمعية الإسلامية بالقاهرة لكنه نام معي بالحجرة التي كنت أستريح بها .

ومن المفارقات : أن الدكتور سيد عبد الحليم شرح الله صدره للإنفاق على الكتاتيب القائمة على تحفيظ القرآن حتى وصل عددها إلى حوالي مائة وثلاثين كتّاباً للتحفيظ حتى شملت عدداً كبيراً من قرى محافظة الشرقية وغيرها ، ولأجل هذا الغرض سلمني عشرة آلاف دولار لأسلمهم لزوجته وأولاده بعد الخروج من مطار القاهرة ، وكنت أتعجب من هذا التصرف فزوجته تسافر على نفس الطائرة ومع ذلك يسلمني المبلغ في أمريكا لأسلمه لها في القاهرة ، ثم تكشفت لي حقيقة الموقف وزال العجب حين وصلنا مطار القاهرة ؛ حيث حُجزت الزوجة في حجرات إدارة المباحث لعدة ساعات أما أنا فلم أقف بل خرجت مباشرة وانتظرتها ثم جاءتني أخيراً ، ولم أسألها عن سبب حجزها ، هل كان بسبب انتقابها أم لسبب آخر ، كما أنها لم تخبرني ، ثم وجدت في الخارج ابني الدكتور سيد من زوجته الأولى ، وابني زوجته الثانية من زوج آخر وكان راعياً للجميع ، زاده الله خيراً عن كل ما قدمه من خير للمسلمين هنا وهناك .

الفصل التاسع

الرحلة إلى دبي



السبب الأصيل للرحلة : كان الشيخ محمد نور سيف يدرس الفقه المالكي في المسجد الحرام ونشأ ابنه أحمد الذي صار فيما بعد : الدكتور أحمد محمد نور سيف محبا للفقه المالكي ، وكان الفقه المالكي مشهورا بأنه فقه صرف ، بمعنى : يقتصر فيه على ذكر الأحكام الشرعية جميعها ، لكن دون ذكر أدلتها التي استنبطت منها هذه الأحكام وذلك منذ القرن السادس ؛ حين قيل وقتها : الناس في حاجة إلى الأحكام ، وهم مطمئنون إلى صدق الفقهاء وواثقون في أمانتهم ، بأن هذه الأحكام مستنبطة من الكتاب والسنة واجماعات الفقهاء والقياس ، ولكن في هذه العصور بدأ الناس يسألون عن الأدلة لهذه الأحكام .

لذلك فكر الدكتور أحمد نور سيف في سد هذه الفجوة بأن يعمل مشروعا يقوم بسد هذه الفجوة ، وذلك بنقل الأدلة في كتب الفقه المالكي القديمة إلى المسائل المدونة في شرح أبي البركات الدردير لأقرب المسالك الذي هو تهذيب لمختصر الشيخ خليل ابن إسحاق الجندي ، وقد فُعّل مؤتمر لذلك ووضعت فيه قواعد المشروع .

وصلتني نسخة من جهد كل من الشيخين الدكتور بدوي ، والدكتور بوضياف تشتمل على القواعد التي وضعت للمشروع وإذا بي أجد عملا مبتورا ليس به متن أقرب المسالك الذي يقوم عليه الشرح ، كما حذفت منه مقدمات الأبواب ، لأن الشيخ الدردير في نهاية كل موضوع يشير إلى الموضوع القادم مع الإشارة إلى أهم معالمه ، فحذف ذلك وأشياء أخرى ، فأغضبني ذلك جدا ، فكتبتُ رسالة إلى الدكتور أحمد نور سيف ذكرت مآخذي على المشروع ، وفي النهاية قلت لهم: إما أن تأخذوا الكتاب بكامله دون حذف حرف واحد منه ثم اجتهدوا في وضع الأدلة على مسائله ، أو تتركوه، أما أن

يشوّه الكتاب بهذا الشكل فلا يحق لكم ذلك ، فهو أمانة يجب علينا الحفاظ عليها كما تركها صاحبها .

وبعد كتابة هذه الرسالة وإرسالها بالبريد ، رأيت الإمام أبا البركات كأنه يخرج من ضريحه بثيابه ويقف على مدخله وينظر إليّ ، ومع بعد المسافة بيني وبينه لكني أراه بوضوح فأدركت أن الشيخ قد سرّ بعملي ، وهذه إشارة منه بذلك ، وهذا يذكرني بما ذكره الشيخ العقباوي الذي تتلمذ على الشيخ الدردير وعلى الشيخ الأمير ، ولما توفي الشيخ الدردير قبل أن يكمل شرح أقرب المسالك ، إذ بقيت منه بعض الأبواب لم تشرح فعزم الشيخ العقباوي على إتمام شرح الكتاب ، فرأى الإمام الدردير في المنام ، فنظر الشيخ الدردير إليه وكان مبتسما فأدرك الشيخ العقباوي سعادة الشيخ بإكمال الكتاب الذي صار الآن هو المرجع لمعظم المنتسبين للفقه المالكي إن لم يكن جميعهم .

وبهذه المناسبة تحضرني طرفة من نفحات أبي البركات : لقد حبب إليّ الانشغال بتدريس الفقه المالكي خارج الكلية ، لأنها مجال عملي في الفقه المقارن ، فاتجهت لتدريس الشرح الصغير في مسجد الشيخ الدردير ، وكان من عادتي محاولة تجميع الأعمال في يوم عمل كامل من الساعة العاشرة وحتى غروب الشمس غالبا، لذلك كان عندي دكان بقالة أسفل منزلي اشتري منه كل يوم ثلاث عبوات من البسكويت كوجبة خفيفة بعد الظهر لتساعدني على مواصلة العمل بقية النهار، وفي يوم خرجت من المنزل ولم يفتح الدكان فركبت سيارتي إلى مشوار كل يوم وأثناء الدرس يدخل علينا رجل يحمل علبة كبيرة من البسكويت و بها مجموعة من عبوات البسكويت الصغير الذي تعودت عليها ، وإذا به يفتح العلبة ويوزع على جميع الطلاب في الدرس وتبقى بالعلبة الكبيرة ثلاث عبوات يضعهم بجواري ، فسألته من أين هذا

البسكويت ؟ ومن أرسله ؟ قال: كنت واقفا في الشارع بجوار المسجد فجاء شخص وأعطاني هذه العلبة الكبيرة لتوزيعها على طلاب الحلقة بالمسجد فتبسمت وأدركت أن الشيخ الدردير راضٍ عن عملي بإشارة هذه المنحة ، وأنه يجب تكريم طلاب العلم ، فعزمت على تكريم الطلاب في دروس الفقه المالكي ، وأما طلاب تفسير آيات الأحكام فيتولى المشرفون على قاعة الدرس هذا التكريم، وأما درس فقه الإمام البخاري فيصعب القيام بذلك لأن المستمعين كثيرون ومنتشرون بالمسجد .

بعد وصول هذه الرسالة لهم وصلتني منهم دعوة لحضور اجتماع مع اللجنة المشكلة للإشراف على المشروع ، حتى تسمعهم وجهة نظرك ، نعم ، تأثروا بلهجتي الشديدة في الرسالة وعاتبوني عليها لكن بطريقة مهذبة كانت بمجرد الإشارات دون العبارات فتلقيتها منهم بصدر رحب ، لأن العبرة عندي هو الأخذ بملاحظاتي في الاعتبار ، لأن هذا العمل للأجيال القادمة وليس لقضاء مصلحة عابرة .

وقد حضرنا في الاجتماع الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب أبو سليمان أطال الله عمره فهو المالكي الوحيد في بلاد الحجاز بعد انقراض فقهاء المذهب المالكي والعمل هناك على تغليب المذهب الحنبلي خصوصا الفريق التابع لمنهج الإمام ابن تيمية .

والأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان اختير عضوا في هيئة كبار العلماء هناك وله جهود كبيرة في البحوث الفقهية والقضايا المعاصرة ، كما يوجد بالإحساء ورثة المرحوم عبد العزيز المبارك الذي كانت تستعين به دولة الأمارات في الإفتاء على المذهب المالكي وله مؤلف كبير في الفقه المالكي

ومن المفارقات كنت جالسا في بهو فندق التاج في دبي وكان هناك احتفال كبير، وكانت الدعوة قد وجهت إلى كثير من العلماء وخصوصا من دول الخليج ولسبق علمي بوجود فقهاء في المذهب المالكي في الإحساء فيدخل شخص لامع الوجه مع طول وعرض ،وقيل هذا من الإحساء ، وإذا بي أنطلق نحوه وآخذه بالأحضان وتقبيله على وجهه يمينا ويسارا وكانت مشاعري على أشدها ، إذ وجدت فقيها مالكيا على هذه المستوى ،قادما من الإحساء بالسعودية وظلت مشاعر السعادة والفرح تعم جوارحي حتى صباح اليوم التالي ، وعلى مائدة الإفطار وعليها عدد كبير ، ومنهم مجموعة من شباب الإحساء وتكلم شخص من الحاضرين عن هذا الشخص وقال : إن اسمه خليفة وهو شافعي من شافعية الإحساء ، فأسقط في يدي وندمت على تسرعي ، ثم ذهاب أحضاني وقبلاتي أدراج الرياح ، لكن المتحدث استدرك وقال : إن له صلة بآل البيت النبوي الكريم ، حينئذ حمدت الله تعالى أن ذهبتْ أحضاني وقبلاتي ومشاعري لواحد من آل البيت ،حينئذ بحت بمشاعري لأحبابي الجالسين معي على المائدة وعرفت منهم مجموعة من آل مبارك وهم كذلك مشغولون بالفقه المالكي .

وقد وصلت هذه الزوبعة من المشاعر إلى الشيخ خليفة فضحك وصارت بيننا صداقة من نوع صداقة المسافرين .

وقد حضر معنا في الاجتماع المقرر لبحث جوانب المشروع مجموعة من العلماء ، منهم الدكتور محمد جميل من المغرب والدكتور محمد الروكي كذلك من المغرب والدكتور محمد المختار من موريتانيا ، والدكتور زين العابدين من السودان واقتنع الحاضرون بوجهه نظري خصوصا أنها وجدت استحسانا من الدكتور عبد الوهاب .

وكان من أهم القواعد المبدئية التي يقوم عليها المشروع ما يلي :

١- الحفاظ على الكتاب متناً بحيث يوضع أولاً ، ثم يوضع بعده الشرح بما فيه من إشارات المتن ، كما هو في النسخ المطبوعة والمتداولة ، مع وجود بياض فاصل بين المتن وبين الشرح .

٢- يبدأ بعد ذلك الاستدلال على كل جزئية في الشرح من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ، أو ما يستحسن من الفقه المالكي سواء من جهود الشارح أو من غيره ، من علماء المذهب ،

٣- يراعى أن يكون الاستدلال من خلال الأدلة السابقة التي استخدمها فقهاء المالكية من قبل .

٤- ذكر أرقام الآيات وعزوها إلى سورها ، مع ذكر الأدلة ، ثم تخريج الأحاديث في الهامش مع ذكر المراجع .

٥- تقسيم الكتاب إلى واحد وعشرين قسما ، وعلى كل باحث أن يلتزم بهذه القواعد التي وضعت من قبل اللجنة .

٦- بعد أن يتم الباحث العمل في القسم الخاص به ، يعرض على أحد المراجعين من أعضاء اللجنة وبمجرد الانتهاء من المراجعة يصرف للباحث أتعابه عن جهوده في البحث وكانت مجزية .

٧- أقصى أمد البحث كان عاما لكن على الباحث كل أربعة أشهر أن يخطر إدارة المشروع بما وصل إليه.

٨- ثم تجتمع اللجنة كل عام لتراجع ما تم إنجازه وإقراره بصلاحيته للطبع ، على أن يبدأ الطبع بطبعة تجريبية ، ثم إذا أقرت من أهل الاختصاص من العلماء تتم الطباعة الرسمية الأصيلة في واحد وعشرين مجلدا غير المجلد

رقم واحد الذي تضمن تعريفاً بالمشروع ، والتعريف بأعضاء اللجنة المشرفة على المشروع ، وتقديم الشكر لإمارة دبي لتفضلها بتحمل نفقات المشروع ، والشكر الخاص للأمير حمدان وزير مالية الإمارات والأخ الأصغر لحاكم دبي الأمير محمد بن راشد بن مكتوم ، وكانت هذه القواعد هي أهم ما اتفقت عليه اللجنة .

الكارثة التي كادت أن تقضي على المشروع لولا أن الله تعالى سلم :

كانت إمارة دبي محكومة بالشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم ، لكنه كان مقيما في لندن ، وكان الأمير محمد نائبا له ، ويعاونه الشيخ حمدان . بعد وفاة الشيخ مكتوم صار الأمير محمد أميرا على دبي ، وجعل ابنه وليا للعهد ، وظل الشيخ حمدان وزيرا للمالية لدولة الإمارات .

بعد تولي الأمير محمد الإمارة ، وضع مجموعة من التغييرات في أجهزة الدولة ، وكان من بينها إنشاء إدارة للإشراف على جميع الشئون الإسلامية ومن بينها دار نشر أنشأها الشيخ حمدان باسم [دار التراث والبحوث الإسلامية] وكان الاهتمام الأكبر لها الاعتناء بكتب الفقه المالكي ، ووجدت منشوراتها رواجا عظيما خصوصا في معرض القاهرة ، حيث كان طلاب العلم ينتظرون مطبوعاتها كل عام بفارغ الصبر لجديتها ورخص أسعارها .

بحيث كان المجلد الكبير ثمنه لا يزيد على خمسة عشر جنيها ، وكان الدكتور أحمد محمد نور سيف المشرف على المشروع لا تقدر سعادته بهذا النجاح ، وكان مشروع الفقه المالكي بالدليل على رأس كل اهتمامات المكتبة أو الدار .

تأتي مجموعة من اللجنة المشرفة على الشئون الإسلامية ، وكانت تابعة للأوقاف لتباشر عملها في المكتبة ، فوجدهم الدكتور أحمد نور سيف عبارة

عن مجموعة من الشباب ودرجاتهم العلمية لا تتعدى الشهادة الجامعية ، بينما يعمل بالمكتبة عدد من كبار العلماء وحملة الدكتوراه فكتب رسالة للأمير محمد بن راشد يعترض فيها على اعتبار هؤلاء الشباب أصحاب سلطة على كبار العلماء بما فيهم بعض الأساتذة الذين يتعاونون معه في أعمال المكتبة وكانت هذه الرسالة قاصمة الظهر ، فأخذ الأمير محمد الأمر بحساسية ، وكيف يحق لرجل من رعيته أن يعترض على قراراته ، فأصدر قراراً بإلغاء دار النشر هذه وتحويل منسوبيها ومهامها إلى إدارة الوقف بالإمارة ، وهنا وجد أنصار ابن تيمية الفرصة للقضاء على جهود الدكتور أحمد نور سيف وجيء بمؤلفاته التي يرد فيها على بعض أفكار ابن تيمية لتحرق على مرأى ومسمع من الجميع ويقضي على فكرة [مشروع الفقه المالكي بالدليل] الى غير رجعة ، ولا أدري إن كان هذا القضاء مقصودا أم لا ، لكن تم توقف المشروع على آية حال لمدة عامين ، والحسرة تملأ قلوب المحبين للمشروع ، والذي كان أملا لطلاب المذهب ، وحتى يستطيعوا مستقبلا الإفتاء ،وهم على قدم ثابت لثبوت فتواهم بالدليل .

وقد انتشر خبر توقف العمل بالمشروع حوالي سنة ونصف إلى سنتين ووصلت أخباره الى الباحثين في بلادهم وتوقفوا عن مواصلة العمل لإنجاز المشروع مع الشعور بخيبة أملهم على ضياع جهدهم المادي ، وعلى ذهاب إضافتهم إلى بنيان الفقه المالكي الذي كان يحمل أسماءهم إلى الأجيال القادمة ، كذلك أعضاء اللجنة ، كانت حسرتهم كبيرة وغمهم شديد الذين كانوا سيعتبرون روادا لهذا المشروع الذي يحمل تقدير الأجيال لعملهم المجيد ، أما الحسرة الأكبر والغم الأشد فقد كان من نصيب رئيس المشروع الدكتور أحمد نور سيف ، لأسفه وشعوره بأن قشته هي التي قصمت ظهر البعير – كما يقول

المثل العربي القديم - إذ كان يقصد رفع مستوى المشروع في نظر الأمير بذكر الهيئة الموقرة التي كانت تعمل بالمشروع ، ولكن رسالته فهمت على نقيض قصده ، وإذ بالأمير يتخذ إجراءا قاسيا للرد على الرسالة فيطيح بالمشروع إلى الهاوية ، مع إهدار كل الجهود العظيمة التي بذلت فيه من قبل الجميع .

إحياء الأمل بعودة المشروع إلى الحياة مرة أخرى :

أعتقد أن مشاعر الأمير حمدان راعي المشروع كانت من أشد المشاعر القاسية التي أصابت الجميع لجهوده الكبيرة التي بذلت منه في إخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود ، وحفزه وتشجيعه لجهود الدكتور أحمد نور سيف بالتحرك بالفكرة إلى حيز التنفيذ ، ثم دفعه له من خلال استعداده لبذل المزيد والمزيد من أجل خدمة المذهب المالكي في إحدى زياراتي له قلت له : كنت أتمنى أن تقوم جامعة في دبي باسم الإمام مالك ، وتكون كلية الشريعة والقانون التي أطلق عليها [كلية الإمام مالك للشريعة والقانون] إحدى كلياتها ، فقال الأمير على مسمع مني ومن الدكتور أحمد نور سيف ومن حولنا : أنا مستعد وخلي الدكتور أحمد يتولى ذلك ، وكانت له ثقة كبيرة في الدكتور أحمد نور سيف ، وأشهد أن الدكتور أحمد كان أهلا لهذه الثقة ، وقد تكررت زياراتي للأمير حمدان مع الدكتور أحمد وكنت حريصا أن أقدم نسخة من أي تأليف لي له تعلق بالفقه المالكي مثل كتاب (ملامح عن حياة الإمام مالك) الذي ظهر في وسائل الإعلام وقتها ، وكذلك كتاب (فقهاء المذهب المالكي) ، وأرجو من المولى جل علاه أن يحفظه وأن يطيل في عمره ، وأن يستمر الفقه المالكي معمولا به في تلك البلاد إنه قريب مجيب .

استخدم الأمير حمدان وسائله في التأثير على أخيه الأمير محمد بن راشد حاكم الإمارة حتى استطاع أن ينتزع مشروع [الفقه المالكي بالدليل] من ركام

المعركة بعد أن هدأت النفوس ، وحل التفكير في المصلحة المتوخاة من وراء المشروع محل الغضب .

لذلك أقيم للمشروع إدارة متواضعة داخل مبنى المعهد الديني الذي أنشأه الشيخ حمدان لتدريس الفقه المالكي ، وخريجوا هذا المعهد الآن يلتحقون بكلية الإمام مالك للشريعة والقانون التي أنشأها ويتولى عمادتها الأخ الفاضل الكريم الدكتور / عيسى المانع ، فهو صاحب هذه المبادرة المباركة التي أكرمني الله تعالى بالإشراف عليها وكيلاً لها لمدة عامين ، والتي سيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى

منذ عامين دعينا لحضور الاجتماع لافتتاح المشروع الكبير للمعهد الديني ولكلية جديدة أصدر الأمير قراراً بإنشائها ، ولإدارة مشروع الفقه المالكي بالدليل ، وذلك في مكان بعيد عن مدينة دبي ، على هضبة عالية ذات حدود معلومة ، وقد تصادف ذلك مع صدور كتابي (أوجز المسالك للإبانة عما أخذه القانون الفرنسي من فقه الإمام مالك ، والذي تحكم به مصر حاليا وإلى متى ؟)

وقد حملت منه مجموعة للتوزيع على أعضاء المجمع حتى يعرف الأخوة ومن حولهم سعة الفقه المالكي ، حتى أن نابليون طلب من علمائه بحمل عدد من مراجع فقه المالكية ، وطلب منهم في فرنسا صياغة القانون الفرنسي من كتب الفقه المالكي ليحل محل القانون الروماني الذي كانت تحكم به فرنسا منذ زمن بعيد ، وكان يسميه [قانون الأخلاق الإبراهيمي] وكان أشد ما يعجبه في الفقه المالكي هو شدته في منع التعامل بالربا ، وقد صدر هذا القانون في عام ١٨٠٤ م

وبسبب شدته في منع التعامل بالربا حاربه كبار المتعاملين به في أوربا من أمثال (روتشيلد) و جيشتْ الجيوش للقضاء عليه حتى هزم في عام ١٨١٥ م ,و اخذ أسيرا وحبس في جزيرة سانت هيلانة التي تحكمها بريطانيا .

هذا القانون بعد هزيمة نابليون أدخلت عليه كثير من التعديلات ، ثم جاء به إسماعيل باشا في مصر ليحل محل الحكم بالشريعة الإسلامية في المحاكم المختلطة عام ١٨٧٤ م ونقله من بعده توفيق باشا إلى المحاكم الأهلية عام ١٨٨٤ م .

هذا الاجتماع ملأ قلوبنا بالأمل بأن المشروع للتدليل على مسائل الفقه المالكي سيرى النور قريبا ، خصوصا قلة من الباحثين انتهوا من عملهم وسلمت الأعمال لمقر المشروع ، وقد طبعت هذه البحوث طبعة تجريبية وأرسلت إلينا والى غيرنا من المتخصصين في الفقه المالكي ليقولوا رأيهم في هذا العمل الكبير ، والباقي إن شاء الله سيصل تباعا بتوفيق الله تعالى .وقد بادرت بالاستجابة لطلبات الملحين من طلاب العلم : بعرض ما وصل إلينا من الطبعة التجريبية عليهم وأتحنا لهم الفرصة ليصوروا النسخة الجديدة ليتابعوا شرحي عليها لكتاب الشرح الصغير ، ثم ليراجعوا الأدلة التي ذكرها الباحثون على المسائل الواردة في الشرح الصغير وذلك في درس أسبوعي بمسجد الشيخ الدردير.

وأسأل الله عز وجل أن يمن علينا بإتمام العمل بهذا المشروع المبارك ، وأن ينفع به كل من ساهم فيه بقول أو عمل أو نصيحة ، كما أسأله أن يشرح صدور طلاب العلم لينتفعوا به وينفعوا به غيرهم أنه قريب مجيب .

وكالتي لكلية الأمام مالك للشريعة والقانون بدبي :

في احدى سفرياتي إلى دبي لمتابعة مشروع [الفقه المالكي بالدليل] التقيت بالشيخ عيسى المانع وذلك في بهو فندق التاج ، والذي كنا قد تعارفنا من قبل تعارفا سريعا، إذ به يعرض عليّ قبول وكالة الكلية ، وبما أنها تحمل اسم الإمام مالك رضي الله عنه فقبلت على الفور ، لكن أوقفت هذا القبول على موافقة كلية الشريعة والقانون وإدارة الجامعة والمجلس الأعلى للأزهر ، إذ نشأتْ محبا للنظام منذ بداية حياتي العلمية .

تقدمت بالطلب كالمعتاد لهذه الجهات وبينت فيه : أن هذه إعارة قومية لأني استوفيت حقي في إعاراتي ولم يتوقف الطلب إلا في المجلس الأعلى للأزهر ، إذ رفض جميع الأعضاء الموافقة ماعدا شيخ الأزهر الذي أبدى موافقته مخالفا بذلك كل أعضاء المجلس .

عدم الموافقة من أعضاء المجلس تتفق مع القرار السابق من شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي ، إذ لابد أن تكون الجهة التي تطلب السنة القومية معترفا بها من جامعة الأزهر ، وهذه كلية جديدة لا عهد لجامعة الأزهر بها .

لكن ما خالف كل التوقعات موافقة شيخ الأزهر على الإعارة مع أنه صاحب القرار السابق والصادر باسم أحمد علي طه ريان وذلك بعدم السماح له بالإعارة القومية .

أما السبب – حسب ما أتذكره- أني في كل كتاباتي ضد الشيخ في الصحف كانت ضد القضايا والتصرفات الصادرة من الشيخ والتي كنت أرى

أنها ليست من مصلحة المعاهد الأزهرية لكن مع الاحتفاظ له بلقبه الكريم ورياسته لي ولغيري ، وعدم وصفه بما كان يصفه به الإخوان الذين كانوا يشاركونني الرأي ، لكن بعبارات لائقة ، ثم إعطاؤه ما يستحق من التكريم ، إذا حدث لقاء في حفل عام ، فمثلا بعدما سمح بفتح المشيخة لحفلات عقد القران وكنت أدعى لبعض هذه المناسبات وكان هو يدعى لأن يقرأ صيغة العقد ، فلو كنت في الصف الأول وهو الغالب ؛أقف إذا دخل من الباب احتراما لمنصبه ، وكان هو رحمه الله إذا رأى ذلك يخطو إليّ ليسلم عليّ قبل أن يصعد على المنصة لتوثيق العقد ، وأمثال تلك التصرفات التي لم تصل بما حدث من بيننا إلى حد مرحلة الحقد والضغينة ، لذلك انعكس ذلك على بعض تصرفاته معي ، ومن ذلك مخالفته لكل أعضاء المجلس الأعلى بالموافقة على سفري في إعارة قومية لأكون وكيلا لكلية الإمام مالك للشريعة والقانون بدبي والحمد لله رب العالمين

سافرت إلى دبي ومعي ابني عبد الرحمن أصغر أولادي الذكور نظرا لتعثره في دراسته في الثانوي في مصر قائلا : لعل بُعده عن شلة الشباب من حوله في مصر يجعله يهتم بمستقبله ، وكان موقف إدارة التعليم هناك ، عدم قبول عبد الرحمن في إحدى المدارس الحكومية هناك ، مما ألقى في قلبي محبة عظيمة لمصر ، وكأني أشعر بذلك لأول مرة ؛ كان موقف الإدارة هناك أن مدارسها خاصة بأبناء المواطنين ، أما أبناء العاملين الأجانب وأنا واحد منهم فأمامهم المدارس الخاصة فتعجبت؛ دولة غنية تقصر مدارسها على أبنائها فقط ؛ إنني هنا أرعى أبناء المواطنين بمقابل زهيد لأن الكلية خاصة، والمدرسة الخاصة تتقاضى عن الطالب في الصف الأول الثانوي ثلاثة عشر ألف درهم ، فامتثلت للقرار والله تبارك وتعالى يتولاني ،وبعد أن تكلفت تفصيل الملابس

الخاصة بالمدرسة ، لم يذهب إليها إلا أربعة أيام أو خمسة ثم انقطع كعادته في مصر ، طلبت إلغاء قيده بالمدرسة مع إعادة المبلغ المدفوع فأعادوه إلي بعد خصم حوالي ألف وثلاثمائة درهم منه .

ثم تساءلت مع نفسي ومع غيري ؛ لماذا تفتح مصر قلبها قبل أن تفتح أبواب مدارسها ومعاهدها وجامعاتها لأبناء الشعوب جميعا من العرب والمسلمين وكل أجناس الأرض دون مقابل يذكر ؟

مصر هذه الدولة ذات التسعين مليون والتي تئن تحت وطأة همومها ، ومع ذلك أبواب العلم لديها مفتوحة على مصارعها لكل طالب ، من ذكر أو أنثى مسلم أو مسيحي من العرب أو من غيرهم .

العلم في مصر كالماء الزلال يتاح لكل راغب ولا يرد عنه طالب ظامئ ،هؤلاء الذين يجلسون على كراسي الإدارة في معظم دول الخليج معظمهم إن لم يكن كلهم قد تلقوا العلم في مصر ، والقلة منهم تعلموا في بلادهم لكن على أيدي المعلمين المصريين الذين استقدموا بأجور متواضعة ، ولكنهم تركوا ثمرات يانعة في كل الأماكن التي تواجدوا فيها ،

وعرفت من زملائي في الكلية هناك ، أن أبناءهم يدفعون بالعشرين ألفا والثلاثين في الكليات الخاصة بهذه الإمارات ، وكأنهم يتقاضون مرتباتهم بأيمانهم ثم يردونها إليهم بشمائلهم ، لذلك أرجوا من المولى جل علاه أن يشرح صدور القائمين على التعليم هناك بأن يفسحوا المجال لأبناء الطبقات الكادحة التي تركت أوطانها لتنال شيئا من العيش وليقدموا خدماتهم إلى أبناء تلك الإمارات ، وليسلكوا مسلك مصر ، هذه هي الدولة الفقيرة التي أتاحت فرصة التعليم لكل راغب فيه دون تكاليف تذكر ، وعلى أية حال كان عبد الرحمن يذاكر هناك ويؤدي اختباره في القاهرة.

مباشرة عملي في الكلية :

كان الشيخ عيسى المانع رحابه واسعة فلديه في معظم الأوقات طلاب في الدار يتلقون العلم منه ، ولديه حديقة فسيحة بها العديد من الحيوانات التي كان لنا نصيب في الاستمتاع بها ؛ إما بلحمها حيث يذبح منها ويطهى لإفطار الصائمين وأنا منهم ، وإما من حليب النوق الصغيرة وله طعمه الخاص وكنا نُتحف منه في رمضان ، كما أن له ديوانه من الشعر العربي ، وله تعلق بالمصطفى عليه الصلاة والسلام فيحب تكرار الزيارة وغير ذلك من المشاغل الكثيرة ، لذلك كانت الكلية ليست شاغلُه الوحيد بل كانت جزءاً من مشاغله ، لذلك اعتبرت نفسي مقيما بالكلية من الساعة التاسعة صباحا وحتى بعد صلاة العشاء ، وليست لي مشاغل في السكن حتى أذهب معظم الوقت إليه ، وكان ذلك مرضيا للشيخ عيسى ، لأني أرعى كل شئ يحتاج إليه في الكلية سواء مع البنين أو مع البنات ، وشعر الجميع بالقرب مني ، وأنا كنت قريبا من الجميع بحمد الله تعالى .

حتى أصحابي ومعارفي ومن يسأل عني ، يأتي إليّ في الكلية والباب مفتوح للجميع ليس عليه حجاب ، وحتى في القضايا الخاصة ، فمثلا تأتيني سيدة مصرية باكية تشكو من زوجها فهو طيار وله مكانته واحترامه ، وهي ذات قوام وجمال ، وشكواها أنها دخلت ذات يوم فوجدت زوجها الطيار الهمام نائما مع خادمتها من البلاد الشرقية مع أنها متزوجة وزوجها يعيش معها هناك .

فسبحان الله العظيم حتى البلاء له ألوان ؛ قد يغتر به بعض الغافلين عن الله تعالى حيث يترك الزهور اللامعة ذوات الروائح الطيبة ، ويدخل إلى

الأعشاب المنتنة ذوات الأشواك اللاسعة ليستمتع بروائحها المنتنة وليحس بلسعات أشواكها اللاذعة .

فنحمد الله تعالي الذي عافانا مما ابتلى به بعض خلقه ، أنه رءوف رحيم .

كان العدد في السنة الأولى لا بأس به ، وتناقص في بداية السنة الثانية حتى تحدث بعض الموظفين على أن هناك تفكيرا في تفكيك الكلية وتوزيع طلابها على بعض الكليات والجامعات الأخرى ، فتأثرت من سماع هذا القول وانتابني شئ من الحزن ، لكني بعد ذلك بقليل رأيت فيما يرى النائم ؛ وكأن ضوء الشمس الأصفر وخيوطه الذهبية الممتدة يخرج من أسفل العمارة التي تقام فيها الكلية ، وينتشر في الأرجاء الواسعة . فأدركت بأن هذه الرؤيا تحمل البشرى إليّ بأن العلم الذي يدرس هنا مثله مثل ضوء الشمس ، لابد وأن يستمر ، وأن أضواء العلم الصادرة من هذه الكلية ستنتشر على مساحة أوسع مما قدّر لها ، فالحمد لله رب العالمين ذهبت هذه المخاوف من قلبي وواصلت جهودي فيها ، حتى جاءت الأشهر الأخيرة من العام الثاني ، حيث تدخل في إدارة الكلية بعض الموظفين القدامى الذين كانوا يعملون تحت إدارة الشيخ عيسى المانع أيام عمله في إدارة الأوقاف ، وبدأوا يتدخلون في بعض أعمال الكلية الإدارية التي كنت أباشرها ، فضاق صدري من ذلك ، والشيخ عيسى مشغول في مجالاته المختلفة ، فصارحته بذلك حين عزمت على الرحيل وأمام المشكو في حقه فلم يحرك ساكنا .

وأحمد الله تعالى أني أديت واجبي في هذا العمل ، بما يرضي الله تعالى حتى أني آثرت الجلوس هناك حتى لا أتخلف عن الكلية يوما واحدا ، وأرسلت إلى زوجتي أم مصطفى ومعها ابنتي رقية التي كانت صغيرة في حاجة إلى رعاية فجاءتني هناك وقضت معي عدة أيام عادت بعدها إلى

القاهرة ، وتكرر ذلك في السنة الثانية ، وكان كل ذلك على حسابي لم أكلف خزينة الكلية التي كانت خاوية شيئا .

والحمد لله رب العالمين أن كانت العلاقة بيني وبين الشيخ عيسى يسودها دوما الاحترام ، بل والإكرام لي ثم التقدير الذي لا حدود له قد حاول أن يجلس إليّ ليتلقى شرحا في الفقه المالكي ولم يستطع أن يداوم على ذلك لكثرة مشاغله حيث جلس بعض الحلقات فقط .

كما أن ابنته كانت متزوجة ولكنها آثرت أن تحصل على شهادة من الكلية ، وقد جلست إليّ يوما قبيل الامتحان وطلبت إليّ على استحياء أن تعرف شيئا عن الأسئلة التي وضعتها لامتحان الفقه المالكي ، وقد كففتها عن ذلك في أدب ، وأنا متأكد أنها لم تستشر والدها في ذلك .

الفصل العاشر

الرحلة إلى أوزباكستان

السبب الحقيقي وراء هذه الرحلة سيعرض في منتصف الحديث عن مجريات هذه الرحلة ؛ أما السبب الظاهري : الإداري والعلمي والديني فهو كما يلي :

بعد خروج مجموعة من الدول التي كانت تحكم بالنظام الشيوعي في روسيا حين كانت تسمى حينذاك بالإتحاد السوفيتي ، وفي بداية التسعينات وربما قبلها بقليل ، قام ويلسون بانقلاب على النظام الشيوعي وتفتت الإتحاد السوفيتي وخرجت الدول الراغبة في البعد عن النظام الشيوعي عن هذا الإتحاد ، وأعلنت استقلالها السياسي والديني والاجتماعي ، ومن هذه الدول [أوزباكستان]

طالب الكثير من المسلمين والمسلمات في هذا البلد العودة إلى الأحكام الإسلامية والالتزام في تصرفاتهم في ألوان حياتهم المختلفة بالشريعة الإسلامية ، ومن هذه الأحكام ؟ هل يجوز شرعا تنظيم النسل ؛ وكان هناك تاجر مسيحي مستنير وفّر لهم العقار الذي يمكن من خلاله تنظيم النسل ، إلا أن المجتمع هناك طالب بأن يسمع رأي الدين في ذلك من أطباء مسلمين ويا حبذا لو كانوا من الأزهر الشريف ، تلك المؤسسة العالمية التي تحمل راية الشريعة الإسلامية منذ أكثر من ألف عام ، وقد أبدى هذا التاجر موافقته على استقدام الطبيب المسلم الأزهري ، ولكن الدكتور عبد الفتاح الشيخ أراد أن يقدم لهم دليلا ماديا على أن هذا الطبيب وإن كان يلبس الملابس الإفرنجية لكنه أزهري بدليل أن في صحبته شيخاً أزهرياً يلبس اللبس الأزهري ، وكان الطبيب يسمى مراد ، وهو متوسط السن .

في مساء يوم جمعة جاءتني رسالة على تليفون المنزل بأني سأسافر إلى دولة [أوزباكستان] يوم الاثنين صباحا فتساءلت عن الإجراءات والتأشيرة فقيل لي ، لا تشغل نفسك بشئ من ذلك ما عليك إلا أن تحمل حقيبتك

وجواز سفرك فقط ؛ ما هذا السفر العاجل ومن الذي يتولى عمل تلك الإجراءات ، وكيف أحصل على تأشيرة الدخول ثم الرحلة ليست متواصلة بل هي على مرحلتين ، المرحلة الأولى من مطار القاهرة إلى مدينة اسطنبول في تركيا وذلك في ساعتين ، ثم استراحة لعدة ساعات هناك في المطار حيث تحملنا طائرة إلى مطار مدينة طشقند بأوزباكستان في خمس ساعات متواصلة شمالا حتى تصل إلى هناك ؛ هذه المعلومات عرفتها فيما بعد ، ولكن التفكير بها قبل السفر شغلني .

حملت حقيبتي وجواز سفري وانطلقت إلى مطار القاهرة وكأني انطلق إلى المجهول .

ومن المفارقات : أننا وجدنا المطار يكاد يكون خاليا على غير المعتاد ، وإذا بموظف يأتي إلينا ويقول : اليوم يوجد استفتاء على رئاسة الدولة وعندنا صندوق الاستفتاء بالمطار وبمقابل صوت كل واحد منكما سيحصل على مبلغ عشرة جنيهات وسندوتش لحم ، فضحكنا معا على هذا الثمن المعروض مقابل الموافقة على تمديد الرئاسة لمدة خمسة أعوام لمبارك.

وهنا يثور التساؤل ؟ إذا كان ثمن الصوت يساوي عشرين جنيها ؛منها عشرة نقدا ، وعشرة ثمن سندوتش اللحم ، فحتى يضمن الفوز الساحق لابد أن يحصل على خمسين مليون صوت ، وبحسبة بسيطة لابد أن يقدم حوالي مليار جنيه حتى يضمن الحصول على كرسي الرياسة ، وعلى فرض تم ذلك كيف يستعيد هذا المبلغ مدة رياسته ؟ وتتوالي التساؤلات .

بعد ساعتين كنا في مطار اسطنبول بتركيا ظللنا هناك حوالي خمس ساعات ، ولكن نظافة المطار مذهلة تذهب لقضاء الحاجة في المرحاض ، وأنت في طريقك إليه تشتم الروائح الطيبة وكذلك في العودة .

صعدنا إلى الطائرة المتجهة شمالا لمدة خمس ساعات متواصلة حتى هبطت في مطار طشقند وهو مطار متواضع ينبئ عن حالة المجتمع والمرحلة التي يمر بها ، كانت الساعة السادسة صباحا حين هبطت الطائرة هناك ، وجدناهم جاهزين لاستقبالنا وأتموا إجراءات وصولنا ورحلنا الى الاستراحة المعدة لنا ، وتناولنا الفطور في سرعة حتى نلحق بالمؤتمر أو قاعة الدرس التي يحضرها غالبا السيدات ، سواء كن طبيبات أو حكيمات يباشرن الولادة ، فأدى الدكتور مراد ما عنده في موضوع تنظيم الأسرة ، وبدأت الأسئلة في معظمها تتجه إليّ ، وكنت جاهزاً للإجابة عليها بحمد الله تعالى ، واستمر الحوار حتى الساعة السادسة مساءً دون استراحة لأن المؤتمر كان يوما واحدا ، ثم بعد الساعة السادسة وجه إلينا رئيس مستشفى في سمرقند الدعوة لزيارة المستشفى هناك في اليوم التالي ، كما وجهت إلينا الدعوة لسهرة مع أحد الوزراء هناك ، فقبلنا الدعوة لزيارة سمرقند ، وبينها وبين طشقند ثلاثمائة كيلو متر ، أما الدعوة للسهرة مع الوزير فاعتذرت عن قبولها لأن التعب والإرهاق قد بلغ مني مبلغا كبيرا لأني أتحرك لمدة ست وثلاثين ساعة متواصلة دون نوم أو استراحة ، ووافق الدكتور مراد على قبول دعوة الوزير وذهب إلى مكان السهرة وعدت إلى الاستراحة للعشاء وأداء صلاة اليوم والنوم استعدادا للسفر إلى سمرقند في اليوم التالي .

حملت سجادتي في يدي ودرت في الاستراحة لأجد أحدا يدلني على جهة القبلة فلم أجد ، فطبقت القواعد الشرعية في مثل هذه الحالة .

صحونا مبكرين وتناولنا الإفطار المعد في الاستراحة حوالي الساعة الثامنة صباحا وركبنا السيارة التي اتجهت بنا إلى سمرقند فوصلنا بعد الظهر ، وجلسنا مع الطبيبات والحكيمات وبعض الأطباء وأجبنا لهم عن أسئلتهم ،

وسألنا عن دار نائب المفتي وذهبنا إليه في مكتبه واسمه مصطفى عبد الملك ، وكان قد نال شهادته من جامعة الأزهر ، ويتكلم اللغة العربية بطلاقة ، وحدثنا عما كان يفعله رجال السوفييت في التجسس عليهم ليرصدوا حركاتهم وهل يصلون أو لا ، وكان والده حريصا على أداء الصلاة ، فكان إذا بدأ الصلاة توضع له مائدة الطعام بجواره ، فإذا طرق الباب ترك الرجل الصلاة واتجه إلى مائدة الطعام .

وجاء في حديث الشيخ مصطفى عبد الملك ذكر الإمام البخاري ، وأنه مدفون في قرية خرتنك على بعد عشرين كيلو متر من سمرقند ، عندئذٍ طلبت منه أن يدلنا على قبره لزيارته فقالت الرفقة معي : الوقت غير مناسب والشمس على المغيب ، فقلت : سافروا أنتم وسألحق بكم بعد قيامي بزيارة الإمام البخاري وصممت على ذلك ، وأخيرا رافقوني في الزيارة .

لماذا صممت على زيارة الإمام البخاري ؟

نعم من حقي التصميم على هذه الزيارة ، لأنها أمنية عاشت في قلبي قرابة العشرين عاما .

الحكاية من أولها :

وقعت في يدي قصة طويلة للأستاذ نديم الجسر قبل هذه الرحلة بحوالي عشرين سنة ، وقرأت في منتصفها ، أنه كان يوجد فيلسوف بمضيفة الأمام البخاري في خرتنك ، فكان يأتيه شخص يعيش في المزرعة ليتلقى عنه مبادئ الفلسفة ودار بينهما حوار طويل ، كما تكرر اللقاء بينهما فمنذ تلك اللحظة جالت في نفسي ، أمنية زيارة الإمام البخاري ورؤية مزرعته ، وتناول بعض خيراتها .

لكن بتكرر الأيام والشهور والأعوام والانشغال الدائم بالأعمال في الصباح والمساء ، وإني ممن يعتبر الانشغال الدائم فضل وكرم من الله تعالى : لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :{ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ } . ولذلك كنت ولا أزال سعيدا بهذه المشاغل وأرجو أن تكون كلها في أعمال الخير إن شاء الله تعالى .

وأقول : بسبب هذا الانشغال الدائم نسيت هذه الأمنية العزيزة ، ولكن بعدما سمعت من الشيخ مصطفى بأن قبر البخاري في خرتنك وبيني وبينه عشرين كيلو متر فقط عادت تلك الأمنية بل انتقلت من أمنية فصارت رغبة ملحة لا يستطيع أحد أن يثنيني عنها أو يحول بيني وبين تحقيقها ، وطلبت من الشيخ مصطفى أن يأخذني ومن أحب من المرافقين معه إلى قبر الإمام البخاري ، وعشت في سعادة غامرة في تلك اللحظات أو الدقائق ونحن في طريقنا إلى رؤية قبر الإمام البخاري في خرتنك ، لقد طافت بي معاني وأحلام حتى وصلت إلى قناعة بأن المولى هو الذي منحني هذه المكرمة ،فحقق لي هذه الأمنية فهو عز وجل لا ينسى كما أنه بعباده رؤوف رحيم ، لكنه سبحانه أرجأها حتى حان سببها هذا عند الخلق وفي نظرهم ، أما عندي فهذا هو سبب رحلتي ، ولكن هذه المشاعر مكنونة داخل القلب لا يعلمها إلا هو علاّم الغيوب .

وهذه من سننه في كل خلقه ، ألم يحقق سبحانه أمنية كل من زوجة إبراهيم عليه السلام ، وأمنية زكريا عليه السلام بعد بلوغهما سن الثمانين عاما ، نعم إنه قياس مع الفارق الكبير بين أسرة نبي يعيش بكل مكنوناته في طاعة ربه ، وبين عبد عاجز يعيش حياته في قصور دائم عن شكر نعم ربه التي

أسبغها عليه ، منذ أن كان في بطن أمه ، ولا زالت نعمه تتوالى عليه ، كما تتوالى منه تعالى على بقية خلقه .

نعم : وصلنا إلى خرتنك ولكنها : قرية صغيرة ولا زالت صغيرة كما قرأت عنها ، ورأيت مزارع البخاري والعنب ، ودخلنا إلى المضيفة المتواضعة ، ولكنها نظيفة ، ثم منها إلى قبر الإمام في حجرة متوسطة لا سقف لها ، وقبر الإمام البخاري يرتفع عن الأرض بمقدار متر ونصف بالتقريب مسنّما بالطول ، مما يوحي بأن الإمام كان طويلا ، وفي نهاية التسنيم يوجد عمودان في كل جهة ، والكل بالطوب الأحمر المبني بإحكام ، وبعد السلام وقراءة ما تيسر من القرآن سمعت من الشيخ مصطفى ما يلي :

إنه ومعه زملاء في مثل سنه ومرحلته كانوا بعد العصر يأتون يوميا ليجلسوا للمذاكرة حول القبر ، وذلك لطيب الرائحة التي كانوا يشمونها بصفة دائمة طوال جلوسهم في المكان .

اللحظات التي قضيتها واقفا حول القبر لا تنسى ، والكلمات التي سمعتها من الشيخ مصطفى لا تمحى ، وما تناولناه من خيرات المزرعة في المضيفة وتذوقناه لا يذهب من الوجدان ، كل ذلك من فضل الله عز وجل على عبده العاجز المقصر في شكره تعالى .

ثم عدنا بعد الزيارة إلى مدينة سمر قند ، وسمعنا بعض أخبارها العظيمة من الشيخ مصطفى ، إذ قد دفن بها بعض كبار آل طاغية المغول الثاني تيمورلنك ونساء آل بيته ، والإمام الماتريدي ، وغيرهم من مشاهير القرون الخالية وهي البلدة التي ينسب إليها الإمام أبو الليث السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء في الفقه الحنفي .

وعدنا إلى مدينة طشقند والتي تنقسم من حيث العمارة إلى قسمين :
أحدهما : يملأ العين بنظام شوارعه الواسعة وما بها من حركة سريعة , وعمارات جميلة منسقة وحركة تجارية في كل مكان ، فمن يأتي إلى هذا القسم يشعر بأنه في العالم الحديث كل شئ به جديد . ومما يؤسف له أن هذا القسم كان لا يسكنه إلا الروس ومن اقترب منهم والتزم بخططهم وسار على منهجهم .

أما القسم الثاني : فهو عبارة عن مباني بسيطة لا يزيد غالبها على دور واحد ، ومبنى إما بالطوب اللبن أو بشئ من الطين المخلوط بالحجر الصغير وأغلبه مغطى بالبوص أو جريد النخل وما هو قريب من ذلك ، وهذا هو محل عيشة المسلمين في النظام السوفيتي ، ولم يكن العهد به بعيداً جدا أثناء زيارتنا، ورأينا ذلك بالتفصيل حين عزمنا على زيارة المفتي في مكتبه وهو خريج كلية اللغة العربية من الأزهر الشريف ، فاضطررنا أن نمشي في كثير من الحواري والأزقة لنصل إلى مكتبه ، نعم كان مكتبه نظيفا منسقا وأتذكر أنه قدم لتحيتنا ثلاث أصناف ، الشاي البارد بدون سكر ، وزجاجة من المشروبات الحديثة ، وعصير ، و لك أن تشرب الجميع كما لك أن تختار واحدا من هذه المجموعة .

ثم دخلنا المسجد فعجبنا لسعته وحسن بنائه ونظافته ومواسير المياه الساخنة والباردة به ، كل ذلك لا يتناسب مع العمران الذي من حوله .

وبذلك انتهت الرحلة بعد أن استغرقت حوالي أربعة أيام ، حيث ركبنا الطائرة التي طارت بنا لمدة خمس ساعات لنهبط في مطار اسطنبول وبعد عدة ساعات قضيناها هناك ركبنا الطائرة التي أوصلتنا إلى القاهرة والحمد لله رب العالمين .

الفصل الحادي عشر

مساهمتي في الأعمال الخيرية العامة

أولا : مساهمتي في رابطة أبناء قامولا الخيرية

أِشرت من قبل إلى طبيعة الانزواء على النفس التي كانت تسيطر عليّ ، فحياتي لا تخرج عن مجال عملي المكلف به ورعاية بيتي فوجدت في ذلك راحة في نفسي وزيادة في نشاط تخصصي مما جعلني مشكورا في عملي وبين زملائي .

لكني وجدت في نفسي رغبة أني أشترك في ثلاث أعمال خيرية ، منها : اشتراكي في جبهة علماء الأزهر ، وقد سبق أن بينت ذلك بمناسبة رحلتي الأولى إلى أمريكا .

أما العمل الثاني ، فهو الاشتراك في عمل رابطة لأبناء قامولا بالقاهرة ، ولم تكن في مخيلتي أني سأكون رئيسا لهذا التجمع ولمدة تزيد على أربعين عاما حتى الآن وقد بلغت من العمر عتيّا .

أول من حمل الراية سعدي محمد يوسف؛ يعيش في روض الفرج وتزوج من احدى الجاليات الصعيدية هناك حتى صار جزءا منهم ،وكان يرتزق من عمل الشاي في الشارع وتدميس الفول ، وقد تمت دعوتي لأول مرة للتفكير في مشروع الرعاية والذي يتلخص فيما يلي :

حالة الوفاة في الصعيد عندنا تستوجب وقوف جميع العائلة ومن يتعاون معهم من العائلات الأخرى في مواساة عائلة المتوفي ، من حيث إحضار الكفن وخياطته وتغسيل الميت ووضعه في كفنه ، ثم إحضار خشبة النعش لوضعه فيها وحمله بالتناوب حتى مثواه الأخير ، ويكون قد سبق إخطار الفحّار (التربي) بذلك ليحفر له قبره ، ثم تلقي العزاء لمدة خمسة عشر يوما من أهل البلدة والبلاد المجاورة ، وقد اختصرت هذه المدة الآن إلى ثلاثة أيام .

أما هنا في القاهرة فصاحب الميت يجد نفسه وحيدا في مهمة كبيرة تحتاج إلى جهود عدد كبير من الناس لإنهائها ، ومنها الحاجة إلى جهاز مكون من كفن

وأدوات تغسيل وحمل ثم الى مكان ليدفن فيه مع أتعاب السيارة التي ستحمل النعش ، وقد حضر معنا المرحوم كامل العبد الذي كان موظفا، والذي كان له دور مؤثر في المشروع وانتهى الاجتماع إلى القرارات الآتية :

١- يتولى أحمد علي طه ريان رئاسة الرابطة التي ستنشأ للقيام بهذا المشروع،وكنت وقتها معيدا في الكلية.

٢- يتولى سعدي محمد يوسف أمانة الرابطة

٣- يكون مقر الرابطة مؤقتا في منزل سعدي محمد يوسف

٤- يكون الاشتراك قيمته عشرة قروش شهريا لكل عضو

٥- على رئيس الرابطة بعد تسجيلها أن يتقدم لإدارة الجبانات بالمحافظة في ميدان عابدين لتقديم طلب بتخصيص قطعة أرض لبناء مقبرة [لرابطة أبناء قامولا الخيرية – مركزي الأقصر وقوص] ، وذلك لأن قرى قامولا تصل إلى ثلاثين قرية صغيرة وكبيرة ، ولها أربع عمد اثنان بالغربي قامولا والقبلي قامولا،ويتبعهما عدد من القرى وكلها إداريا تابعة لمركز الأقصر، كما يوجد اثنان من العمد في الأوسط قامولا والبحري قامولا ويتبعهما عدد من القرى وكلها تابعة لمركز قوص ، ولكن الجميع يشتركون معا في الأفراح والأتراح .

يسّر الله تعالى لنا التسجيل في الشئون الاجتماعية ، وبناء على ذلك تقدمت بطلب تخصيص قطعة أرض بمنطقة الوفاء والأمل قدرها مائة وعشرون مترا لبناء مقبرة بها لمن يتوفى من أبناء تلك البلاد في القاهرة .

ومع الذهاب المتكرر وكانت الرسوم قليلة، صدر القرار بالتخصيص لبناء المقبرة ، ولكن أين التكاليف التي تتعدى الثلاثة آلاف جنيه لبناء المقبرة ،

وظللنا طويلا في التفكير في كيفية تدبير هذا المبلغ وأخيرا جاء الفرج لكن بشروط .

توجد عائلة كبيرة أصلها من أحدى قري الصعيد في الجبل ،يسمى كبيرهم أنور عبد المولى ذهبت إليهم وجلست مع الأخ الأكبر الذي كان سببا في هذا الخير الكبير الذي يعيشون فيه ، فهم متخصصون في بيع الأدوات الصحية في تجارة واسعة ،حتى أنهم بنوا عمارة كانت من أكبر عمارات المنطقة ، وعرضت على الحاج أنور عبد المولى المساهمة في بناء المقبرة فهم في الأصل ينتمون إلى تلك البلاد التي قامت الرابطة لخدمة أبنائها فعرض عليّ عرضا قبلته على مضض لأني لا أجد غيره .

اقترح أن نقسم قطعة الأرض التي تسلمناها إلى قطعتين كل قطعة منها ستون مترا ، هم وأقاربهم يأخذون قطعة ويبنونها لأنفسهم ويدفنون بها موتاهم ويقومون ببناء القطعة الأخرى لصالح أبناء الرابطة مقابل مبلغ خمسمائة جنيه فقط مساهمة من الرابطة في بناء المقبرة وتجهيزها وتسلم إلينا المقبرة بباب كبير والأبواب الأخرى التي يحتاجها المدفن ، وعرضوا علينا أيضا مقبرة لهم جاهزة تحت الأرض في منطقة كفر فاروق بناحية عين شمس كانوا قد بنوها وجهزوها ولكنهم لا يحتاجون إليها فهم يتنازلون عنها للرابطة بلا مقابل ، فقبلنا هذا العرض من الحاج أنور عبد المولى ، إذ ليس في مقدورنا شئ آخر وقد استفدنا بمقبرة كفر فاروق لقربها من المساكن وكثير من الناس يفضلون الدفن فيها لقرب زيارة أمواتهم بها .

الرابطة على وشك الانهيار ولكن الله سلم :

بعد مرور عدة أعوام على وجود مقبرتين للرابطة ، وكنا قد رفعنا الاشتراك الشهري إلى خمسة وعشرين قرشا ، تراخى المشتركون في الدفع ،

والأخ سعدي محمد يوسف ذهب بعائلته إلى السويس ، ونقلت مقر الرابطة إلى منزلي بالمطرية ، وتوقفت الاجتماعات الشهرية لمجلس الرابطة ، ولم نقدم آية محاضر للشئون خلال مدة طويلة تزيد على السنة .

وقد ابتدأ يدب اليأس إلى قلبي من استمرار الرابطة إلى أن أذن الله تعالى بالفرج ووسيلة الإنقاذ :

تليفون من السعودية من الأخ / أحمد عبد الفضيل والده من نقادة وهي بلدة قريبة من بلدتي ووالدته من السبخة تتبع القبلي قامولا يقول : أنا اشتريت عربية لنقل الموتى بقصد التبرع بها للرابطة ومرسلة إليكم عن طريق ميناء السويس ، فذهبت إلى ميناء السويس فوجدت السيارة قد وصلت فعلا ومطلوب خُمس الجمرك العادي – على ما أذكر – حوالي ألف جنيه لأنه كتب : أنها مرسلة لعمل خيري لوجه الله تعالى ، وكان ذلك إيذانا بالفرج وزوال اليأس من الانهيار الذي كان متوقعا .

لكن مطلوب خطاب من الشئون الاجتماعية أن الرابطة لا زالت تعمل حتى يمكن تسليمنا السيارة .

ذهبت إلى الشئون بالعباسية وبصحبتي الأخ / محمد مطعني الذي عيّن أمينا وسكرتيرا للرابطة ، وقد حل محل سعدي محمد يوسف الذي رحل إلى السويس للبحث عن فرصة أوسع للرزق ، كان محمد مطعني في كل تحركاتي كان مصاحبا لي .

لكن المفاجأة من المسئولة عن شئون الجمعيات الخيرية ؛بأنه لا يوجد عندنا رابطة أو جمعية بهذا الاسم ، إذ بعد النوم الطويل أتيتم لتسألوا عن رابطة أبناء قامولا – خلاص لا توجد عندنا هذه الرابطة ، حاولنا التفاهم معها وكانت مسيحية متشددة ، رفضت كل مناقشة في الموضوع .

ذهبنا إلى مكتب المدير العام هناك واسمه طلعت وكان رجلا لطيفا لكنه لا يملك تغيير قرارات المسئولة السابقة ، وإنما نصحنا بأن نذهب إلى مجمع التحرير لمقابلة الأستاذ إمام وكيل وزارة الشئون الاجتماعية .

اتجهنا إلى ميدان التحرير ، ووصلنا إلى الأستاذ إمام وعرّفناه بأن السيارة محجوزة بالجمارك ولا يمكن الإفراج عنها إلا بخطاب من الشئون الاجتماعية ؛ بأن الجمعية قائمة ولا زالت تعمل وكان رجلا لطيفا ، فأمر بكتابة خطاب للجمارك بالإفراج عن السيارة لأنها أرسلت لعمل خيري والرابطة لا زالت تباشر عملها .

وحملنا الخطاب معنا إلى ميناء السويس ، وسلمنا الخطاب للمسئول عن الجمارك وتم الإفراج عن السيارة وتسلمناها وجهزناها لحمل نعش الميت مع راكبين مع الميت واخترنا لها سائقا ليتم الترخيص باسمه .

واتخذنا بعد ذلك القرارات الآتية :

١- إن سيارة الرابطة بسائقها تحمل نعش الميت من بيته أو من المستشفى الذي توفى به إلى احدى مقابر الرابطة أو آية مقابر يرغب أهل الميت في دفنه هناك وبدون مقابل ، وإذا رغب أهله في دفنه في مسقط رأسه في قريته فإن سيارة الرابطة بسائقها تحمله إلى هناك مقابل مبلغ متواضع يستطيع أن يدفعه أهل الميت .

٢- إذا سلم صاحب الميت تصريح الوفاة للجمعية فإنه يدفع له مبلغ مائة جنيه لمساعدته في مصاريف عزائه .

٣- إن اشتراك الشخص يكون ساريا له ولزوجته ولأولاده القصر ، أما البالغون فعليهم الاشتراك باعتبارهم مستقلين

٤- إن أجر السائق تتكفل به الرابطة كما تتكفل بالإنفاق على السيارة ، من ترخيص وصيانة وتأمين ، وذلك من الاشتراكات الشهرية أو التبرعات

٥- إن الفحّار أو التربي الذي يتولى الدفن تتولى الرابطة التعامل معه .

وبهذه القرارات انتعشت الرابطة خصوصا بعد أن سمحنا بقبول الاشتراك من غير أبناء قامولا ممن يرغب في الدخول في الرابطة .

بعد هذا الانتعاش أنشأنا مقبرتين أخريتين ، أحداهما في مدينة السادس من أكتوبر وقد تكفلت الرابطة بالإنفاق عليها وذلك تيسيرا على أهالي المتوفين بالجيزة وما حولها من الأحياء ، ثم أنشأنا مدفنا آخر بالمرج وقد تكفلت الرابطة أيضا بالإنفاق عليه .

القرار الأعظم:

بعد النجاحات السابقة واتساع الاشتراك بالرابطة اتخذنا قرارا عظيما وهو شراء مقر مستقل للرابطة واتبعنا ذلك بفتح باب التبرع للمساهمة في ثمن هذا المقر، وقد وقع الاختيار على شقة مكونة من ثلاث غرف في الدور الثاني من عمارة الحاج إبراهيم أبو الحسن وكان الثمن مائة ألف جنيه لكنه تنازل عن عشرين ألفا وبذلك يكون ثمن المقر ثمانين ألفا من الجنيهات وكان من بين الإجراءات السابقة رفع الاشتراك إلى اثني عشر جنيها في العام ، وأوقفنا الاشتراكات الشهرية لعدم وجود محصلين بعد أن توفي المرحوم عبد السيد الذي كان يتولى التحصيل ،وصار الأخ محمد مطعني الوحيد الذي يقوم بالتحصيل .

تم سداد ثمن المقر على دفعات كبيرة لكنها بحمد الله قد سددت كلها وأصبح للجمعية مقر رسمي تنعقد فيه كل شهر كمجلس إدارة ثم اجتماع سنوي لجميع الأعضاء المشتركين لتتخذ فيه القرارات التي يحتاج إليها .

ومقر الرابطة : ٦ شارع عبدالله باشا بجوار موقف أتوبيس **٤٣** بعين شمس الغربية أو بجوار مسجد النصر التابع لجمعية عمر الفاروق الخيرية الإسلامية .

بعد عشرين عاما من عمل السيارة القادمة من السعودية رأينا أنها ليست كفاية للقيام بكل الواجبات فاتخذنا قرارا بشراء سيارة أخرى إلى جانبها ، وكان ثمنها مقسطا أيضا بمعرفة ابني مصطفى والذي تولى تجهيزها وساعد في ترخيصها بصحبة الأخوين ؛ محمد مطعني وأحمد عبد الفضيل . وأصبحت الرابطة تمتلك سيارتين لنقل الموتى سواء داخل مدينة القاهرة أو إلى خارجها في الأقاليم بأجور متواضعة يدفعها أهل الميت على حسب عدد الكيلومترات التي تقطعها السيارة .

وبذلك صارت الرابطة كأنها عائلة للمشترك حيث خففت عنه الكثير من الهموم والتي كان يشعر بها من كان لديه مصاب أليم

كلمة أخيرة

لقد تقرر أنه : يجب على من يريد الاشتراك أن يدفع مقدما مبلغ مائة وستين جنيها ، ثم الالتزام بالاشتراك السنوي الذي رفع إلى عشرين جنيها سنويا وذلك للقيام بالتزامات الرابطة سواء في صيانة سيارتيها وترخيصهما كل عام وضريبة السائق وأجرة الحانوتية الذين يقومون بتجهيز المدفن للميت، وغير ذلك من أجرة الكهرباء والمياه والعوايد لمقر الرابطة .

وفي النهاية أتقدم بالشكر لكل من ساهم في هذه الرابطة وساعدها في القيام بواجبها سواء بالتبرع أو بالكلمة المخلصة ، والشكر دائما موصول للأخ محمد مطعني الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالرابطة فجزاه الله خيرا .ونرجو من

الله أن يتقبل مني ومن إخواني هذه الجهود المتواضعة التي بذلت في هذا المجال ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه قريب مجيب

ثانيا : مساهمتي في جمعية عمر الفاروق الخيرية الإسلامية بعين شمس الغربية

بعد أن يسر المولى جل علاه في التحاقي بكلية الشريعة والقانون ، حيث عينت معيدا بها في عام ١٩٧٤ م وكنت انتقلت للسكن في عين شمس الغربية بشارع فتحي الأدبس ، كانت صلاتي في مسجد صغير في شارع مجاور اسمه شارع عبد المقصود قنديل : عرضه حوالي ثلاثة أمتار وطوله سبعة أمتار تقريبا ، وقد منّ الله على المسجد بإمام صالح اسمه الشيخ عيد لم يكن يحمل شهادات لكنه كان قارئا جيدا في كتب العلم ، فكنا نجتمع عقب صلاة المغرب داخل المسجد أو على مصطبة خارج المسجد ونتخير كتابا من كتب الحديث أو الفقه ، وكان يقرأ ومن حولنا يسمع ، وكنا غاية في السعادة بذلك ، حيث شغلنا أنفسنا بالصلاة ثم بالقراءة أو السماع للعلم ، ومن تكرار الجلوس معا حصل بيننا ترابط أخوي وديني ، حتى لو غاب واحد من المجموعة نسأل عنه من باب الاطمئنان عليه ، كما منّ الله عليّ بالقرب من المسجد حيث استأجرت شقة في بيت الشيخ محمود حسين منصور .

وبعد سنوات قليلة قد تكون في حدود ثلاث سنوات ؛ يفاجأ الأخوة بعد صلاة العصر بصاحب البيت الذي به المسجد الذي تصلى فيه الجماعة في أوقاتها الخمس وتصلى فيه الجمعة بقيامه برمي الحصر المفروشة وإلقائها في الشارع ، فلما بلغني الخبر خرجت مسرعا إذ أن المسجد قريب من بيتي بل في مواجهته ، وإذا بي أجد الحصر ملقاة في الشارع فجلست بهدوء بجواره وسألته

: لما فعلت ذلك ؟فقال بهدوء : أنا عاوز زباين جدد للصلاة في المسجد ، وحاولت تهدئته وإعادة الحصر الى مكانها لكن دون جدوى .

والحكم الشرعي في مثل ذلك : أنه ليس من حقه أن يفعل ذلك لأن المسجد إذا كان له باب مفتوح إلى شارع عمومي ودخله بعض الناس للصلاة به صار وقفا لله تعالى ، وذهبت عنه ملكية صاحبه ، لكنني لم أحاول الدخول إليه من هذا الباب وهو لن يستسلم لذلك لأني سبق وأن رأيته وقد سحب أحد المصلين الشباب أثناء صلاته وألقى به خارج المسجد ، والرجل تعدى المائة عام وله أولاد كبار ، فحتى لا نفتح باب الشر قلت ممن حضر من الشباب أن يحملوا الحصر ويفرشوها في أرض فضاء واسعة كانت على الجانب الآخر من شارع ترعة الجبل .

فرش الشباب الحصر هناك وصلينا المغرب عليها . نعم هي أرض فضاء لكن الشمس بالنهار لن تسمح لنا بصلاة الظهر والعصر في هذا المكان ، فماذا نفعل حتى نعيد التجمع مرة أخرى وحتى نعود إلى ما كنا قد تعودنا عليه ، بعد الصلاة جلسنا نتشاور في الخطوة التالية وأخيرا استقر رأينا على أن نسقف مكان الصلاة بستارة من البوص لحمايتنا من الشمس بالنهار وكانت المساحة مائة متر وقبل أن ننهي الاتفاق على ذلك إذ مر بنا الحاج عفيفي عبد الغني وكان رجلا تقيا لكنه مشغول بتجارته الواسعة وقل أن يحضر صلاة الجماعة بسبب أعماله وقد دفعه الفضول إلى النزول من سيارته ليرى ماذا حدث في الحي !وما سبب ذلك التجمع في تلك الساحة وقد عهدها خالية ، ولم ترك الناس المصلى في المسجد الذي تعودوا عليه وصلوا في هذا المكان ؟

المهم : حكيت له ما حدث من صاحب المصلى وقد قررنا إقامة مصلى بسيطة مسقوفة بالبوص على مساحة مائة متر لنصلي فيها الأوقات الخمسة .

فقال على الفور : إني كنت نويت أن أتبرع لمسجد عليش في نهاية الشارع بخمسين جنيها فأنا أعطيكم هذا المبلغ ليساعدكم في تنفيذ فكرتكم هذه ، وركب سيارته وانطلق بها إلى قضاء مصالحه .سعدنا بهذا المبلغ الذي سينهي لنا تنفيذ المصلى الذي ستكون أكبر من المصلى التي كنا نصلي بها وذلك في وقت قصير .

في صباح اليوم التالي خرجت من المنزل متجها إلى الكلية وإذا بي أفاجأ بالحاج عفيفي قد ملأ حجره بالجير وإذا به يخطط مساحة أربعمائة وستين مترا على أنها ستكون المصلى الجديد فصحتُ فيه ! ما هذا يا حاج عفيفي ؟ كيف نستطيع إقامة مصلى على هذه المساحة الكبيرة ؟

فقال بهدوء : وسع بيتك والعمار على الله . النهاردة إيه ؟ قلت الثلاثاء ، قال : إن شاء الله سنصلي الجمعة في هذا المكان . فتركته وانصرفت وأنا في غاية الانشغال وذهبت إلى الكلية وحينما عدت وجدت طوبا وبوصا في المكان ، وفي اليوم التالي وجدت البنائين للجدار الذي وضع عليه البوص ، كما وجدت عددا من مواسير المياه لغرس طلمبة لتسحب المياه من الأرض للوضوء ، وكل ذلك لم يدفع أحد له شيئا ، فقد تكفل وحده بكل هذه النفقات .

وفعلا ، أقيمت صلاة الجمعة في المكان الذي أعد لذلك وسط تجمع كبير؛ ما بين سعيد ومتعجب ومستغرب ، أما السعادة فكانت من نصيب المجموعة التي طردت من المسجد القديم ، وأما التعجب فكان من نصيب عدد من أهل المنطقة الذين تعجبوا من سرعة إقامة هذا المشروع في فترة وجيزة جدا ، وأما الاستغراب فكان من نصيب الغرباء من المنطقة الذين فوجئوا بمسجد في أرض فضاء تعودوا أن يروا فيها لعب الكرة من شباب الحي .

الخطوات الكبيرة القادمة :

ذهبت النشوة وجاءت الفكرة ، هذه الأرض لمن ؟ وهل من حقنا إقامة مسجد على أرض لا يعرف لها صاحب ؟ وماذا نفعل إذا جاء مالك الأرض وهدم هذا المسجد أو أتى لنا بالشرطة التي ستقوم بذلك ؟ وتكاثرت التساؤلات ؟؟

بداية الخيط : يوجد عامل بسيط فلاح نحيل البدن يعيش في عشة صغيرة مقامة على طرف الأرض اسمه شحاته ، هاتولنا شحاته هذا الرجل الضعيف العجوز وقد قيل في الأمثال – يوضع سره في أضعف خلقة – ياعم شحاته ! أنت هنا منذ متى ؟ من سنين طويلة . هل عندك فكرة عن صاحب هذه ألأرض ؟ قال : أيوه أساسا هذه الأرض كانت جنينة عظيمة وبداخلها فيلا لصاحبها المهندس أحمد كان مهندسا لخزان أسوان زمان وكنت أعمل في هذه الجنينة ، ولما مات المهندس أحمد سافر أولاده إلى أمريكا وقام المحامي الذي كان يشتغل مع المهندس ببيع الأرض للحكومة وأزيلت الأشجار حتى سور الجنينة هدم ، وتركوا المكان خاليا . فقلنا له : ما دام أنت عندك كل تلك المعلومات وكنت تشتغل في المكان خليك في عشتك و هنعتبرك غفيرا على المسجد وعلى ألأرض ونعمل لك مساعدة وسُرّ الرجل بذلك .

هذه بداية الخيط ؛ وعلينا أن نمشي معه !

بداية الخيط : هو أملاك المحافظة ، وما أدراك ما أملاك المحافظة ؟

استعد الحاج عفيفي بسائق سيارته وانطلقنا نحو المحافظة أمام قصر عابدين وسألنا عن إدارة أملاك محافظة القاهرة ، وإذا به في الطابق الثاني أو الثالث وإذا بنا ندخل على قاعة متسعة الأرجاء بل تصل مساحتها تقريبا إلى مثل مساحة الأرض الفضاء التي أقمنا في جانب منها المسجد على مساحة

أربعمائة وستين مترا ، وبها مجموعة كبيرة من المناضد ، وعلى كل منضدة مجموعة من الخرائط والموظفون يتحركون هنا وهناك بين هذه المناضد .

أخذنا نتحرك بين هذه المناضد ونسأل الموظفين الذين يحومون حولها , هذا يشير إلى ذلك وذاك يشير إلى آخر وهكذا في عدد من الرحلات إلى هذا المكان حتى توصلنا الى الجهة التي تعرف حقيقة هذه الأرض والمصير الذي انتهت إليه .

مصير هذه الأرض الذي قدره الله تعالى لها:

منذ سنوات كان قد صدر قرار من محافظة القاهرة أو وزير النقل والمواصلات أو بالتشاور بين الطرفين يتضمن أمرين هامين :

أحدهما : استبدال الخط الحديدي الذي يخرج من القاهرة إلى منطقة المرج بخط مترو .

ثانيهما :إيجاد شارع بعرض خمسة وعشرين مترا على يسار هذا الخط الذي يبدأ من ميدان رمسيس إلى المرج وذلك في مدة خمسين سنة ، بحيث أن المبنى المقام على مسار هذا الشارع خلال المدة إذا هدم لسبب ما فلا بد أن يتراجع إلى الخلف مسافة خمسة وعشرين مترا وبعد هذه المدة تزال هذه العوائق بحكم القانون .

ومن هنا قامت المحافظة بشراء هذه الأرض بعد أن خلت من سكانها بشراء الأرض عن طريق محامي الورثة المتواجدين في أمريكا بسعر المتر خمسة عشر جنيها ، ثم وضعت لها خطة لتحويلها الى متنزه للمنطقة ، بعد استبعاد المساحة المخصصة للشارع المزمع إقامته في الخطة الخمسينية .فقلنا لهم : إنا أقمنا مسجدا بالأرض لكن بعيدا عن المساحة المخصصة للشارع المراد إقامته على امتداد خط المترو .

والحقيقة التي يستريح لها قلب المؤمن في هذا البلد أن كلمة مسجد تعني الاحترام ، وإذا ترتبت مشكلة في إقامة المسجد – أي مسجد كان – تبذل الجهود المخلصة لتفادي الإضرار بالمسجد ، وبهذه المناسبة اتصلت بي الشركة المنفذة لخط المترو والذي يمر بالعتبة وعلى شارع ستة وعشرين يوليو وقد ووجهوا بمسجد مقام على جانب الشارع وملاصق له ولا يمكن التنفيذ إلا بإزالة المسجد فقلت لهم : يمكن إزالة المسجد ليكمل خط المترو لأنه منفعة عامة ، لكن قبل إزالة المسجد عليكم إقامة مسجد بديل قريب منه بنفس مساحة المسجد المزال .

في إدارة الأملاك :

طلبوا تقديم التماس بالموضوع بالتفصيل إلى جهة الإدارة عندهم ، والإدارة ترفعه إلى إدارة أعلى والمهم في النهاية صدر قرار المحافظ بتخصيص تسعمائة وتسعين مترا من هذه الأرض لإقامة المسجد عليها .

هذه العملية التي اختصرتها في سطور قليلة أخذت مني ومن الرجل المخلص الحاج عفيفي عبد الغني تغمده الله برحمته عاما ونصف العام، وقد كانت نهاية هذا الرجل طيبة ، فبعد أن توقفت التجارة عاد إلى قريته بالعمار وكانت له قطعة أرض كان قد اشتراها أيام رواج التجارة فقسمها إلى قسمين : قسم بنى عليها مسجدا وقسم بنى عليه دارا ثم انشغل بجوار ذلك بمشروع كفالة اليتيم حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى وقد ترك في القاهرة منزله لابنه الوحيد وأخواته البنات وهم جميعا مستورون والحمد لله رب العالمين .

قيام جمعية عمر الفاروق الخيرية الإسلامية :

بعد الفرحة العارمة بقرار المحافظة بتخصيص الأرض لإقامة المسجد جلسنا نفكر في كيفية البداية لإقامة هذا المشروع .

هذا المشروع الكبير لا بد له من كيان إداري قوي يتولى التخطيط له وبيان المراحل المتعددة التي سيمر بها حتى يصبح حقيقة واقعة ثم رعاية هذا المشروع بعد إقامته .

حينئذ بدأ التفكير في إقامة جمعية خيرية وقد وفقنا لاختيار الاسم العظيم كعنوان على تصميمنا على إقامة المشروع ورعايته فحددنا الاسم المقترح للجمعية وهو [جمعية عمر الفاروق الخيرية الإسلامية] ثم تم الاختيار والموافقة على تشكيل الجمعية من خمسة عشر عضوا أتذكر منهم ما يلي :

١- د/ أحمد علي طه ريان رئيسا ، ٢- الشيخ محمود حسين منصور نائبا للرئيس ، ٣- الحاج على الإسكندراني أمينا للصندوق الذي به حصيلة الجمعية ، ٤- حسين شاكر محصلا لجمع التبرعات ، ٥- الشيخ عبد العزيز رحمه الله سكرتيراً للجمعية ، وعضوية كل من محمد سالم ، والحاج سيد الأعسر ، وعبد المقصود قنديل وغيرهم ، وقد انضم الى المجلس بعد ذلك عدد من الناشطين في خدمة الجمعية منهم الشيخ محي الدين عبد الباقي بعد انتهاء عمله بمحافظة القاهرة ، والحاج رضا مدبولي ، والحاج فؤاد أبو بشير وجمال وحسن صابر والشيخ منصور ومنير والمكاوي ومحسن وناجي وغيرهم ....

كيفية التحصيل للمبالغ الكبيرة التي يقام بها المسجد :

انصب التفكير في إقامة المسجد الذي صدر قرار المحافظة بالموافقة عليه ثم بعد ذلك يأتي التفكير في المشروعات الأخرى التي تعتبر ملحقة به .

تم تقسيم التحصيل إلى خمسة طرق وكلها في النهاية تصب في حصيلة الصندوق :

الطريقة الأولى : طبع دفاتر باشتراكات شهرية يقوم بعض الأخوان بتحصيلها .

الطريقة الثانية : وضع صناديق أمام المسجد وبداخله لوضع التبرعات بها .

الطريقة الثالثة : على إمام المسجد أن يجعل في نهاية خطبته كلمة يحض المصلين فيها على التبرع ويجلس بعض الإخوان بعد الصلاة أمام المنبر ليتلقوا التبرعات السريعة من المصلين .

الطريقة الرابعة : أن يقوم بعض أهل الخير بإمساك صناديق بأيديهم ويتقدموا بها إلى الذاهبين والقادمين من المارة ليضعوا ما يجودون به في فتحة الصندوق المغلق ومفتاح قفله في أمانة المسجد .

الطريقة الخامسة : يقوم كبار الجمعية بالمرور على أهل الخير من أهل اليسار ليشرحوا لهم ظروف المنطقة وحاجتها إلى هذا المشروع الكبير ، وعدم القدرة على تكاليفه ، فلعل الله تعالى أن يشرح صدورهم ليقدموا مبالغ كبيرة تساعد على قيام المشروع وكانت هذه اللجنة مكونة من الحاج على الإسكندراني والحاج محمود حسين منصور والحاج عفيفي ، وأحمد ريان ، وقد قامت هذه المجموعات كلها بما كلفت به ، وأتت بثمار طيبة كان لها أثرها في سرعة إنهاء المشروع بحمد الله تعالى .

من المفارقات التي حدثت أثناء هذه الرحلة :

ذهب أهل الطريقة الخامسة الى أحد أصحاب رؤوس الأموال الذي يسكن في فيلا فاخرة تحيط بها الأشجار الغناء على شارع ترعة الجبل العمومي وكان يبدوا على مظهره التدين والالتزام بسنة اللحية ، فاستقبلنا في حديقة الفيلا بالترحاب ، وابتدأ يتحدث عن نفسه وأنه دعا مغنية تسمى فايزة أحمد

لتلقى أغنية واحدة أخذت مقابلها خمسمائة جنيه ، وأنه أهدى ابنته يوم عرسها سيارة جديدة ماركة [فولفو] بتسعة آلاف جنيه ، وهذه الأسعار كانت قبل أربعين عاما ، وبعد أن انتهى من أحاديثه بدأنا الحديث عن مشروع المسجد ومدى الحاجة إلى إنهائه بسرعة لحاجة الناس إليه ونحن شرفنا بالقدوم إليه ليساهم معنا في المشروع ، فما كان منه إلا أن رفع صوته يطلب استقدام خادمة المنزل ، فلما جاءت قال لها : هاتي المحفظة فأمسك بأربع ورقات فئة العشرة جنيهات ، وقال هذا ما في المحفظة ومد يده بها ، فنظر بعضنا إلى بعض في لحظات قليلة فأخذناها وانصرفنا وفي قلوبنا كلام كثير لم نشأ التصريح به حينذاك

في هذه السنوات الأخيرة كلما مررنا على هذه الفيلا التي صارت خرابا والأشجار التي ماتت والجدران التي تهدمت ترجع بي الذاكرة إلى تلك الجلسة ، فلعل الله أن يغفر له إنه بعباده غفور رحيم .

في مقابل هذا الموقف يأتي رجل فقير قد ناهز الستين من عمره من أهل الحي ، ويريد أن يقدم المساعدة للمشروع ، بأن يحمل صندوقا كغيره ليجمع فيه تبرعات المسجد ويقف به عند موقف الأتوبيس ، قلنا : لا بأس خذ صندوقا وأجمع فيه ما تيسر لك ، وبعد شهور وشهور في القيام بعمله خير قيام يصاب في رجله إذ يدهسها عجل أحد الأتوبيسات فيقرر الطبيب بتر الجزء المصاب في رجله .

قمت ومن معي من الأخوة بزيارته في بيته ، وهو يتعافى من آثار العملية فوجدناه منشرح الصدر وضحك معنا ، فخرجنا من عنده مع إحساسنا بالراحة لأن الرجل لم يشعرنا بأنه نادم على ما كان يقوم به من عمل في خدمة المشروع فحمدنا الله تعالى .

ومن المفارقات في هذه المرحلة ، أني كنت خارجا من بيتي يوم الجمعة متجها إلى الأزهر لأسمع خطبة الشيخ الغزالي واستمتع بدرس الشيخ صالح الجعفري إذ بالأخوة في المنطقة يعترضوني ويخبروني بأن الشيخ الذي كان مؤديا لخطبة الجمعة لن يحضر و لا يوجد من يخطب وطلبوا مني أداء خطبة الجمعة بالمسجد فذهبت إلى المسجد لأخطب دون استحضار عناصر الموضوع الذي سأتحدث فيه ، فتذكرت الحديث المشهور " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " . وقد فتح الله تعالى علي وبدأت الكلام عن الصلاة باعتبارها أعظم ركن بعد الشهادتين وقبل الانتهاء من الكلام على الصلاة لأدخل في الكلام عن الزكاة وإذا برجل طويل عريض أسمر اللون على خفيف؛ ينتصب واقفا ويقول بصوت عال وهو وسط المسجد المزدحم : إذا كنت أخذت تتكلم نصف ساعة عن أحد الأركان الخمسة فمتى تنتهي من الخطبة وقد بقى الحديث عن الأركان الأربعة الباقية ؟ فقلت له تفضل اجلس ، إني أعرف أن الرجل يجلس أمام التليفزيون ليشاهد لعب الكرة بالساعات وكذلك يجلس ليسمع التمثيليات والأفلام بالساعات ولا يستطيع أن يجلس ليسمع خطبة الجمعة . واكتفيت بالكلام عن الصلاة في الخطبة الأولى ،واختصرت الكلام في الخطبة الثانية ، وأنا ألوم نفسي أولا : لإطالتي الخطبة وعذري أني لم أكن مستعدا لتحضير عناصر الخطبة ، وإذا حدث الطول من بعض الخطباء وهم كثير فينبغي على المصلي المسلم أن يتحمل لأنه يسمع درس علم .

والحمد لله استطعنا أن نجمع تكاليف إقامة المسجد ، وقام الحاج عفيفي مع أخيه الذي يأتي خصيصا من العمار ليساعده مع بعض العاملين

بالأجر ، حتى تم وضع القواعد و السملات ووصلنا إلى مرحلة السقف وهذه تحتاج إلى مهندس ومقاول ، المهندس يرسم المطلوب ويحدد التخانة المطلوبة ، وعلى المقاول وعماله التنفيذ حسب الرسم الموضوع من المهندس .

لكن لم نوفق في مقاول قوي ، فاتفقنا مع مقاول من الناس الطيبين لكن من يتعامل مع فئات العاملين في هذا المجال لا بد وأن يكون صلبا قويا حتى يحترم من عماله ويسمعوا ما يقول وينفذوه كما يريد.

لذلك كان العمال يفعلون ما يريدون عمله ولا يخضعون لأوامره ، ثم يرفعوا أصواتهم بسبب الدين لكل من يحاول أن يلزمهم بعمل لا يريدونه مما تسبب في ترخيم السقف : بمعنى أن السقف سميك في مكان وضعيف في مكان آخر ومن هنا أصبح في السقف ضعف في بعض مواضعه وليست فيه التسوية العامة التي تجعله متساويا بعضه مع بعض ، وظهر ذلك حين جاء موعد فك الخشب الذي ربط لرمي السقف عليه .

حصول الاختلاف في الرأي :

قال بعض الأخوة نأتي بمهندس على مستوى عال وصاحب خبرة كبيرة نستشيره فيما نفعله ، وفعلا حضر المهندس الكبير اسمه فؤاد : من الجانب الشرقي من سكة المترو وقال يمكن العلاج بوضع بعض الأعمدة المساعدة للمواضع التي ضعف فيها السقف وقال أشياء أخرى لا أتذكرها ولكن في مقدورنا أن نفعل كل ما قاله .

البعض وافق والبعض قال : لا داعي إحنا نعمل المسجد في الدور الأرضي ونوقف العمل بالدور الثاني لكن استقر الرأي أخيرا على عمل المسجد في الدور الثاني بعد عمل الإصلاحات التي أشار بها المهندس

،ويخصص الدور الأرضي لبعض الخدمات وقد أحضرنا كل ما يتعلق ببناء المسجد والدور الأول من الحديد والأسمنت .

مفارقة عجيبة :

بعد أن أزلنا ستارة البوص وجهزنا الأرض للمباني حدثت لنا مفارقتان عجيبتان ولكن الله عز وجل سلّم في الأمرين :

المفارقة الأولى : كنا نصلي الصبح في الجهة الشرقية القريبة من سكة المترو لأن الجهة الغربية على شارع ترعة الجبل مشغولة بالكميات الكبيرة من ملفات حديد التسليح والأسمنت والطوب الأحمر ، وكنت إماما بالناس وكانت الأعداد كبيرة وبعد السلام من الصلاة وجدنا كميات كبيرة غائبة من أكياس الأسمنت ولفات الحديد ، فغضبت من الحارس الذي كان مقيما في عشة داخل الأرض هو وزوجته وأولاده .

المهم أخذ بيدي ونظرنا في الشارع فوجدنا آثار عجل عربة كارو فتتبعنا أثار العجل من شارع إلى شارع إلى حارة حتى وصل بنا الأثر إلى عزبة الصعايدة وكان الحارس يعرف صاحب المنزل الذي انتهت آثار العجل عنده فنادى عليه باسمه فأطل علينا من الدور الأعلى الثاني أو الثالث وقال له : يا فلان أثر عجلات العربية توقف أمام بابك ، والسلام عليكم .

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا من نفس اليوم تأتي العربة محملة بأكياس الأسمنت ولفات الحديد وتوضع في المكان الذي أخذت منه فتعجبت من سرعة الفعل ثم الاستجابة دون اتخاذ آية إجراءات وكأن شيئا لم يحدث .

المفارقة الثانية : كنا نبذل الجهود في تحصيل التبرعات من كل اتجاه كما أشرت إلى ذلك من قبل قليل ، وكنت جالسا في المكان للاطمئنان على الكميات التي جمعناها ، وإذا بشاب فوق الثلاثين عاما يأتي إليّ مسلمًا ويعرفني

بنفسه وأنه وكيل أحد المقاولين الكبار قائلا : لقد انتهينا من بناء عمارة ضخمة جدا في المهندسين بالزمالك وقد بقيت كميات كبيرة من الحديد والأسمنت لذلك جئت إليكم لتستفيدوا من هذه الكميات الكبيرة في هذا المشروع .

فرحبت به جدا وشكرته على تعبه وتفضله بالمجئ وتحمله هذه المشقة الكبيرة وسيجد الجزاء عظيما من رب العالمين ، فركبنا تاكسي إلى عين شمس للبحث عن عربة كارو كبيرة تستطيع نقل هذه الكميات الكبيرة فلم نجد ، وأخذنا تاكسي مرة أخرى إلى ميدان المطرية فوجدنا عربة كبيرة صالحة للقيام بهذه المهمة .

وضعت يدي في جيبي لإخراج النقود لأعطي العربجي أجرته مقدما أو مبلغا كبيرا من أجرته فلم أجد إلا جنيها واحدا فأعطيته إياه ، وقلت له إن شاء الله سأعطيك أجرك بعد نقلك لهذه الكميات التي سيسلمها لك هذا الرجل وعدت إلى مكاني في المشروع في انتظار كميات الحديد والأسمنت التي ستأتي من المهندسين دون مقابل .

وبعد قليل يأتيني من ميدان المطرية من يقول لي : إن هذا الشخص الذي ادعى أنه وكيل أحد المقاولين شخص نصّاب ، وأنه كان ينتظر تسليمك الأجرة لصاحب العربة ليتقاسمه معه ثم يعيده من بعض الطريق بعد أخذ نصيبه من هذه الأجرة دون أن يسلمه شيئا .

فقلت : اللهم لك الحمد والشكر ! لقد حفظت مالي بخروجي من المنزل دون نقود وليست هذه عادتي كما أنه تعالى كذلك يستحق الحمد والشكر ، إذ خيب مسعى هذا الإنسان الشاب القوي الذي يريد امتصاص دماء الناس وعرقهم دون أن يبذل جهده ليعيش منه .

وبهذه المناسبة توجد مفارقة أكبر من هذه وإن كانت خارجة عن نطاق الجمعية لعلها تعطي خبرة لبعض الناس ذوي النوايا الطيبة:

كنت مشغولا بكتابة بعض البحوث وإذ يأتيني تليفون عاجل من فرنسا بصوت شاب إفريقي يتكلم اللغة العربية بلكنة إفريقية يقول : إنه وزوجته قادمان من أمريكا يحملان دعوة لي لزيارة أمريكا ، ولكن التذكرة التي سنصل بها إلى القاهرة قد ضاعت من زوجتي ولا نملك ثمن هذه التذكرة وثمنها عشرة آلاف فرنك وقيمتها بالجنيه المصري ستة آلاف جنيه وأننا في أشد الحاجة لهذا المبلغ وأرجو أن يصلني قبل الساعة الثانية بتوقيت القاهرة . فسألت زوجتي ؟ فقالت ليس عندنا إلا ألفين من الجنيهات ، طلبت منها أن تتصل بمعارفنا حتى يمكننا إنقاذ هذا الرجل وزوجته ، فأخذت تتصل بكل من تظن أنه يستطيع إنقاذ الموقف ، المهم : كان المبلغ قد تجمع لدي الساعة الواحدة فركبت التاكسي وبعد أن وصلت إلى روكسي قريبا من البنك الذي سأرسل منه ، طلبت منه أن ينزلني أمام المنتزه الصغير لأن لفته في الطريق ستأخذ وقتا أطول ، وأخذت أجري حتى وصلت الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر ، وإذا بالبنك قد أغلق أبوابه ، كانت الدقائق الخمس هي الفارق وهي التي أضاعت عليّ الفرصة لإنقاذ هذا الرجل وزوجته .

عدت إلى المنزل وجدته يتصل بي فشكوت إليه الظرف الذي حال دون وصول المبلغ إليه فشكرني على اهتمامي ، وبعد أيام قليلة لقيت الدكتور صلاح الصاوي المقيم في أمريكا فقصصت عليه الحكاية ، فقال : إن هذا إنسان نصّاب ، وبعد أسبوعين التقيت بالدكتور محمد رأفت عثمان ، وحكى لي نفس البرنامج بالضبط ولكنه كان أذكى مني فاعتذر عن هذا الإنقاذ من البداية .

لكني حمدتُ ربي وشكرتُه على حمايتي من حسن نيتي المختلطة بشئ من عدم دقتي في النظر إلى المآلات ، وقد قال علية الصلاة والسلام (لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين) .

وفوجئت بدعوة من الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة لأعمل هناك عقدنا اجتماع مجلس الإدارة للموافقة على تولي الشيخ محمود حسين منصور إدارة الجمعية مدة غيابي ، وبعد عودتي في العام الأول وجدت نقلة كبيرة للمسجد حيث أقيم بناؤه خارج نطاق التخصيص الذي حصلنا عليه من المحافظة وأقيم بجواره دار للمناسبات أيضا خارج نطاق التخصيص من المحافظة ، عملت من نفسي أنني غير منتبه لهذا التغيير ، لأن الفأس وقعت في الرأس وانتهى الأمر، وأي كلام سيثير مشاكل وبما أن الأرض هي ملك للمحافظة والمحافظة ساكتة : والسكوت أحد علامات الرضا ، وسارت الأمور في هذا الاتجاه والمبنى الذي كنا قد أقمناه من قبل قد استخدم لحضانة الأطفال تحت رعاية الجمعية ، والدور العلوي أكمل منه معظمة واستخدم مستشفى ، والفراغ البحري بجوار المخابرات قد عملت به حديقة لأطفال الحضانة .

المشاكل التي ترتبت على الضم وكيف حلت :

صدر قرار عام من الدولة بضم جميع المساجد إلى وزارة الأوقاف بما ذلك المساجد والزوايا الصغيرة تحت البيوت بما في ذلك المسجد الصغير تحت منزلي الذي سميته مسجد الرحمة .

وكان السبب : هو أن بعض الشباب المتهورين ومعهم بعض المتشددين من السلفيين كانوا يستغلون منابر هذه الزوايا والمساجد الخاصة لبث بعض الأفكار التي تتنافى مع حالة الاستقرار التي تريد الدولة إشاعتها في البلاد ،

فكان العلاج هو وضع هذه المساجد وتلك الزوايا تحت وصاية وزارة الأوقاف ؛ ومن ذلك مسجد النصر التابع لجمعية عمر الفاروق الخيرية الإسلامية ، فلما جاءت اللجنة وذلك في غيابي عاينت المسجد وبجواره دار المناسبات فاعتبرت أن جميع هذه المساحة هي مسجد النصر بما في ذلك دار المناسبات ، وقد أصدر الإمام الجديد عدة قرارات تحدد رسوم دار المناسبات وكيفية فتحه ومن يتولى رعايته مما كان يثير حفيظة مجلس الإدارة .

بعد أن علمت سطرت عدة شكاوى في الخطأ الذي وقعت فيه اللجنة باتخاذها هذا القرار ، كما قمت ببعض الاتصال بمن أعرف من الوزارة ، وأخيرا صدر القرار من وزير الأوقاف بأن الضم قاصر على ساحة المسجد ودورة المياه فقط ، وكان يوما حاسما حيث تجلت الفرحة على وجوه الجميع كما اغتم المسئولون في المسجد من الوزارة بذلك .

بعد عودتي من الإعارة ؛ أي بعد أربع سنوات جاءني الشيخ محمود حسين منصور طالبا أن يتخلى عن رئاسة الجمعية فاعتذرت ، وعقدنا الاجتماع في بيته من باب الإلزام له ، ولكنه كرر الاعتذار عدة مرات فقبلت الرئاسة مرة أخرى وتكرر ذلك في كل سفرية سافرتها للخارج إلى أن عدت نهائيا.

وحتى بعد أن تقدمت في السن وأنا أحاول الاعتذار ، بل وأيدني في ذلك رئيس الجمعيات في وزارة الشئون الاجتماعية ولكن الأخوة مصرون على بقائي ، وإلى الله تعالى المشتكى وهو المعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حالة الجمعية الآن :

من بداية قيام الجمعية وخدمة أهالي الحي ومعظمهم من الفقراء أو متوسطي الدخل من أهداف الجمعية،

لذلك جعلنا جهة حساب خاص بها حتى يمكن ضبط حركتها ارتفاعا وانخفاضا ، كما كانت أسعار التعامل متدنية جدا ويكفي أنها تكفي نفقاتها ، وأن أعضاء الجمعية كغيرهم في هذا التعامل نعم قد تتحرك الأسعار إلى الأعلى قليلا مع حركة التضخم الذي سيطر على البلاد منذ سنوات .

لذلك يوجد إقبال في التعامل مع كل الأقسام في الجمعية سواء في دار المناسبات أو في الحضانة أو المستشفى إلى ما قبل ثلاث أو أربع سنوات ، فإن المستشفى يحقق خسارة لكنها خسارة طفيفة من ألف إلى ثلاثة آلاف جنيه والسبب في ذلك تعامل الأطباء مع المستشفى في الحضور والغياب ، وبالرغم أننا حددنا أدنى أجر لكل طبيب فإذا لم يجد زبائن أو كانوا قلة فإن الجمعية تعوضه ، ومع ذلك يكثر الغياب ، وعادة أن المريض إذا جاء للطبيب في يوم ولم يأت الطبيب لم يعد إلى المستشفى مرة أخرى بل وينشر هذا الخبر مع التعميم بأن الأطباء في هذه المستشفى لا يحضرون .

لذلك : استعنا بالدكتور وائل المتخصص في التوليد ، في البداية قام بمجهود كبير في تحسين مظهر المستشفى بياضا ونظافة وتغييرا في نظام العيادات ، ولكنه رفع الأجر حتى وصل إلى أربعين جنيها في بعض التخصصات لكن مع ذلك وجد الإقبال على المستشفى وعاد إلى حركته كما كان أيام الدكتور عبدالله عجينة أول مدير لها ، ثم مع إدارة الدكتور العزازي معظم وقته .

مشكلة الجمعية مع الدكتور وائل :

له جهده في تهيئة المكان ومن يستضيفهم من الأطباء بدليل هذا الإقبال الذي تحسن بعد إدارته ، لكن مشكلته الكبرى أنه يريد إجراء عمليات الولادة بكل درجاتها الصغرى وهى الولادة الطبيعية ، والوسطى وهي الولادة

المتعسرة والتي تحتاج إلى جهد كبير ليتم الوضع ، والكبرى وهي ما يسمى بالولادة القيصرية وهذه لا يصرح بها إلا في المستشفيات الحكومية أو الخاصة الكبرى والتي حصلت على تصريح بذلك ، أما المستشفى الخاص بالجمعية بالرغم من أنه يحوي أكثر من عشر عيادات ، ولكنه محسوب من المستوصفات و لا يصرح فيه بالعمليات الكبرى ، بينما هذه تمثل شهرة للدكتور وائل كنا أنه يفرض دفع مبلغ أكثر من ألفي جنيه ولا يقيد في الدفاتر إلا ثلاثمائة وثلاثين جنيها .

هذا الحي الفقير كيف يكلّف بهذا المبلغ الكبير: وأين يذهب هذا المبلغ إنه يقول : إنه يعطي منه أجرة التخدير وأجرة الطبيب المعاون له في التحضير والولادة .

إني ذكّرته في أكثر من لقاء ؛بأن هذا عمل خيري ، وأنه إنما يتعامل مع رب العالمين ، فلا يبيع آخرته بدنياه .

إني حريص عليه لأنه استطاع أن يعيد الحركة في المستشفى حتى وإن طمع في شئ ، علينا أن نغض البصر عنه ، لكنه بمجازفته بإجراء العمليات الكبرى بدون ترخيص ؛فإنه يعرضنا للمساءلة القانونية ويعرض المستشفى للإغلاق .

هذه معضلتنا مع الدكتور وائل ، وإلا نوافق له على ذلك فيطالبنا بنفقات الإصلاح التي تكبدها في المستشفى والتي قدّرها بمائة وثلاثين ألفا ثم تنزل إلى سبعين ألفا : فمن أين يؤتى له بذلك المبلغ والمستشفى حتى الآن لم تتحسن ميزانيته بالرغم من عودة الحركة إليه ، والله تعالى هو المستعان وله الحمد في الأولى والآخرة وهو بعباده رؤوف رحيم .

والحمد لله قد أراحنا الله تعالى منه ، بعد أن أغلق المستشفى حتى يدفع له ما طلب ، وتم اخلاؤه في منتصف شهر فبراير ٢٠١٦ ويحاول الأخوة إعادة العمل بالمستشفى ، ونرجو من الله التوفيق ، إنه بعباده لطيف خبير .

الفصل الثاني عشر

نظرات في العلوم التي اتصلت بها تدريسا أو تأليفا ومدى تفاعلي معها



سبقت مني إشارات إلى بعض هذه العلوم بمناسبة الرحلات التي خرجت فيها للتدريس في الجامعات الخارجية ، لكنني عقدت هذا الفصل لأجمع فيه شتات حياتي العلمية

فمن المعلوم أني تخصصت في الفقه المقارن ، لأن الفقه المالكي وإن كنت أحبه إلى درجة العشق - لكنني وجدت الزملاء في الدفعة يميلون إلى تخصص الفقه المقارن ، وهذا النوع من الفقه عرف من قبل بفقه الخلاف ، حيث كتب فيه الإمام ابن جرير وعندي جزء من كتابه في ذلك ، كما كتب فيه الإمام الطحاوي الحنفي ، والإمام الشاشي في حلية العلماء في مذهب الشافعي ، والإمام ابن قدامة في المغني في الفقه الحنبلي وابن رشد الحفيد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه المالكي ، وكل هؤلاء كانوا في القرن السادس وما قبله.

ثم حدثت فجوة كبيرة لعدة قرون انشغل الناس فيها بفقه مذاهبهم وزادهم انشغالا بذلك ظهور المختصرات في المذاهب سواء كانت نثرا أو رجزا ، وانشغال تلاميذ واضعي هذه المختصرات ، وكذلك أحفادهم ومن جاء بعدهم بشرح هذه المختصرات ما بين موجز في عبارات شرحه فظهر الكتاب في مجلد أو مجلدين ، لكن البعض الآخر توسع في الشرح حتى وصل بعضها الى مائة جزء كما فعل بعض المالكية في شرحه لكتاب ابن الحاجب [الجامع بين الأمهات] ومنهم من حاول الجمع بين هذه الطرق ، التوسع أو التوسط والإيجاز وكذلك فعل الغزالي في شروحه لكتاب لإمام الحرمين ، وذلك في كتبه : { البسيط ، الوسيط ، الوجيز } وكذلك فعل بهرام في شرح المختصر لشيخه الشيخ خليل بن اسحاق ، حيث كتب عليه شروحه الثلاثة { المطول ، الوسيط ، الوجيز } وتخطى الجميع : الإمام أبو الحسن الشاذلي

المالكي المنوفي حيث شرح رسالة ابن أبي زيد ست مرات ، على درجات متفاوتة في التوسع والإيجاز حتى وصل إلى شرحه الأخير الذي درسناه في السنة الثالثة والرابعة في الابتدائي – كما كانت تسمى في النظام القديم – وقد أتيحت لي الفرصة في الإطلاع على معظم هذه الشروح بصحبة أخي الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان بمكتبة المدينة بجوار الحرم المكي القريبة من باب السلام ، وهي غير مكتبة مكة أو مكتبة الحرم الكبرى التي تطل على باب الملك عبد العزيز .

وانصراف فقهاء كل مذهب إلى الانشغال بمذاهبهم وإشغال تلاميذهم به ، ثم تعظيم الحديث عن فقهاء المذهب ، ثم تعظيم جهودهم في بناء المذهب جعل الفقهاء المحدثون يتعصبون لمذاهبهم وأن كلا منهم يعتبر أن مذهبه هو المعتبر وأن أدلته هي الأقوى ، ومن لا يفعل ذلك فهو مستهين بمذهبه ، بل وربما غضوا الطرف عنه ، كما فعل فقهاء الحنابلة ، فإنهم لا يعتمدون على كتاب [المغني] في أحكامهم وفتاواهم ، وما سبب ذلك إلا أن الإمام ابن قدامة رحمه الله رجّح بعض الآراء المخالفة للمذهب في كتابه لقوة أدلتها وضعف أدلة المذهب .

لذلك منذ تسعين عاما تقريبا قرر الإمام الأكبر:الشيخ المراغي مادة الفقه المقارن للتدريس في كلية الشريعة بجامعة الأزهر ليقضي على روح التعصب التي كانت تسري بين الفقهاء .

وكلمة (فقه مقارن) تعني أن الطالب يدرس المسألة على كل المذاهب الفقهية عند أهل السنة ثم التعرف على أدلة كل مذهب ، ومناقشة هذه الأدلة لمعرفة مدى صحتها وقوتها ، ومدى صدق دلالتها على موضع النزاع ، ثم يرجح الرأي الذي تظهر له قوة دليله ، وبعضهم يزيد على ذلك حيث يذكر

أدلة الترجيح مثل تغيير العرف ، أو شدة الحاجة إلى العمل به لمصلحة عامة ، ونحو ذلك .

لذلك انجذبت أنا ودفعتي لهذا التخصص وسجلنا فيه رسائلنا واخترت أن تكون رسالتي (عقد الوكالة – دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون –) ، وحين العرض على مجالس الأقسام وافق مجلس قسم الفقه المقارن ورفض الموافقة مجلس قسم القانون ؛لأن العقد الكتابة فيه سهلة ويكفي الطالب أن ينقل أحكام الوكالة من كتب الفقه والقانون بحذافيرها دون معاناة في البحث ، والبحوث إنما تقوم على هذه المعاناة في الجزئيات الصغيرة ، وعلى الباحث أن يجعل من هذه – الحبة قبة كبيرة – وذلك بجهده وسهره ودورانه على المراجع في المكتبات ، فرجعت إلى المرحوم الشيخ زهير ، وكان هو وكيل الجامعة ، فوافق على الخطة مع نصيحتي بالاقتصار على الجانب الفقهي في كتابتي .

وكنت في حاجة إلى معرفة الجديد في عقد الوكالة لدى رجال القانون وخصوصا بعد انتشار مهنة المحاماة انتشارا واسعا ، وكلها قائمة على الوكالة القانونية ،لذلك جعلت كتابتي تقوم على جانب الفقه الإسلامي ، مع تطعيمها بين الحين والحين ؛ بآراء رجال القانون ، لكن دون أن يكون لي مشرف قانوني

لذلك كتبت في مقدمة الرسالة بأنها تقوم على الجانب الشرعي وأن الجانب القانوني نظرت إليه في بعض الحالات للاستفادة في بعض المواقف ، لذلك كان للشيخ السايس رحمه الله تعالى تعليقا ضاحكا حيث قال بعد قراءته لهذه العبارات : هذا الخبث الشرعي : يعني حتى لا يؤتى إليّ بمناقش في الجانب القانوني .

بعد حصولي على الدرجة العالمية تأخر قرار التعيين عدة أشهر لذلك تقرر أني أسافر إلى أسيوط أسبوعيا لتدريس الفقه المالكي لوجود نقص لديهم في هذا التخصص مع إكمال جدولي بتدريس البحوث الفقهية في كليتي بالقاهرة ، وكنت سعيدا في تدريسي للفقه المالكي كبديل لأستاذ متخصص في هذه المادة ، وحتى بعد أن منحت الدرجة تقرر سفري إلى هناك لسد العجز في مادة الفقه المالكي ،إلى جانب تكملة دروسي بشريعة القاهرة في الفقه المالكي أيضا لوجود نقص في هذا التخصص بسبب سفر بعض الزملاء في إعارات للخارج .

وأتذكر أني حينما كنت أدرّس هذه المادة لمحت طالبين يطيلان شعر رأسيهما ، فأشرت إلى أحدهما من أنت فذكر اسمه فقلت من أي البلاد أنت ؟ قال من البحرين ، والآخر قال : اسمي فلان من ليبيا ، فقلت لهما أمام بقية الطلاب حتى يتعظ الجميع : كيف أنكما تقلدان الخنافس والهيبز في أوربا في نفس الوقت الذي تدرسان فيه علوم الشريعة ، تفضلا بالخروج ولا تعودا حتى تزيلا هذا الشعر الطويل ، أما طالب البحرين فعاد في اليوم التالي وقد أزال شعره الطويل ، وأما الطالب الليبي فلم أره بعد ذلك في الدرس لقد كان من دأبي الحرص على أدب طالب العلم وقد قال شاعر قديم :

والعلم إن لم تكتنفه شمائل :: تعليه كان مطية الإخفاق

في مرحلة عمادتي لكلية الشريعة بأسيوط طلب مني وكيل كلية الحقوق بجامعة أسيوط ؛ تدريس مادة الشريعة عندهم وطلب مني تدريس [عقد الوكالة] وهو يعرف أني حصلت على درجة الدكتوراه في هذا العقد ، وفعلا ذهبت وقمت بالواجب وكان حضورا كثيفا ، وقد حضرت طالبتان حاسرتان عن شعر رأسيهما فقلت لهما :نحن ندرس هنا علوم الشريعة ومن لم يمتثل

أوامر الشريعة لا يحق له الحضور، فأخرجت كل منهما حقيبتها وبحثت فيها عن شئ تغطي بها شعرها فلم تجد ، فأغلقت كل منهما حقيبتها وظلت جالسة في مكانها ، فقلت لهما : تفضلا بالخروج ولا تعودا إلا وأنتما ساترتان لشعركما ، فخرجتا وعادتا في اليوم التالي واضعتان غطاء الرأس في مكانه الشرعي ، والحمد لله رب العالمين .

في المرحلة الأولى وحتى قبيل السفر كتبت ثلاث كتب : أحدها في الفقه المالكي في مقرر السنة الأولى ووزع على كتابة الكمبيوتر ولم نرجع إليه فيما بعد لظروف السفر ، ثانيها : كتاب [عقد البيع] ولكنه كان مختصرا في حدود مائة وخمسين صحيفة ، طبع ووزع لعام واحد فقط ، ثالثها : كتاب [شرح كتاب بلوغ المرام] للحافظ ابن حجر الجزء الأول فقط ، وكان القصد إكماله واستبعاد إشارات الإمام الصنعاني لآراء الشيعة في الكتاب ، ولكن انشغالي بالعمل اليومي أدى إلى إهمالي في رعاية مكتبتي وهى الآن عقدة العقد .

وكنت محظوظا إذ شغلت بفقه الحديث جزءا كبيرا من حياتي الدراسية بدأتها بتدريس كتاب الأمير الصنعاني في شرح حديث الحافظ ابن حجر الذي سماه [بلوغ المرام في شرح أحاديث الأحكام] عدة سنوات في كلية الشريعة والقانون بالقاهرة وذلك بشعبة الشريعة وأيضا في أسيوط .

وكان نصيبي من الحظ أكبر؛ حين ذهبت إلى المدينة لأدرس هناك الفقه والفقه المقارن بكلية الشريعة ، وإذ بي أجد نفسي بين جدران كلية الحديث وكل وقتي يشغل بفقه الحديث من خلال تدريسي لشرح الإمام الشوكاني المسمى [نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار] للإمام مجد الدين ابن تيمية والد الشيخ أحمد عبد الحليم المشهور بابن تيمية ، وهو أوسع من شرح الإمام الصنعاني بكثير ، وذلك لمدة أربع سنوات إلى جانب درس القراءة في

الصحيحين في نفس الكلية ومعلوم أن نصيب المالكية في هذا التخصص كبير وكبير جدا ، بدأ ذلك بتأليف إمام المذهب مالك بن إنس رحمه الله تعالى كتابه الموطأ فهو كتاب حديث وفقه ، ثم تدفقت شروح المالكية للموطأ بداية بابن عبد البر في التمهيد والاستذكار ، وابن العربي في كتابيه القبس ، وأوضح المسالك في شرح موطأ مالك ، و الباجي في المنتقى شرح الموطأ ، والشيخ محمد الزرقاني في شرح الموطأ ومن قبل : ابن بطّال في شرح البخاري و المازري في شرح صحيح مسلم في كتابه المعلم ، والقاضي عيّاض في المشارق ، وكل هذه الشروح كان لي نصيب في الاستفادة منها ، مابين تدريس لها في الكلية أو خارجها ، إلى جانب ذلك :كان لي استفادة من شراح البخاري خصوصا في التدريس في الجامع الأزهر، حيث أخذت على عاتقي إبراز جهود الإمام البخاري في فهم نصوص السنة وإدلائه برأيه ، من خلال تراجمه وألفاظ حديثه ، وكان أكثر اعتمادي على شروح الحافظ ابن حجر والعيني والخطابي لكني مع ذلك استفدت كثيرا من صحيح مسلم ومن السنن الكبرى للبيهقي وابن ماجه ، والترمذي والإحسان في ترتيب أحاديث صحيح ابن حيان وغير ذلك و الحمد لله رب العالمين ، وموجز الاستفادة : إما في التدريس أو التأليف أو في التحضير للدروس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أما بالنسبة للفقه المالكي فقد أكرمني الله تعالى بالتدريس به داخل الكليات في القاهرة وأسيوط وكلية الإمام مالك للشريعة والقانون بدبي ، ثم في مسجد الشيخ الدردير وفي الجامع الأزهر ، وفي مسجد الرحمة تحت المنزل ولكني لم أكتب فيه لعدم الحاجة إلى الكتابة بجوار الكتب الموجودة سواء للشيخ الدردير ، أو شروح رسالة ابن أبي زيد ، أو شروح المختصر للشيخ خليل بن اسحق .

نعم قد اضطررت للكتابة فيه في رحلتي القصيرة لمدة ثلاثة شهور إلى صنعاء في جامعة الإيمان للشيخ الزنداني لأبنائنا في الدراسات العليا ،وهم أبناء الشيخ عبد المجيد الزنداني أطال الله عمره ونفع به البلاد والعباد .

كان قد أسقط الفقه المذهبي من مقررات الجامعة واكتفي بتدريس كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في السنة السابعة بعد أن ينتهي الطالب من الكلية ويطلب الترقي إلى الدراسات العليا ، وذلك لمدة سنة واحدة ، ثم تذكر أو ذكّر بالحاجة إلى الفقه المذهبي فانتدبتُ إلى تدريس الفقه المالكي هناك إلى جانب بداية المجتهد ، وعزمت على أن أترك شيئا ذا بال من الفقه المالكي كرصيد ثابت يظل بالجامعة ، والحمد لله وجدت إقبالا طيبا ، فما أقوله : أكتبه فكتبت مقدمة للفقه المالكي لما رجعت إلى هنا طبعتها في مكتبة دار السلام باسم : [المدخل الوجيز في التعريف بمذهب إمام أهل الفقه والحديث مالك بن أنس رضى الله عنه] .

ثم بدأت أختصر كتاب الشرح الصغير لأبي البركات الدردير ، وقد وصلت فيه إلى نصف الكتاب وانتهت الثلاثة أشهر وتركتها لهم هناك ، وحاولت أن أكمل هذا المختصر هنا ثم أرسله إليهم ، لكن كانت المشاغل أكبر من عزيمتي فلم أستطع ، وقد أرسلوا لي في العام التالي رسالة لزيارتهم لمدة ثلاثة أشهر ، وبعد أن حصلت على الموافقة على السفر وكانت التذاكر جاهزة ، ولكن رئيس الجامعة آنذاك أصدر قرارا بمنع الدكتور أحمد علي طه ريان من السفر إلى اليمن وكان رئيس الجامعة آنذاك الدكتور أحمد الطيب ولكنه أصدر القرار بعد أن اتصل بي ، وأبلغني بسبب صدور ذلك القرار بالمنع من السفر ، لأن الشيخ عبد المجيد الزنداني محسوب على الأخوان

وسفرك سيضعك في موضع الاتهام ، وضاع الأمل في تكملة هذا العمل الطيب ولا أدري ما فعلوه به بعد سفري من عندهم .

أما الفقه المقارن فقد كان اعتمادي في تدريسي في الكلية على ما كتبه الزملاء مثل الدكتور السماحي والدكتور محمد رأفت عثمان ، والدكتور على وكيل الكلية ، والدكتور سعد مسعد الهلالي ، والذي استطعت في القسم أن أرفع كتابه من التدريس بالسنة الأولى لعدم صحة منهجه فيه ، ولكن بعد سفري عاد الكتاب للتدريس ، وكان من أسباب مقاطعتي لحضور جلسات القسم ، ولم أكتب في الفقه المقارن إلا في كتيبات للموعظة مثل (كتاب المسكرات ، والمخدرات ، وتعدد الزوجات و معيار العدل بينهنّ ، وسنن الفطرة بين المحدثين والفقهاء ، والبيوع المحرمة وأثرها على المصارف)، وهذا الكتاب ألقيته في محاضرة في جدة في المعهد التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بدعوة منهم وقد أكرموني بسبب ذلك، وهذا الكتاب طبع باللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية .

كان جل تدريسي في الدراسات العليا في كلية الشريعة بأم القرى بمكة المكرمة ، في مادة لم أدرسها إلا هناك ، وهي مفيدة للفقهاء ، وهذه المادة تسمى [تخريج الفروع على الأصول] من خلال رسالة كبيرة في هذه الفرع من العلم ومجازة من كلية الشريعة بالقاهرة عنوانها [تخريج الفروع على الأصول] للدكتور محمد سعيد الخن ، وعلى الفقيه أن يدرس القاعدة الأصولية بما فيها من اختلاف بين المذاهب الفقهية ، ثم تخرج الفروع على هذه القاعدة الأصولية : مثل قوله صلى الله عليه وسلم { إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى } ، فقهاء الحنفية يقولون بهذه القاعدة الأصولية وهى [إنما الأعمال بالنيات] أن المراد : أن كمال الأعمال بالنيات ، فالنية مكملة للعمل

ومتممة له : فالوضوء صحيح بدون النية ، لكن لا ثواب فيه فهى سنة فيه لحصول الثواب بينما يذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى تقرير (إنما صحة الأعمال بالنيات) فلا يصح عمل إلا بنية .

المثال : شخص أراد الاستحمام من النظافة أو غيرها وألقى بنفسه في النهر ثم خرج وتذكر بعد خروجه أنه كان جنبا ولم يستحضر النية لذلك أثناء الاغتسال الذي لم تصحبه نية فيصير طاهراً بذلك وغير ذلك.

كما كنت أدرّس في الدراسات العليا مادة : كيفية إعداد بحث فقهي ، وذلك من خلال قراءة النصوص في المراجع القديمة ، وتدريب الطلاب على الغوص في عباراتها لاستخراج المعاني والأحكام منها ، وكل ما يتعلق بهذا المجال المتسع .

إلى جانب تدريسي لمادة الاقتصاد الإسلامي أثناء الزيارة فقط ، وقد أشرت إلى ذلك من قبل .

كذلك درّست وألّفت في مادة في كليات الشريعة في المرحلة الجامعية تتعلق بكيفية أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس وقول الصحابي والأعراف المحكمة وغير ذلك من أدلة مختلف فيها مع دراسة ترجمة موجزة لأئمة المذاهب وتدرج الفتوى في المذاهب من طبقات علمائها ، وهذه المادة درّستها وكتبت فيها في شريعة القاهرة وكلية الشريعة بجامعة الأحقاف ، فهي المدخل الضروري لدراسة الفقه الإسلامي .

أما التفسير فقد مارست التدريس في تفسير آيات الأحكام في كلية الشريعة بجامعة الأحقاف على نمط تدريسه في كلية الشريعة بالقاهرة ، حيث اقتصرت على تفسير آيات الأحكام ، ولم أتعرض لتفسير ما عداها من آيات العقائد وقصص الأنبياء وأخبار يوم القيامة وما بعده ، وغير ذلك ، وكتبت في

ذلك مقرر السنة الأولى ، ولم أكمل مقرر السنة الثانية فأكمله زميلي العراقي أبو أنس حيث أسندت إليه المادة بعد رحيلي من هناك ، ولا زالت المادة تدرّس هناك من خلال الجهد الذي بذل في تأليف مقررها منذ قرابة عشرين عاما ، وحين عدت إلى القاهرة حبّب إلى إعادة التدريس في التفسير وذلك في مضيفة المرحوم الشيخ إسماعيل صادق العدوي الذي تولى الإمامة في مسجدي الدردير والأزهر كما كانت له موعظة في مسجد الإمام الحسين وغير ذلك ، وقد قيض الله له تلاميذ أوفياء أعدوا باسمه قاعة كبيرة من طابقين لإلقاء دروس العلم لطلابه في كثير من فروعه مع حسن استقبالهم وإكرامهم بتقديم تحية لكل من يحضر الدرس ، إلى جانب تكريم الأساتذة الذين تفضلوا بإلقاء الدروس في كثير من فروع العلم بإشراف الشيخ يسري أكرمه الله وأعانه لحسن استقباله للعلماء وطلابهم في هاتين القاعتين وقد أضيفت إليهما قاعة ثالثة منذ سنوات قليلة .

أما جهدي في تدريس هذه المادة في إحدى هذه القاعات فقد انصب على تفسير جميع الآيات بمختلف أسباب نزولها ودلالاتها ، لأقف مع طلابي على ذلك كله مع التركيز على تفسير آيات الأحكام بذكر ما قاله كل من الإمام القرطبي ، والإمام الفخر الرازي والإمام الصاوي ، والإمام الرازي الجصّاص في كتاب أحكام القرآن والإمام ابن جرير الطبري وغيرهم ، مما يفتح الله تعالى به ، والآن قد وقفنا عند بداية الامتحانات ودخول شهر رمضان .

عند قول الله تعالى :{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً } الآية من سورة الأنعام ،ونرجو من الله العفو عن الخطأ والزلل الذي وقع فيما مضى كما نرجوه جل شأنه أن يهئ لي الظروف المناسبة لإتمام ما بدأته في تفسير القرآن الكريم أنه نعم المولى ونعم النصير ,

كذلك انشغلت بالإشراف على فرع الجامعة الأمريكية الإسلامية بالقاهرة لمدة عشر سنوات تقريبا لوجه الله تعالى ،لأنها لم تنشأ للتربح وإنما أنشئت لوجه الله تعالى لمساعدة من لم تمكنهم ظروفهم بالالتحاق بالجامعات الحكومية أو شبه الحكومية بالإضافة إلى الأشراف الخاص على مادتين : هما فقه الأسرة ، الأحوال الشخصية ، وقد كتبت فيها كتابا ظل يدرّس هناك عشرون عاما ، كما أشرفت على تدريس كتاب حياة الإمام مالك للإمام أبي زهرة رحمه الله تعالى ، وقد انحصر جهدي منذ سنوات على رئاستي لقسم الشريعة ولرئاسة المكتب الأكاديمي للفرع ، والذي لابد أن تعرض عليه رسائل الماجستير والدكتوراه مرتين ، المرة الأولى حيث تعرض عليه الخطة لدراستها ومدى صلاحيتها للتحضير فيها ، ثم تعرض نتيجة المناقشة بعد إتمام الرسالة ، إلى جانب عضويتي في اجتماع لجنة المعادلات بالجامعة المذكورة .

وإلى جانب ما تقدم فقد منّ عليّ المولى جل علاه بالكتابة في موضوعات رأيت أنها في حاجة إلى إبراز أحكامها ومعانيها وتقريبها للناس كما أن فيها جانبا من إبراء الذمة ومن ذلك :

أ- (كتاب تذكرة الأحباب) ، وأقصد بالأحباب أهل العلم فإني أذكرهم بما وقع فيه البعض من الأخطاء كما أذكّر الجميع بأن عليهم بيان الأحكام الشرعية خصوصا منها ما يتعلق بأحكام الحلال والحرام في المعاملات التي طاشت فيها الفتوى واختلطت فيها المسميات ، لذلك وضعت عبارة (إبراء الذمة) أعلى عنوان الكتاب ، وأتمنى أن توضع نسخة من هذا الكتاب في طيات الكفن لعلي احاجج بها الملكين حين يسألاني عن ذنوبي الكثيرة فأقول لهما : ألا يكفي أني ذكّرت المسلمين بهذه الأنواع من البلاء ليجتنبوها.

ب- (تعدد الزوجات ومعيار العدل بينهم) كتبته بعد أن قدّر الله تعالى علي الزواج بزوجة أخرى ، وذلك حتى أتذكر خطورة عدم العدل بين الزوجتين ، وآثاره الخطيرة على المسلم ، ويكفي في التنبيه على هذه الخطورة التحذير الرباني في قوله تعالى :{ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما } من سورة النساء

ج- (المسكرات ، المخدرات) كتبت عن هذين النوعين من البلاء بعد أن رأيت خطورة سريانها لدى الشباب الأغرار ، حيث تبدأ المسألة كنوع من اللعب والتفكه ، ثم تسريان إلى المفاصل وتقضيان على متعاطيهما ، تراهم يضحكون ولكن في حكم الموتى إذ لا يستطيع الواحد أن يفيد نفسه أو غيره ، هذا إذا لم يسلك نفسه في إحدى عصابات السطو حتى يجد الغذاء الدائم من هذا البلاء ، وإلا كان بلاؤه على غيره خطيرا ونرجو من الله تعالى أن يحفظ شباب المسلمين من هذا البلاء.

هـ - (هكذا تهدم معالم الإسلام) أو (الرد على الفكر العلماني) كان الكتاب قد ظهر بعنوانه الأول في الطبعة الأولى ثم رأيت أن أجعله بالعنوان الثاني ، فسبب التسمية الأولى أن صاحب كتاب (الاجتهاد حق هو أو واجب) ذكر في بداية الكتاب أنه يطالب بتطبيق أحكام الشريعة ، وأن من حق المسلمين أن يحكموا بشريعتهم ، ثم بعد ذلك بدأ ينقض عرى الإسلام عروة عروة ، حيث بدأ بالعقيدة فقال: على مكونات الشعب أن يجتمعوا ويضعوا عقيدة يتفقوا عليها بها في ذلك : المسلمين و المسيحين واليهود والبهائيين وغيرهم من مكونات المجتمع ، ثم تناول غير ذلك من مبادئ الإسلام لذلك

جعلت له العنوان (هكذا تهدم معالم الإسلام) ، لكن بعض دور النشر توقفوا عن طبع الكتاب بهذا العنوان مرة ثانية لذلك جعلت له العنوان الثاني .

و- (الحِكَمْ الدقيقة والمبادئ اللطيفة التي تضمنها كتاب الجامع في نهاية موطأ الإمام مالك) حيث كتب الإمام مالك في هذا الباب ما لم يسبق له ذكر فيما تضمنه كتاب الموطأ من الأحكام فتحدث فيه عن محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة المدينة والأنصار ، وإكرام الجار، وإكرام الضيف وغير ذلك من النصائح الواردة في الأحاديث ولكنها لا تتحدث عن الأحكام الشرعية التي تضمنها الموطأ ، لذلك رأيت بعد أن أكرمني المولى جل علاه بشرح الموطأ أن أقضي مدة طويلة في بيان مقاصد الإمام مالك من إنهاء الموطأ بهذا الكتاب الجامع ، وحاولت ألا أتدخل بشئ من عباراتي ، بل ما جاء في الكتاب إنما أخذته من شراح الموطأ ، ومنهم الإمام الباجي ، والإمام ابن عبد البر ، والإمام ابن العربي وغيرهم من كبار شراح الموطأ . والحمد لله رب العالمين .

ز- (سنن الفطرة بين المحدثين والفقهاء) ألفته بالمدينة المنورة ، أكملت به ما ذكره المحدثون في كتب الأحكام ، وقمت بشرحه على طريقة الفقه المقارن ، وقد قدمته مع البحوث الأخرى للترقية إلى أستاذ مساعد .

ح - (رخصة الفطر في سفر رمضان) وهو أيضا ألفته على طريقة الفقه المقارن وقدمته مع بحوث الترقية .

ط - (ضوابط الاجتهاد والفتوى) ألفته وقت أن كنت نائبا لرئيس جبهة العلماء ، وذلك بإلقائه كمحاضرة في الجامع الأزهر، وبما أن هذه الضوابط مبنية على قواعد أصولية فلذلك جئ بعالمين من علماء أصول الفقه

ليحضرا المحاضرة ويكتبا تعليقهما عليه ، وقد سجلت تعليقهما عليها في نهاية الكتاب .

ي – (فقهاء المالكية) أثناء قراءتي في تاريخ وحياة المالكية أخذني شئ من التباهي بأسلافي وحمدت الله تعالى أن جعلني من خلف هؤلاء الأئمة العظام ، وخصوصا ما قرأته في ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله ، فأردت أن أذكّر نفسي وأبنائي بهؤلاء الأسلاف علّنا أن نحصل على شئ مما كانوا عليه من التقوى والعلم ، إنه لطيف خبير.

ك – (ملامح عن حياة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه) وهذا غير (المدخل الوجيز في التعريف بمذهب إمام الفقه والحديث :مالك بن أنس رضي الله عنه) الكتاب الأول : نشر دار الفضيلة ، والكتاب الثاني من نشر دار السلام وموضوع كل منهما مختلف عن الآخر .

ل – (بريد الإسلام)وهو ثلاثة أجزاء ويتضمن الإجابة عن أسئلة المستمعين لبرنامج بريد الإسلام في الساعة العاشرة في إذاعة القرآن الكريم لمدة عشرين عاما تقريبا .

م – التعليق الفقهي على مدونة الإمام مالك طبعة الشيخ زايد بن سلطان حاكم الأمارات السابق رحمه الله

ن– بحث مطول في فسخ العقود : في حوالي مائة وستين صحيفة في موسوعة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة

س – بحث في أحكام القرعة : في الموسوعة الكويتية .

ع – مجموعة كبيرة من البحوث لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الشمالية لا تقل عن عشرة بحوث وآخرها بحث لهذا العام يتعلق بالمساجد والجوامع والزوايا وما يتعلق بكل منها من الأحكام .

ف – بحث عن القضاء في فقه المالكية ؛ من خلال ما كتبه الشيخ الدردير في ذلك ، وقد ألقى في محاضرة ألقيت بمؤتمر في جامعة أسيوط منذ ثلاثين عاما ، كما ألقيت في كلية الزيتونة بتونس قريبا من ذلك التاريخ .

ص – (أوجز المسالك في الإبانة عن أخذ القانون الفرنسي الذي تحكم به مصر من الفقه المالكي فإلى متى ؟) هذه دعوى لطلب العودة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وقد تضمن الكتاب الحيثيات التي بنى عليها هذا الطلب ، إذ استطاع نابليون إلزام الشعب الفرنسي بالقانون الذي تمت صياغته من قواعد فقه المذهب المالكي ، ثم طبقته معظم الدول الأوروبية بعد ذلك ، ثم استفادت منه فيما بعد كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ؛ وكان يسميه (قانون الأخلاق الإبراهيمية) لأنه كان من أبرز أحكامه تحريم الربا ، نعم أجريت عليه من التعديلات بعد التخلص من نابليون في معركة ١٨١٥م ، ألسنا أولى من هؤلاء في تطبيق شريعتنا على أنفسنا .

ف – موسوعة الفقه الإسلامي ، من بداية الجزء الثامن والعشرين إلى ما بعد الجزء الرابع والأربعين ما فاتني منها سماع عبارة والحمد لله رب العالمين ، إلا إذا كنت قد غبت مرة أو مرتين خلال هذه الفترة التي تمتد إلى حوالي عشرين عاما.

ر– يضاف إلى ما تقدم ما قرأته أو سمعته من رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية جامعة الأزهر والجامعات الأخرى ، وهي كثيرة والحمد لله رب العالمين ، وقد استفدت منها كثيرا كما أفدت غيري والحمد لله .

ش – يضاف إلى ما تقدم ما ألقيته من محاضرات خارج الجامعة الأزهرية ، ولكن في مناسبات خاصة في جامعات أو مساجد كبرى أو التليفزيون حين كنت أقبل الاستضافة في وسائل الإعلام ، ونرجو من الله تعالى القبول ، وإن أنسى لا أنسى محاضرتي في كلية العلوم بجامعة جنوب الوادي التي امتدت إلى ساعتين ونصف وكنت أود الاستمرار والمستمعون والمستمعات لم يتحرك منهم أحد والحمد لله أولا وآخرا ، وله المزيد من الحمد والشكر على هذا العطاء الذي لا قبل لي به ، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء.

الفصل الثالث عشر

علاقتي بالكلية وبشيوخي وبزملائي وبطلابي

فليعذرني القارئ إذا رأى في كلامي شيئا من التعاطف و الحنية لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة ، لأني عشت بين جدرانها معظم سنين عمري : إذ دخلتها في عام ١٩٦١ م وكان لي من العمر اثنان وعشرون سنة وعندي الآن ما يزيد على السابعة والسبعين من العمر بعدة أشهر ، إذ صحبتي لهذه الكلية زادت عن صحبتي لقريتي التي ولدت بها وهي الغربي قامولا بالأقصر ، وعلى صحبتي لبلدة بلصفورة في المعهد الابتدائي – الإعدادي الآن – وعلى صحبتي لمدينة قنا في المعهد الثانوي إذ بلغتْ الآن ما يزيد على خمس وخمسين سنة ، حتى سفرياتي بالخارج التي امتدت إلى ثلاثة عشر عاما كان ارتباطي بها أشد من ارتباطي بمنزلي وأهلي بالقاهرة أو الأقصر ، فالكل في الخارج لا يعرفني إلا بنسبتي إلى كلية الشريعة بالقاهرة إحدى كليات جامعة الأزهر ، حتى لو مست الحاجة إلى شئ من البيانات أو التوقيعات فهي الجهة الوحيدة التي يتم الاتصال وطلب البيانات أو التوثيقات منها ، وهي الجهة التي يتم الانطلاق منها والعودة إليها .

لا يلومني أحد ويتهمني بأني أحب مبنى من عدة طوابق يوجد مثله آلاف المباني ، فإني أقول له : لا قيمة للمبنى لذاته فهو مكون من أحجار وأسمنت وحديد ، لكن القيمة لهذا المبنى بما يحويه من معان وآداب وروحانيات ، يدخله الشاب خالي الوفاض من خلال نظرة الآخرين إليه ، إذ به يترك كثيرا من التصرفات والأقوال التي كان يتصرفها أو يكررها بلسانه لأنه أصبح يراها لا تليق بقدره ، بعد هذا التغير الذي حدث له ، كما أنه زيد في اسمه ، إذ صار ينادي بالشيخ فلان أو الدكتور فلان ، كما صار يتحفظ الناس في الحديث معه وكذلك أيضا في التعامل معه .

لقد كنت في بدايتي أضحك من تعلق الدكتور محمد فرغلي بالكلية حين يسألني عن كل شئ في الكلية حين يغيب عنها يوما – حتى عن مبانيها ، فهل

أصابني ما أصابه؟ فهل الحب يُعدي مثله مثل الأمراض الفتاكة التي يتحاشاها الناس عند لقاء المصابين بها حتى لا يصابوا بعدواها، أنا أعرف أن شدة القرب من المحبين لله أو لرسوله أو لهما معا ، قد تنتقل إليهم العدوى ويصابوا بشئ من هذا الحب ، أما أثار الحب في غير هذا المجال فلا أستطيع القول بأنها تنتقل ، وقد قرأنا عن المجنون وليلي وكثير وعزّة ، وغيرهم ممن ابتلوا بالحب ولم نسمع بأن أصحابهما أو جيرانهما انتقلت إليهم هذه العدوى . المهم : أني أحب كلية الشريعة ،وأبغض شئ إليّ حين أسمع أن أحدا من الزملاء أو الطلاب أو العمال أحدث فيها شيئا غير لائق .

هذا المبنى دخلناه شبابا وليس معنا شيئ إلا القرآن الكريم و شيئا من العلم الذي حصّلناه من الإعدادي والثانوي ، وإذا بنا نسمع بالقواعد الأصولية ونسمع بفقهاء المحدثين ، وبتفسير آيات الأحكام ،وبالفقه المقارن ،وغير ذلك من العلوم التي لم نكن نسمع بها من قبل ولا عهد لنا بها ، كما انتقلنا من نظام الساعات بالمعاهد حيث وجدنا هنا نظام المحاضرات ومعظمها لا تقل عن ساعتين ، كما أن النقاش مفتوح بين الطالب والشيخ وغير ذلك من التغيير الذي دخل في حياة الشباب ، وخصوصا من القادمين من الأقاليم أمثالنا ، لكن وجدت زيادة في النفقات لم نعهدها من قبل ، نظرا لأننا نحتاج إلى ركوب مواصلات في الذهاب والإياب إلى الكلية ومنها ، ثم لشراء كل المقررات التي يقررها الأساتذة ومعظمها في صورة مذكرات ليست لها أسعار ثابتة ومحددة ، ثم في نهاية العام ينتقل كل الطلاب إلى صوان كبير يسع جميع سنوات الكلية ، فالكل يرى بعضه بعضا أثناء الامتحان ، فالنظرة إلى أبعد من ورقة الإجابة ، تُرى من بعيد وصاحبها يهدد بالخروج والطرد من الامتحان .

هذا شئ من التغيير المادي المختلط بالتغيير المعنوي ، ثم يزداد هذا التغيير يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام ، ثم جلستك في الاختبار الشفوي في كل عام أمام لجنة من العلماء تعطي الطالب نوعا من التغيير نظرا لأن تعامل الأساتذة في لجان الشفوي يختلف من لجنة إلى أخرى ونعطي هنا ثلاثة أمثلة :

المثال الأول : جلست كمعيد مع أحد الشيوخ في لجنة فإذا به يتساهل جدا فيسأل الطالب سؤالا أو سؤالين ثم يكتب له درجة النجاح أو يأمرني بكتابة درجة النجاح ، فأسأله عن التيسير الزائد في النجاح ، فقال : لو أنني تشددت ورسّبت عددا من الطلاب يستحقون الرسوب ، ثم جاءني عميد الكلية للتوصية على طالب لأنجحه ! هل أستطيع أن أقول لا ؟ نعم ليس له سلطان عليّ ، لكن القضية في الحرج ، فلذلك أنجح الجميع حتى لا أفرق بين الطلاب بدون وجه حق .

المثال الثاني : جلست في الامتحان مع شيخ آخر ، فإذا به يسأل أسئلة دقيقة حتى يتبين منها الطالب الجاد المذاكر وغيره ممن لم يكن جادا أو مذاكرا ، فينجّح الأول ويعطيه الدرجة التي يستحقها ويرسّب الآخر ، فسألته عن ذلك مع أن غيره من اللجان لديها شئ من التخفيف ، فقال لي : أنا بمنزلة القاضي صاحب الحق يأخذ حقه مع حرمان الآخر ، وإلا لو سويت بين الجميع فأكون بذلك قد ظلمت البعض الذي أتعب نفسه في الجد والمذاكرة ، حيث سويته باللاعب غير الجاد .

المثال الثالث : كان شيخا جادا ولكنه إذا جاءه أحد بورقة توصية فإنه يستقبله ويأخذ التوصية منه ، ثم بعد خروجه يلقي بالورقة بعيدا ، وفي تأويلي : أن صاحب التوصية أهم شئ لديه أن يجد الاستقبال الحسن من رئيس اللجنة

، أما ما يحدث بعد ذلك فلن يسأل عنه ، لقد أدى ما عليه من الخدمة ، أما قضاء الخدمة فأمره إلى الله ولن يلومه أحد إذا لم ينجح لأنه لم يقصر .

والحمد لله ؛ بعد أن اشتركت كعضو فاعل في هذه اللجان اخترت أن أكون مثل صاحب المثال الثاني لكي أتأسى به وأقلده في كل حياتي المستقبلية . نعم أوقعني ذلك في شئ من الحرج لكن تحملت الحرج : فمثلا : يدخل على شيخ عزيز على جدا وله مواقف طيبة في موسوعة الفقه الإسلامي أيام أن كان عضوا في لجنة المراجعة لبحثي في اللجنة .

المهم أنه دخل إلى لجنتي ومعه طالبان من ليبيا للتوصية عليهما ، فسألته : لم فضيلتك تدخل مع هذين الطالبين دون غيرهما ؟ هو سمع ذلك مني هذا السؤال وخرج مسرعا من اللجنة وسمعته يرفع صوته غاضبا مع الدكتور الذي كان متواجدا خارج اللجنة ، يقول له : شفت الدكتور أحمد ريان يقول لي : لم دخلت مع هذين الطالبين ؟ هل هذا يليق ؟ المهم : الدكتور فرغلي عمل على تهدئته ، فهدأ ، ولما خرجت من اللجنة أخذني بالأحضان وكأن شيئا لم يحدث ، وأنا أعرف أنه كريم وبيته ومكتبته مفتوحتان لكل الطلاب ، كما أنه طيب القلب حيث يصعب عليه أن يقول : لا في وجه أحد ، رحمة الله واسعة، وقد رأيت عليه هذه السمة في النوم : حين كنت أفكر في العودة للعمل في جامعة الأحقاف للسنة الثانية ، وكانت المخاوف من عدم الموافقة من الجامعة عندي تشغلني ، فرأيت الشيخ عبد الغني بسمته الجميل ، وثيابه الأزهرية النظيفة ، كعادته في الحياة يمسك بيده حقيبة مفتوحة ، وبداخلها أوراق صفراء ، كانت تعطي في الجامعة لكل من ووفق له على الإعارة للخارج ليقدمها لجوازات المطار ، حتى يسمح له بالسفر، وإذا بالشيخ عبد الغني رحمه الله يحمل هذه الحقيبة وبداخلها هذه الأوراق والحقيبة مفتوحة من جنبها

هذا شئ من التغيير المادي المختلط بالتغيير المعنوي ، ثم يزداد هذا التغيير يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام ، ثم جلستك في الاختبار الشفوي في كل عام أمام لجنة من العلماء تعطي الطالب نوعا من التغيير نظرا لأن تعامل الأساتذة في لجان الشفوي يختلف من لجنة إلى أخرى ونعطي هنا ثلاثة أمثلة :

المثال الأول : جلست كمعيد مع أحد الشيوخ في لجنة فإذا به يتساهل جدا فيسأل الطالب سؤالا أو سؤالين ثم يكتب له درجة النجاح أو يأمرني بكتابة درجة النجاح ، فأسأله عن التيسير الزائد في النجاح ، فقال : لو أنني تشددت ورسّبت عددا من الطلاب يستحقون الرسوب ، ثم جاءني عميد الكلية للتوصية على طالب لأنجحه ! هل أستطيع أن أقول لا ؟ نعم ليس له سلطان عليّ ، لكن القضية في الحرج ، فلذلك أنجح الجميع حتى لا أفرق بين الطلاب بدون وجه حق .

المثال الثاني : جلست في الامتحان مع شيخ آخر ، فإذا به يسأل أسئلة دقيقة حتى يتبين منها الطالب الجاد المذاكر وغيره ممن لم يكن جادا أو مذاكرا ، فينجّح الأول ويعطيه الدرجة التي يستحقها ويرسّب الآخر ، فسألته عن ذلك مع أن غيره من اللجان لديها شئ من التخفيف ، فقال لي : أنا بمنزلة القاضي صاحب الحق يأخذ حقه مع حرمان الآخر ، وإلا لو سويت بين الجميع فأكون بذلك قد ظلمت البعض الذي أتعب نفسه في الجد والمذاكرة ، حيث سويته باللاعب غير الجاد .

المثال الثالث : كان شيخا جادا ولكنه إذا جاءه أحد بورقة توصية فإنه يستقبله ويأخذ التوصية منه ، ثم بعد خروجه يلقي بالورقة بعيدا ، وفي تأويلي : أن صاحب التوصية أهم شئ لديه أن يجد الاستقبال الحسن من رئيس اللجنة

عليه لاحظت عليه اللهجة الصعيدية فقلت له : الشيخ من أي البلاد ؟ قال من أسيوط ومن بني عدي ، قلت: إذا مذهبك مالكي ؟ فضحك وقال : لا أنا مذهبي حنفي . قلت : كيف تكون صعيديا من أسيوط ومن بني عدي ويكون مذهبك حنفيا ؟ فضحك الشيخ على سذاجتي ، وقال : على أيامنا كان القضاء في كل الدولة على المذهب الحنفي ، فالآباء حتى يجد أبناؤهم مكانا لهم في مناصب القضاء تركوا المذهب المالكي وجعلوهم على المذهب الحنفي ، وطبقا لذلك حيث ذهبتُ لتدريس الفقه المالكي في أسيوط وجدت عدد الطلبة الأحناف أكثر من عدد طلبة الفقه المالكي .

ثانيا : كانت الجامعة تمنع المعيدين من الاشتراك في الكنترولات ، ثم صدر قرار مفاجئ قبل الامتحان بالسماح للمعيدين بالاشتراك في أعمال الكنترول ، فكان من نصيبي أنا وزميلي الشيخ محمود علي ؛أن نكون مع اللجنة التي يعمل بها الشيخ أبو الحمد من جرجا وكان في حوالي الستين من عمره ، وكانت مهمة المعيدين هي نزع الورقة الصغيرة التي تكتب فيها بيانات الطالب واسم المادة من كراسة الإجابة المكونة من عدة أوراق ، ونظرا لعدم خبرتنا في هذا المجال فلا نعرف حكمة نزع الورقة ، وفوجئ الشيخ محمود علي بالورقة الصغيرة منزوعة من كراستها ، فقال : يا سيدنا الشيخ ماذا أعمل هذه الورقة منزوعة من كراستها فماذا أعمل فيها ؟ فرد عليه الشيخ أبو الحمد بهدوء : يا ولدي ألزق الورقة في الكراسة وبعدين انزعها منها ، قال ذلك دون أن يضحك أو يظهر عليه شئ من الهزل ، لكن بقية اللجنة ضحكت وضحكت معهم .

ثالثا : كانت مناقشة رسالة في الكلية وكان المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة عضوا فيها ، وكانت العادة أن العضو المناقش يكتب كل ملاحظاته على

الوجه المقابل للورقة التي توجد بها الملاحظات، وكان الشيخ أبو زهرة شديدا في المناقشات ، والمناقشة في هذا اليوم مع طالب عراقي وفي دخول الشيخ إلى باب الكلية يحمل الرسالة تحت إبطه ، فتقدم الطالب وحمل عنه الرسالة ليضعها أمامه على منصة المناقشة ، وحين بدأت المناقشة أمسك أبو زهرة بالرسالة فلم يجد بها أي ملاحظة فأُسقط في يده وأدرك أن الطالب أوقع به ! حيث استبدل الرسالة التي بها الملاحظات برسالة أخرى خالية من الملاحظات ، وكان الشيخ أبيّ النفس فلم يُرد أن يظهر نفسه بأنه انضحك عليه أو خدع من طالب مبتدئ فتكلم بكلمات خفيفة أثناء المناقشة كان قد تذكرها أثناء قراءة الرسالة ، ثم بعدها أبى أن يكتب الملاحظات في الرسالة بل كان يحفظها في ذاكرته ويناقش الطالب من خلال ما حفظه في الذاكرة .

رابعا : مالكي المذهب هو محب للنقود : كان لنا شيخ يدرس لنا الفقه المالكي بالسنة الأولى عام ١٩٦١م وكانت له مذكرة في فقه المالكية يبيعها للطلاب وقد جلس مع الشيخ فرغلي لأنه متقدم عنا في السن وأباح له بشئ مما يزعجه ، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عنه وهو حبه للنقود حبا شديدا لدرجة أنه إذا كان لم يكمل باكو المائة جنيه ولو بجنيهات قليلة تعتريه حالة من الضيق والحيرة والانزعاج وتستمر لديه هذه الحالة حتى يكمل الباكو ، ويضع حوله حزام الأستك ثم يضعه في مقره في الشنطة أو الخزينة ، حتى يعود لطبيعته ويشعر بالراحة حينئذ .

وحينئذ تقفز إلى الذاكرة حالة الإمام الشبلي وكان فقيهاً مالكياً مع تصوفه ، وقد سئل عن قدر الزكاة في مال المسلم فقال : إنه محدد في النقود بربع العشر في كتب الفقه لكني أرى : أنه يمسك من هذا المال قدر نفقته ونفقة من يعول ، ثم يتصدق ببقية المال .

فقلت في نفسي : إن الصحابي الجليل الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء في كتب التاريخ أنه بعد وفاته كان الذهب لا يخرج من خزينته إلا بضربه بالفؤوس ؛ فإذا كان شيخي يخرج من ماله الزكاة وأنا واثق من ذلك ، فلا ضير عليه في عاطفة الحب للمال ، والقلوب بأيدي الرحمن يقلبها كيف يشاء ، أما ما كان يفعله الإمام الشبلي فهو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعد الفتوحات كان يحجز لأهله نفقة عام ويتصدق بالباقي .

خامسا : جلس معي على منصة كلية الشريعة والقانون بالقاهرة الدكتور إسماعيل نائب رئيس الجامعة للوجه البحري ليناقش معي رسالة دكتوراه فبدأ كلامه بقوله : إنه منذ حوالي عشرين عاما ناقشني الدكتور أحمد علي طه ريان في رسالتي للدكتوراه وكانت مناقشة حارة وشاقة جدا والآن ها أنا أجلس معه على نفس المنصة لأشاركه في المناقشة ، فقلت له : لولا مناقشتي الحارة والشديدة كما تقول : لما كان لك أن تصل إلى أن تجلس معي على نفس هذه المنصة فضحك المستمعون وفهموا أن هذه المناقشة وطريقتها هي بداية الطريق إلى النجاح في المستقبل .

سادسا : كانت سورة يس هي إحدى الوسائل التي استخدمتها مع شيوخي لترقيتي إلى درجة أستاذ في الفقه المقارن .

كانت اللجنة مشكلة من كبار الأساتذة في الكلية وكان خوفي من الشيخ الحسيني الشيخ والد عميد الكلية الدكتور عبد الفتاح الشيخ ، فبدأت في قراءة سورة يس بنية التوفيق ، وذلك كلما وجدت فرصة سانحة للقراءة وبعد ستة أشهر تقريبا اجتمعت اللجنة وقررت الموافقة على الترقية.

۞

بعد عدة أسابيع جمعتني الظروف مع الشيخ الحسيني في مكان وليس معنا أحد ، فبادرني بالقول : يا شيخ أحمد هل أنت قرأت فيّ سورة يس ؛ فضحكت ، فقال : لا تضحك أصدقني ؟ هل قرأت في سورة يس ؟ قلت : نعم قرأتها لكن ليس فيك خاصة ، وإنما قرأتها بنية التوفيق وأن يرقق على قلوب شيوخي . لكن لم تسألني هذا السؤال الآن ؟ فقال : لأني رأيت في النوم أني جمعت بعض الأفكار حول أوراقك ولما اجتمعت اللجنة في النوم لم أستطع أن أقول شيئا . ثم جمعت بعض الأفكار في حال اليقظة ولما اجتمعت اللجنة لم أستطع أن أقول شيئا ، فخطر ببالي أنك قرأت فيّ سورة يس، فقلت كما ذكرت لك ، قرأتها للشيوخ جميعا .والحمد لله رب العالمين.

أنا الموظف المطيع في الكلية :

أحمد الله تبارك وتعالى أن ألقى في قلبي الامتثال والرضا والتنفيذ لكل عمل كلفت به في الكلية أو خارجها ما دام صادرا من عميد الكلية أو وكيله .

بعد أن تسلمت العمل في الكلية ، أصدر الشيخ جاد الرب رمضان أمراً بأن أشارك في جرد المكتبة مع أمينها الشيخ رأفت دون زملائي الكثيرين ، ومنهم باقي الخمسة عشر الذين صدر القرار بتعييننا جميعا معيدين في الكلية ، فامتثلت وذلك إلى جانب تدريسي البحوث الفقهية ، وبعد اعتماد خطة الرسالة نصحني المرحوم الشيخ جاد عميد الكلية بأن أذهب إلى موسوعة الفقه الإسلامي لآخذ مصطلحا لأكتب فيه لإفادتي علميا ثم لأرتزق منه ، فقلت له: إني مشغول بالتحضير للرسالة ، فقال : وما الذي تأخذه من الرسالة ؟ فامتثلتُ وذهبتُ وأعطوني هناك مصطلح : [الإنفساخ في العقود] ومكثت في كتابته ما بين ثمانية إلى تسعة أشهر ، ثم حملته إلى مقر الموسوعة في شارع الفلكي بميدان باب اللوق ، وسلمته لهم، وبعد شهر استدعوني لمقابلة مقرر

اللجنة الشيخ على الخفيف ، فذهبت في الموعد وقال : هذا العمل بهذه الصياغة غير مفيد، والمطلوب أنك تعيد صياغته في صورة (نظرية الانفساخ في العقود).

فحملته وعدت به إلى المنزل وألقيتُه ،واعتبرت أني ضيعت هذه المدة من عمري ، ولو ضيعتها في بحث الرسالة لكان أولى وأجدى ، كل ذلك والشعور بالمرارة وخيبة الأمل طاغية عليّ ، وقد لُمت نفسي ، ولماذا لم أفعل كما فعل المرحوم الشيخ عبد الفتاح ، فبعد أن كتب في مصطلح الإكراه قال له مقرر اللجنة : نريد صياغته في (نظرية الإكراه) فقال : لا شأن لي بصياغة الإكراه والبحث أمامكم وافعلوا به ما تشاؤون وتركهم وانصرف ، ثم راجعت نفسي في هذه الفكرة ، لأن الشيخ عبد الفتاح الشيخ :والده من كبار شيوخ كلية الشريعة وبحكم الزمالة مع أعضاء اللجنة لن يتخذوا مع ابنه موقفا غير لائق .

ثم طرأت عليّ فكرة جديدة مبنية على أن أقوم بهذه الصياغة التي كلفتُ بها ، ويكفيني أن يقبل شئ منها لأعوض النفقات التي أنفقتها على كتابة هذه الأوراق من حبر وأقلام وأوراق ، وأنا في أمس الحاجة إلى شئ من المال ، بعد الظلم الذي وقع عليّ من رئيس شئون العاملين بتعييني كأني جديد مخالفا بذلك القواعد بالرغم من كثرة النفقات التي أحتاج إليها .

وأمسكت بالأوراق مرة أخرى ، لأعيد صياغتها في صورة (نظرية الإنفساخ في العقود) .

ويعلم الله أني قضيت في إعادة الصياغة هذه ، قريبا من المدة التي قضيتها في الكتابة الأولى ، وسلمت الكتابة الجديدة لمكتب الموسوعة ، وبعد أسابيع قليلة ، استدعيت لقراءة بحثي أمام اللجنة المتعبة هذه ، وكانت توجد لجنة أخرى مكونة أيضا من عشرة أعضاء منهم الشيخ جاد الرب ، والشيخ

هريدي المفتي الأسبق ، والشيخ فرج السنهوري ، وكانت مهمة هذه اللجنة التأكد من صحة النقل من المراجع ولم تطلب من أحد إعادة الصياغة ، وصحة النقل من المراجع كانت قاسما مشتركا بين اللجنتين ، إذ كان في لجنة الشيخ على الخفيف : المرحوم الشيخ أحمد الفضلي من قدماء وزارة الأوقاف ، جالسا في وجهي ليتأكد من صحة نقل كل عبارة أنطق بها في البحث من خلال نظره في المرجع الذي وضعه أمامه ، وكان الشيخ على الخفيف يمسك بزمام الأمور ؛ قف ! هذه العبارة تعاد صياغتها ، هذه العبارة غير واضحة المعنى المطلوب في هذا المكان ، هذه العبارة زيادة لا نحتاج إليها ، وكان ذلك يغضبني بل وأحيانا أرفع صوتي ، وهنا يتدخل عضو اللجنة المرحوم الشيخ عبد الغني بعد الخالق ؛ ليفض الاشتباك بعبارات لطيفة يرضى بها كلا الطرفين ، وتستأنف القراءة والمراجعة وهكذا حتى انقضت المراجعة في عدة أشهر ، لأن الاجتماع لم يكن يوميا وكان لمدة ساعتين فقط ، ومما لا ينسى في هذا المقام كان الدكتور الفحام شيخ الأزهر رئيسا للجنة الموسوعة ككل شيوخ الأزهر ؟ وكان لا يحضر إلا بين الحين والحين وفي أثناء القراءة نقلت من الكتاب عبارة جاء فيها : أن الزوجة تحت زوجها أثناء قيامه بهذا العمل ، فاستوقفني الشيخ الفحام وقال : أرجو استبدال هذه العبارة بعبارة : أن الزوجة كانت مع زوجها أثناء قيامه بهذا العمل ، إذ لا يليق التعبير بلفظ [تحت] في هذا المقام . فسمعت النصيحة وعدّلت العبارة كما أراد الشيخ ، ولم أقل له إني وجدتها هكذا في الكتاب .

والحمد لله في نهاية العرض سمعت كلمة طيبة من الشيخ على الخفيف قال فيها ؛لأول مرة أسمع كلاما في نظرية الانفساخ بهذه السعة وبهذا التفصيل ، أو كلاما طيبا قريبا من هذا المعنى ، فأسعدتني هذه العبارة وأنستني كل

المعاناة في كتابة ومراجعة هذا المصطلح بداية ونهاية ، وحصّلت منه على مقابل مادي كنت في أمس الحاجة إليه .

وبهذه المناسبة أدعو للمرحوم الشيخ جاد الرب رمضان بالمغفرة والرحمة : لأنه كان السبب في قيامي بعمل هذا البحث ، ثم رأيته في المنام بعد عودتي من حضر موت، بأنه يعطيني فنجان قهوة ولم أعرف تأويلا لهذه الرؤية إلا بعد استلامي لرئاسة الموسوعة والتي قاربت الآن على العشرين عاما .

ومن أمثلة امتثالي لأوامر عميد الكلية أو وكيلها : أني كُلفتُ بالتدريس للسنة الأولى بكلية الزراعة ، كما كلفت بالتدريس في كلية الهندسة ، وكذلك كلفت بالتدريس في كلية الشريعة بأسيوط لتكملة الجدول ، كما كلفت بإلقاء محاضرة في نادي السكة الحديد ، وذهبت وقضيتُ السهرة مع مدير الأهرام وقتها وكان الأستاذ حسن حلوة من قنا ، وذهب إلى النادي لصحبة أولاده الذين يسبحون مع زملائهم في البحيرة داخل النادي ، ولم نجد أحدا يستمع إلى المحاضرة ، كما ألقيتُ مجموعة كبيرة من المحاضرات لأئمة المساجد في كلية أصول الدين أولا ، ثم في مسجد النور ، ولعدة سنوات وتركتُ لي كتابا كنتُ ألفته في الإرهاب في جذوره وفروعه وإنهائه ولا أدري عن مصيره .

وهكذا لم امتنع عن أي عمل كلفتُ به من قبل إدارة الكلية ، ومن باب أولى من قبل الجامعة ، فقد كلفتُ بالسفر إلى الأردن مع المتفوقين من طلاب الجامعة ، كما كلفت بالسفر إلى أوزباكستان . كما كلفت بالسفر إلى تونس ...

كما كلفت بالعمل في كنترول السنة الثالثة مع المرحوم الشيخ عكاشة في بداية اشتراك المعيدين في الكنترول ، وقد قربني إليه من بين الزملاء ،إذ أفضى إليّ بمعرفة الأرقام السرية للطلاب في كنترول السنة الثالثة ، وظللت معه إلى وفاته رحمه الله رحمة واسعة ، فورثت رئاسة هذا الكنترول لسنوات ، ثم

تسلمت رئاسة كنترول المواد المتخلفة سنوات ، وكنترول الدراسات العليا ، ثم انتدبت للإشراف العام على الامتحانات سنوات ، ولما تعبت منه طلبت العودة إلى الكنترول مرة أخرى فأسندت إليّ رئاسة كنترول السنة الثالثة للشريعة والقانون .

ومما يجدر ذكره تقديري لزملائي وحسن مقابلتي لهم ، والسؤال عنهم في غيابهم غير العادي ، وذلك منذ خمسة وأربعين عاما بحمد الله تعالى ، وأضرب مثلا على ذلك : اجتمع في كلية الشريعة في بداية السبعينات عدد كبير من المعيدين حتى بلغ عددهم عشرين معيدا تقريبا وقلنا : يجب أن نتخذ لنا رئيسا علينا ليطالب بحقوقنا ، ولم نحدد أحدا لتسند إليه الرئاسة ، وكان الشيخ محمد رأفت عثمان هو الأكبر سنا ، فأنا أعطيت صوتي له ، وحين فُرزتْ الأصوات وجدتْ أن الشيخ رأفت عثمان حصل على أحد عشر صوتا بينما بلغ من اختاروني تسعة أصوات أي أن صوتي الذي أعطيته له هو الذي جعله متقدما، بينما لم أقدم نفسي ولم أطلب أن يختارني أحد فحمدت الله تعالى أن قد جعل إخواني يحسنون الظن بي.

كما أني لم أتقدم لمنافسة أحد على منصب في الكلية ، وكانت إحدى صيغ الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحضنا على الزهد بل البعد عن المناصب وهي (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وقنا حب الرياسة وجميع الشهوات) , لكن مع ذلك حدث من بعض الأخوة ما أثار حفيظة نفسي ، فمن ذلك : أن المسئول عن الكلية أخذ فترة يدغدغ مشاعري : أن رئاسة القسم ستكون من نصيبي وتكرر ذلك في أيام كثيرة ، ولما شغر المنصب فعلا وتوقعت تكليفي برئاسة القسم وإذ برئيس الجامعة يصدر قرارا بإسناد رئاسة القسم لأخي الدكتور محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون

بطنطا : ليجمع بين عمادة الشريعة بطنطا ورئاسة القسم بالقاهرة ، ولما عاتبتُ رئيس الجامعة على ذلك قال : جاءني طلب من عميد الكلية بذلك ، ولما رأي الدكتور محمد رأفت عثمان تغيّرا في وجهي أقسم يمينا أنه فوجئ بذلك ولم يطلبه ! فأخذني العجب من هذا التصرف الذي يحدث من مسئول على هذا المستوى الرفيع .

أعلن رئيس الجامعة بعد خلو منصب عمادة الكلية عندنا : بأنه سيراعي في الاختيار الأكبر سنا فجاءني وكيل الكلية وأخذني بالأحضان وأبلغني بما استقر عليه رأي رئيس الجامعة ، وقال أنا مستعد لتقديم العون لك ، وسأبذل كل ما أستطيع من جهد لأنه يعلم أني أكبر الأعضاء سنا في العاملين الذين لم يصلوا إلى سن المعاش بعد ، ويعلم الله أن هذا الكلام لم يحرك فيّ ساكنا بل حمدت الله كثيرا حين تخلصت من عمادة كلية الشريعة والقانون بأسيوط بعد عام واحد قضيته بها ، وإذا بقرار رئيس الجامعة بتعيين الوكيل عميداً فذهبت لتهنئته والدعاء له بالعون والتوفيق من الله تعالى ، فسلمتُ عليه واحتضنتُه وكأني احتضن لوحا من الثلج ، ولكن بلغني بعد ذلك أن بعض كبار الزملاء لم يرحبوا بفكرة تولي د/ أحمد ريان العمادة فأرسلوا إلى رئيس الجامعة ليصرفوا تفكير رئيس الجامعة عن تعيين د/ أحمد ريان ، فاستجاب لهم ، لكن ما هي الأسباب ؟ الله أعلم بها .

نعم تسلمت رئاسة القسم فيما بعد لمدة ثلاث سنوات دون طلب مني ، وكان شعوري بتحمل هذه المسئولية كبيرا .

أما العمادة والوكالة فقد تسلمتها في أسيوط وفي الأمارات وفي اليمن ، وأشعر أني وفقت والحمد لله رب العالمين ، كما أني قد وفقتُ في القيام بالتزاماتها .

أما تعاملي مع الطلاب فكنت أراعي أمرين :

أحدهما : القيام بالواجب بإعطائهم ما يستحقون من العلم مع رعاية الجدية في هذا الإعطاء .

ثانيهما : التذكير بما يجب عليهم نحو ربهم من الإلتزام بالشريعة في الأقوال والأعمال ، وخصوصا أن علمنا الذي تعلمناه ونعلمه ، هو ميراث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الشريف { العلماء ورثة الأنبياء } فنحن مسئولون عن إحسان تلقيه وفهمه والعمل به ، كما أننا مسئولون عن حسن إعطائه وتفهيمه للآخرين ، حتى يحملوه إلى غيرهم واضحا جليا .

وقد أشرت من قبل إلى صنيعي مع الطالبين اللذين وجدتهما قد أطالا شعرهما ، كما أشرت إلى الطالبتين في كلية الحقوق في أسيوط اللتين دخلتا إلى المحاضرة وهما حاسرتان عن شعرهما ، وهاتان هما مجرد أمثلة ؛ وحتى في الامتحانات كنت في أثناء الإشراف العام على الامتحانات أنبه الطلاب الذين يجلسون في الامتحان وشعرهم طويل بضرورة حلق شعره ؛ لأني أعرف أنهم يقلدون موضة الشباب الغربي كالخنافس و الهيبز ، أما من أراه يطيل شعر لحيته وشعر رأسه فكنت أحسن الظن به لعله يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم .كما كنت ألتزم الحياد التام في وضع الأسئلة وتصحيح الإجابات ، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه مع الرأفة قليلا إذا كانت العبارة في الإجابة موهمة ، وكذلك الحال في اختبارات الشفوي ، كما أني لم أقبل توصية من أحد في شأن أحد ، وأتذكر أني تأثرت بحالتين خالفت قاعدتي فيهما :

أولاهما : كنت اختبر الطلاب في الامتحان الشفوي في السنة النهائية ؛ وإذا بشيخنا الكبير أبو الحمد: يدخل إلى اللجنة ولم تكن عادته هذه ، وبيده

طالب شبه تائه و به ارتعاش ، وقال : إن هذا الطالب له عدة سنوات وهو يرسب في اختبار الشفوي وأهله يعانون بسبب ذلك معاناة شديدة فأرجو أن تحسنوا إليه حتى تنتهي هذه المعاناة ، فأخذتني رأفة بهذا الطالب ولو إنه اختبر اختبارا حقيقيا لن ينجح أبدا ، فأعطيته أكثر مما يستحق وحتى يحصل على درجة النجاح ، وإذا برئيس شئون العاملين عقب خروج الطالب المذكور يدخل إلى اللجنة وبيده طالب مظهره يدل على أنه صاحب وظيفة مرموقة من الملابس الشيك و الشنطة الفارهة ، والوجه والشعر اللامعان ، ولا يحفظ شيئا من المقرر في القرآن الكريم ، فأصبت بحيرة شديدة ، هذه القضية مدروسة بعمق من هذا الموظف الكبير الشديد الذكاء الذي استطاع أن يستفيد من الواقعة السابقة ، لأنه على يقين من أنني شديد الحياد بين الطلاب وما دام قد ساعدت طالبا على النجاح ، وهو غير مستحق للنجاح فلا بد من التسوية بينه وبين غيره إذا كان في نفس المستوى في المادة العلمية التي يجري فيها الامتحان ، وللخروج من هذه الحيرة عدتُ إلى درجة الطالب السابق وشطبت عليها وأعطيته صفراً ، لذلك أعطيت الطالب الثاني صفراً وأنا مستريح ، لأني أعرف كذلك أن الموظف الهمام سيرجع إلى النتيجة ويعرف الحقائق . وقد ساعدني على هذا الموقف تذكر آية سورة النساء { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا } .

ثانيهما : كنت مشرفا على رسالة الماجستير في كلية الشريعة بجامعة أم القرى لطالب باكستاني وكان قاضيا في بلده وجاء لطلب العلم وطالت إقامته بمكة المكرمة وعين له في المناقشة أستاذان من مصر أحدهما يناقشه في الشريعة والآخر يناقشه في القانون ، وقد لاحظ المناقش القانوني : أنه قد رجع إلى

الكتب القانونية في مكتبة الكلية ، وهذه الكتب بعضها قد حدث له تعديل كما هو الشأن في القوانين الوضعية ، وانصبت أكثر مناقشاته على هذا الجانب ، ولماذا الطالب لم يسافر إلى القاهرة وغيرها من العواصم التي تحكم بهذه القوانين ليضع يده على هذه التعديلات التي أدخلت على هذه القوانين ؟

وهذا كلام حق في ظروف طالب عادي وقادر على السفر إلى تلك العواصم ، لكننا أمام طالب كبير قد جاوز سن الخمسين عاما ، ثم من أين له نفقات السفر التي تساعده على القيام بذلك ، لذلك آمل أن يعطي درجة النجاح حتى يسافر إلى بلده بشئ حصل عليه أثناء إقامته الطويلة .

ثم بعد انتهاء المناقشة : فقال المناقش القانوني : أنا أعطيه ثمانية وأربعين درجة ، وقال المناقش الشرعي : وأنا أعطيه سبعة وخمسين درجة ، لذلك أعطيته سبعين درجة لتعويض ذلك البخس ، ثم جمعنا درجات المناقشة وأضفنا إليها درجات التحريري وكانت درجات التحريري اثنتين وعشرين درجة ، فإذا به يحصل على تقدير جيد جدا مما يعني أن درجاته قد وصلت إلى ثمانين درجة ، فكأني وقعت على مصيبة عظيمة و طامة كبرى ، لأن الرسالة لا تستحق هذا التقدير الكبير ، إذ هي في حدود تقدير منح أو مقبول ، يعني ستين درجة ، لكن حدث ما حدث ، ولم يكن في الإمكان إعادة التقويم مرة أخرى ، لأن رئيس إدارة الدراسات العليا كان يحضر في نهاية المناقشة وقت تقدير الدرجات ، ويعلم الله تعالى : أني ظللت أياما وأنا أعاني من هذه الورطة التي وقعت فيها دون قصد مني ، ولم يعلم بذلك أحد لكن هذا ما قدره الله تعالى لهذا الطالب ، ومعلوم أنه لا يغني حذر من قدر .

والكلمة الأخيرة : أنه كان لي بكلية الشريعة ثلاثة بنين وُفق من وفق ، وفشل من فشل ، لم أساعد أحدا ولم أطلب من أحد مساعدتهم بل إن أكثر

الزملاء ما كانوا يعرفون أن لي أبناء بالكلية ، كذلك في كلية البنات بالأزهر كان لي خمس بنات ، لم يعلم أكثر الزملاء بهن حتى انتهوا من دراستهن بالكلية ، وقد حصلت واحدة منهم على درجتي الماجستير والدكتوراه بحمد الله تعالى ،ولم أحضر في مناقشة الرسالتين حتى لا أتسبب في حرج أحد من المناقشين أو المشرفين والحمد لله رب العالمين .

مواقف من الأخوة تحتاج إلى مراجعة من خلال زيادة المراقبة لله عز وجل :

الموقف الأول : أسند إليّ تحكيم مع زميلين فاضلين في رسالة لطالب كويتي كانت نوقشت منذ خمس سنوات من خلال لجنة مكونة من زملاء كرام ، وإذا بأحد أعضاء اللجنة كان قد أعد تقريرا عن الرسالة بأن معظمها مأخوذ من عمل لأحد الأساتذة في نفس المجال ، وهذا التقرير مكتوب فيه بيان تفصيلي بالصفحات وأرقامها ، وأخذ توقيع بقية أعضاء اللجنة بالموافقة على ما جاء به ، وقد قامت الجامعة بعمل مجلس تأديب للطالب مع تكليفه بعمل رسالة أخرى يتجنب فيها ما وقع منه في رسالته التي عرضت على اللجنة ، وقد وصلتنا الرسالتان وقد قرأت ،الرسالة الأولى التي كانت محل المؤاخذة وتتبعت ما جاء بالتقرير ، فوجدت ، الأمر فيه تحامل كبير على الباحث ، نعم : الطالب اقتبس بعض العناوين القليلة وبعض العبارات فقط ، وذلك من خلال مقارنتي بما جاء في الرسالة ، وما جاء في العمل المأخوذ منه بعد إحضاره إليّ بناء على طلبي ، وهذا القدر المقتبس قد ينقص من قيمة العمل العلمي لكن لا يقتله ، كما جاء في التقرير ، ويعلم الله أني كتبتُ تقريري في أكثر من عشر صفحات ، ولكن اكتفيتْ بالقول :بأن الطالب فعلا اقتبس بعض العناوين وبعض العبارات لكنه كان يشير إلى مكانها من العمل الآخر في أكثر الأحوال ، ومثل هذا العمل لا يهدر قيمة العمل العلمي نهائيا ، ولكنه ينقص من قيمته ، لذلك أرجو أن يصحح وضع هذا الطالب ، وقد وافقني زملائي في لجنة التحكيم على ذلك ، والحمد لله صحح وضع الطالب ، وعتابي لأحبابي وزملائي ما كان لهم أن يتكلوا على تقرير أحدهم ، بل كان يجب على كل منهم القراءة للرسالة جيدا مع مقارنتها بما قيل مع العمل الآخر ، ولا يكتفون برأي أحدهم ، وإلا فما فائدة تعدد المناقشين للرسائل العلمية ؟

الموقف الثاني : وضعت في لجنة تحكيم في ترقية زميل من كلية شريعة أخرى ، فوجدتُ هذا الزميل قد أخذ خمس البحث من عمل زميل قديم ، نصا ورسما وهامشا ، لكن تم اكتشاف ذلك بعد أن تمت الترقية بخمس سنوات ، كيف وافق الأعضاء الذين كلفوا بقراءة البحث للترقية عليه ، وكنت أتمنى أن تكون هناك محاسبة لهؤلاء الزملاء ولو باللوم حتى لا يتكل بعض الزملاء على بعض في هذه الأمور التي يتوقف عليها سمعة العلماء في المراكز المرموقة في نظر المجتمع .

الموقف الثالث : أحد الزملاء كان مشرفا على رسالة ماجستير لطالب من شريعة أسيوط ، وأخذ يتردد عليه لسنوات ولكن كان ينهره : مثل : إنك جئت متأخرا تعالى بكرة ، لازم هذا الكلام يتغير ، أنا اليوم مشغول ونحو ذلك حتى طال الأمد ونفد صبر الطالب ، وظن أن هذا المشرف يريد إضاعة الوقت عليه حتى لا يحصل على الدرجة . فدبر أمرا خطيرا : فقد فوجئت بهذا الطالب ومعه عدد من بلدياته من الصعيد ؛ ومعهم العصي والنبابيت يقفون أمام الجامعة في انتظار الأستاذ المشرف حتى يحصلوا على حق ابنهم وأخيهم من أستاذه المشرف بطريقتهم الخاصة ، فهالني ذلك ، لأن هذا العمل الخطير فيه مخاطر عظيمة ، سواء على الأستاذ أو على الباحث أو عليكم ، أنتم حيث تزاحون إلى السجن مباشرة ، وما قيمة الرسالة أمام هذا كله ، وظللت أحدثهم بذلك حتى صرفتهم من أمام الجامعة ، وتحدثت مع زملائي بأن يجلسوا مع الأستاذ لينهي رسالة الطالب أو يعتذر عنها ، ولا أدري ما تم بعد ذلك . الرسالة يتوقف عليها مستقبل الطالب ، وإلا ضاع عمره فلا يصلح لأي عمل آخر ، لأنه تعود على معاشرة الكتب فلا يمكن تغيير مسيرة حياته بعد فشله فيها ، والحمد لله : رسائل الطلاب عندي لها الأولوية على الأعمال الخاصة بي ،

وكذلك الترقيات : فلا أتذكر أن أحداً شعر بأني أخرت رسالته أو بحث ترقيته؛ بحمد الله تعالى .

الموقف الرابع : كان زميلي العزيز عميدا لكلية الشريعة بطنطا ، ورئيسا لقسم الفقه المقارن بشريعة القاهرة ، كان يشرف على رسالة طالب سوداني : أسمه مصطفى وقيع الله ، يأتيه بالقاهرة فيعتذر له بأنه مشغول وعليه أن يأتيه بطنطا ، ويذهب إليه في طنطا وبعد وقت قصير يقضيه معه يقول نلتقي بالقاهرة ، وظل كذلك لسنوات ، وفي يوم دخلت إلى القسم فوجدت الطالب يقرأ والشيخ نائم ، فأيقظته وقلت له اعتبرني مشرفا داخليا ، آخذ الرسالة من الطالب وبعد الانتهاء أكتب لك تقريرا عنها ، فشكرني على ذلك ، وأخذت الرسالة من الطالب ، وقلت له أمهلني شهراً كأقصى حد وتعالى تسلم رسالتك.

الحمد لله قرأت الرسالة وعلى ظهر الصفحة الأخيرة كتبت كل الملاحظات عن الرسالة ، وفعلا في نهاية الشهر حضر الطالب وتسلم الرسالة وكان سعيدا جدا لكن في اليوم الثاني أو الثالث يأتي إليّ ويقول : إن الجامعة قد شطبت الرسالة ؛ لأنها قد مضى على تسجيلها أحد عشر عاما ، ويعلم الله أني حزنت حزنا شديدا ولعدة أيام ، رجل يأتي من السودان مع زوجته ومعه ابنه ، ثم بعد أحد عشر عاما يرجع إلى السودان بلا شيء ؟ ومن الذي يتحمل هذا الموقف ؟ لكن الباحث كان يظهر عليه الثبات وعدم الانهيار وقال لي : لا تزعل فإني استفدت من وجودي بالقاهرة بحفظ القرآن وتجويده ، وإني مسافر إلى السودان وودعني ، ولكن ما قاله لم يخفف حزني وآلامي .

لماذا يحدث ذلك ألم يكن في المقدور الاعتذار عن قبول الإشراف لكثرة المشاغل ، وهذا يحدث ومثل هذه الأعذار تقبل ويعالج الوضع من البداية .

وبعد عدة أشهر – وكانت آثار هذه الصدمة لا زالت بخاطري بين الحين والحين – وإذ برسالة تأتي من الشيخ مصطفى وقيع الله يقول فيها ، إنه عرض الرسالة على بعض الجامعات و بها ملاحظاتي التي عقبتها بها ، وإذا بتلك الجامعة تعتبر هذه الملاحظات بأنها تقرير من المشرف على الرسالة ، وتكوّن لها لجنة للمناقشة وتمنحني درجة الدكتوراه ، ويكرر شكره لي . لقد كانت فرحتي بهذه الرسالة عظيمة وأذهبت الهم والغم الذي خيم عليّ خلال تلك الأشهر ، وليس هذا بعجيب من فضل الله ورحمته ، فقد قال جل شأنه ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ من سورة الكهف ، وظللت أنشر هذا الخبر السعيد في كل مناسبة لأنه دليل عملي واقعي بأنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وأقرر أخيرا ؛ أن ما ورد من نعم وخيرات أشرت إليها في هذه الملامح أنها كانت من فضل الله تعالى وتوفيقه ، وربما كانت نعمه التي لم أشر إليها أكثر وأعظم ، لذلك أرجو أن أسجل عجزي وتقصيري في شكره جل شأنه ، كما أرجو أن أتحقق بقول القائل وهو يخاطب ربه عز وجل :

فلأشكرنك ما حييت وإن أمت :: فلتشكرنك أعظمي في قبرها

والحمد للّه تعالى أولا وآخر

وصلى اللّه على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

القاهرة في

١٦ يوليو ٢٠١٥

١٦ رمضان ١٤٣٧

الفهـــرس

وكان في ذلك الخير
ما استفدته من هذه المرحلة ، والتحاق أخي المرحوم عبد الحميد بي في هذا العمل.
جهد المرحوم الأستاذ كامل العبد في تغيير العمل من عامل بورشة إلى موظف يعمل بالورقة والقلم .
تغيير مكان العمل من جهة أعلى ، وما حمل هذا التغيير من خير.
أحمد ريان فرقة إنقاذ وأسباب هذا الوصف الذي جاء على لسان رئيس المجموعة.
رئاستي لمخبز زهرة غمرة والتغلب على أول مشكلة تقابل إدارتي للمخبز.
المشكلة الكبرى لمخابز القطاع العام ومحاولة السيطرة عليها
مزيد من الرعاية لي من الأستاذ لطيف يوسف رئيس المجموعة وأثرها في تقدمي في نتائج الكلية .
واقعة الخراط سند والشعور بتحسن الحالة المادية عملي بوزارة العدل ثم عودتي إلى المخابز بدرجة مدير مجموعة بعد فترة قصيرة
إضافة مجموعة أخرى تحت إدارتي والجهود التي بذلتها للرقابة وتحسين حال المخابز الجديدة،أحد المواقف الصعبة التي حركت إدارة شركة وسط القاهرة لمعاونتي التغلب عليها
دخولي إلى رحاب الدراسات العليا وتجنيدي وأداء امتحان السنة الأولى
ألطاف المولى صاحبتني في هذه المرحلة بكل دقائقها ، وما كنت أظن أني سأحظى بكل هذه الألطاف من ربي عز وجل ، فله الحمد والشكر على كل حال .

الطلاب في كلية الحديث ، ثم مساعدتي في أعمال الكنترول والمكافأة على ذلك.

دخولي إلى السجن لقضاء خمسة أيام به ، ثم حصولي على رخصة السيارة بعد ذلك

من متعلقات رحلة المدينة : السفر إلى دكا لرفع مستوى مدرسي اللغة العربية وما حدث هناك .

الارتحال إلى باكستان لرفع مستوى مدرسي اللغة العربية لمدرسي أبناء المجاهدين والمرور على الجامعة الحقانية والمدة التي قضيناها في بنشاور لهذه المهمة

الرحلة الثانية إلى تونس للتحكيم في رسالة حدث خلاف حول الحكم عليها بين المناقشين ، ثم إلقاء محاضرة في جامعة الزيتونة ، وزيارة الإمام سحنون

من ذكريات هذه الرحلة ، وكيف خدعنا من تلقاء أنفسنا ؟

الرحلة الثالثة : إلى الأردن وما لمسناه من كبار المثقفين وكذلك من الطلاب والتذكير بأن النظر إلى العواقب تدفع إلى التعقل ومن ذكريات القذافي القديمة

الرحلة الرابعة : إلى الكويت ، وموضوعنا الآن : الرحلة الأولى الى الكويت ، بقصد معرفة رأيي في منح درجة الدكتوراه من كلية الشريعة هناك ، وما صدر من قدح من أستاذ مصري في امتحانات شريعة القاهرة ، وزيارتي لكتبة الموسوعة الكويتية .

الرحلة الخامسة : إلى مكة المكرمة ، وحسن الاستقبال بترتيب المولى جل في علاه .

جدولي في الزيارة لتدريس مادة الاقتصاد الإسلامي وقبولي لذلك

رغبة في استمرار سمعة الأزهر القديمة بأن الأزهري يدرّس كل المواد ، وما أكرمني الله تعالى من الحج أنا والأسرة .

جهودي في أم القرى في سنوات الإعارة التالية لمدة خمس سنوات مع تقدير الفقير هناك من الإدارة ، والحرص على بقائي مع اعتذاري رسميا عن التدريس ، وتضعيفي لرأي الإمام ابن تيمية

أحداث على هامش هذه الرحلة المباركة

الرحلة السادسة إلى مدينة تريم بحضرموت باليمن : سبب هذه الرحلة

التعريف بمدينة تريم وما بها من مراكز تعليمية دينية ، وشدة استمساكهم بالمذهب الشافعي

كلية الشريعة بتريم كانت منحة من التجار الحضارمة بالسعودية ، أما كرمهم معي فكان بلا حدود ، وكان عون الله تعالى معي عظيما ، كما كانت الألفة بين الأساتذة بلا حدود ، وكان حب الناس هناك لعلماء بلا حدود .

حكايتي مع الإمام محمد عبده ، رغبتهم في استلامي للعمادة ، قبولي لرجاء امرأة منهم في ذلك

الرغبة في العودة لسنة قومية ، وعدم موافقة الأزهر ، وتدخل رئيسي الوزراء في اليمن ومصر

الجوانب الروحية التي أحسست بها في حضر موت ، ثم رغبتي في إنهاء عملي هناك

الفصل الثامن : ١٦٩

الرحلات إلى الولايات المتحدة وآثارها الرحلة الأولى وسببها السفر إلى هناك ، والتحرك ومكان الاستقدام جدول الدعوة ،

المفارقات:
الرحلة الثانية والثالثة إلى الولايات المتحدة، سبب ذلك، أمثلة من استفتاءات المسلمين هناك
الاجتماع الأول: تنظيم عمل المجمع، الاجتماع الثاني هناك،
الاجتماع الثالث في كوبنهاجن، ودرجة الوعي لدى هؤلاء الناس وصورة عن الحياة هناك
الاجتماع الرابع في نيجيريا، الحكومة الدينية والإدارية، حديثي عن حاكم الولاية
الاجتماع الخامس بالقاهرة. من المفارقات
الاجتماع السادس في الكويت وتقديم نفحة لكل من حضر
الاجتماع السابع في البحرين، وحديثي مع وكيل وزارة الخارجية بشأن المذهب المالكي
صدود أبنائي عن سماع العلم، الاجتماع الثامن في كندا وقراءة رسالة ابن أبي زيد في يوم واحد
الاجتماع التاسع والعاشر: فكانا في الكويت، ولم أوفق حضور الاجتماع العاشر والاجتماع الحادي عشر فقد أرجئ مؤقتا.
الرحلات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى الولايات المتحدة، وسببها نشاط جمعية الإيمان في نيويورك وبعض منجزاتها وجهود الدكتور سيد عبد الحليم في تحفيظ القرآن الكريم في مصر، ومن المفارقات.

تكريم طلاب العلم في الدرس .
حكايتي مع الشيخ خليفة شافعي المذهب من الإحساء.
مشروع الفقه المالكي بالدليل ، وأول اجتماع له ومن حضر هذا الاجتماع والقرارات التي اتخذها المجتمعون.
الكارثة التي كادت أن تقضي على المشروع لولا أن الله تعالى سلّم.
إحياء الأمل بعودة المشروع إلى الحياة مرة أخرى ، وجهد الأمير حمدان في ذلك.
افتتاح المشروع الكبير للمعهد الديني ولكلية جديدة للفقه المالكي وما جرى في ذلك .
وصول الطبعة التجريبية لبعض أجزاء الكتاب وبداية القراءة فيها في مسجد أبي البركات .
مشكلة إبعاد أبناء العاملين الأجانب من التعليم الحكومي ، وما عانيته بسبب ابني عبد الرحمن ، والإحساس بعظمة مصر في هذا المجال ، ودعوتي لتسلم وكالة كلية الإمام مالك في دبي .
مباشرة عملي بالكلية وانضباط العمل بالكلية للبنين والبنات و شئ من المفارقات.
حرصي على التواجد الدائم دعاني لاستقدام زوجتي إلى هناك أكثر من مرة ، وعلاقتي بالشيخ ، ثم رغبتي في إنهاء عملي بالكلية وسبب ذلك .

الفصل العاشر : ٢١١

الرحلة الى أوزباكستان وسببها ، ظروف السفر غير العادية ، وبعض المفارقات في المطار
النزول في مطار اسطنبول ، ثم السفر شمالا إلى طشقند لحضور

وقع خطأ في السقف والاختلاف حول العلاج ، ومفارقتان

ثم المفارقة الثالثة ، ضم المسجد للوزارة وما ترتب على ذلك.

مطالبة الشيخ محمود حسين منصور بالتخلي عن رئاسة الجمعية وتمسكي برئاسته لها .

مشكلة الجمعية مع الدكتور وائل ، وموقفي وإخواني من ذلك.

نظرات في العلوم التي اتصلت بها تدريسا أو تأليفا ، ومدى تفاعلي معها.

سبب تخصصي في الفقه المقارن ، وبيان المراد من الفقه المقارن وقيامي بتذكير الطلاب والطالبات بضرورة الالتزام بأوامر الشريعة ونواهيها ، والكتيبات لي في السنوات الأولى

انشغالي بفقه الحديث : وجهود فقهاء المالكية في ذلك ، وتدريسي لها مع انشغالي بفقه المالكية تدريسا في أسيوط وصنعاء ، واعتمادي في تدريس الفقه المقارن على كتابات الزملاء وإن كنت كتبت فيه للموعظة والاعتبار ومنعي من السفر إلى جامعة الإيمان بصنعاء فيما بعد.

تدريسي لمادة [تخريج الفروع على الأصول] ومادة [الاقتصاد الإسلامي] في أم القرى بمكة المكرمة .

كما كتبت ودرست المدخل للفقه ، وتفسير آيات الأحكام في كلية الشريعة بتريم.

تدريسي لمادة التفسير لآيات الأحكام مع توسعي في المنهج ، وتدريسي لفقه الإمام البخاري في قاعة الشيخ صادق العدوي ، والجامع الأزهر وفقه الأسرة ، وحياة الإمام مالك في الجامعة

*****